

نور الحقيقة ونور الحديقة في عمل الأجلال

للسيد عز الدين
الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي
٩١٥ هـ - ٩٨٥ هـ
والد الشيخ البهائي

محققه
مجاهد الحسيني الجاللي

مطبعة مهر
ایران - قم
١٤٠٣ - ١٩٨٣ م



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DUPL



32101 022185175

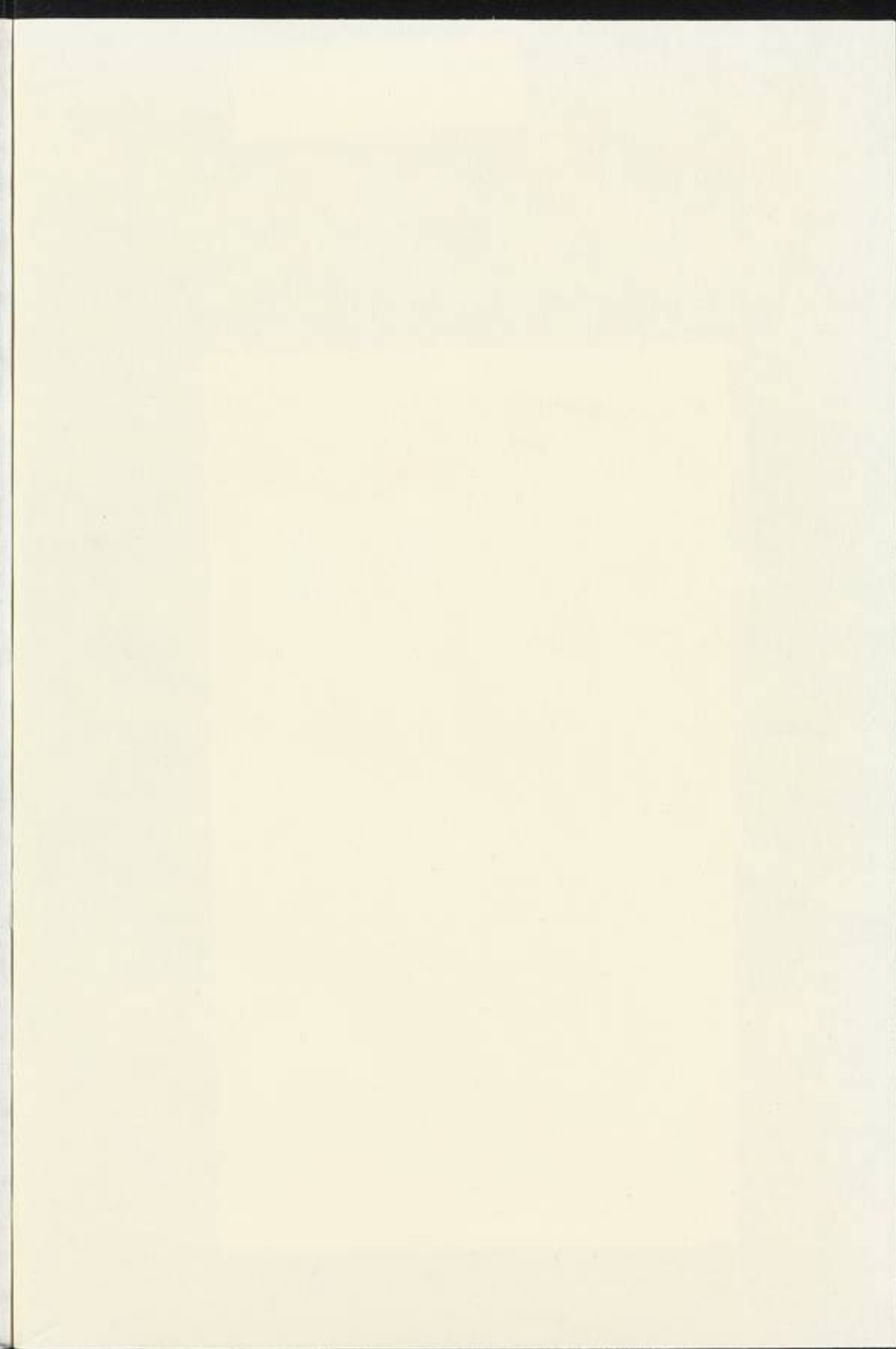
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.

ILS 11-1-93

G 11-1-93

JUN 12 2005



نُورُ الْحَقِيقَةِ وَنُورُ الْحَدِيثِ فِي عِلَالِ الْأَخْلَاقِ

لِلشَّيْخِ عِزِّ الدِّينِ

الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْحَارِثِيِّ الرَّهْمَانِيِّ الْعَامِلِيِّ

٩١٥ هـ - ٩٨٥ هـ

وَالِدِ الشَّيْخِ الْبَهَائِيِّ

مَقَّه

مُحَمَّدُ جَوَادُ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلَالِيِّ

2264

. 118

. 43

. 388

الكتاب : نور الحقيقة ونور الحقيقة .

المؤلف : عز الدين الحسين بن عبد الصمد (والد الشيخ البهائي) .

المحقق : محمد جواد الحسيني الجلاي .

الكمية المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة .

مطبعة سيد الشهداء ^{عليه السلام} / ايران - قم .

الطبعة الاولى : سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

جميع الحقوق محفوظة .



الاهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الى شهداء الحق والفضيلة في كل مكان ..
الى الشهداء الذين سقطوا صرعى دفاعاً عن الاسلام والمسلمين .
الى المجاهدين الذين بذلوا كل ماديهم لاعلاء كلمة الله في الارض .
والى الشهيد الغالي العلامة السيد محمد تقي الجلاي ..
الشهيد الذي قضى عمره مجاهداً بالقول والعمل وبذل قصارى جهده لنشر
علوم آل البيت عليه السلام وقاوم في أرض الشهادة رغم احتلال الطغاة لكل أراضي
العالم ووقوفهم ضد نشر الوعي الاسلامي ..
ورغم انهم أخذوا يرهبون المؤمنين بالقتل والحبس والتهجير .
ولكنه ظل صامداً في اداء رسالته ، على الرغم من علمه بان ذلك يكلفه
حياته ، فانه لم يرد الحياة الا ليرفع مشعل العدالة والحريّة عالياً ، ويكشف
للشعوب المسلمة ، زيف اسلام الحكام الطغاة وفسادهم .
وقد حقق ذلك فعلاً بجهوده الجبارة في سبيل ايقاظ الجماهير التي كانت
تغط في سبات عميق .
فلقد نبههم الى الواقع المأساوي الذي يعيشون فيه ، كل ذلك بالعمل السري
المنظم والدقيق ، والذي لم يكشفه البعثيون الكفرة ، طيلة سنوات جهاده

المريـر..

وكان الذنب الوحيد الذي أخذوه عليه، هو ما وجدوه عنده من الوكالة العامة
للامام الخميني العظيم قائد الامة الاسلامية، والتي وجدوا نصها يوم هجموا
على داره وفتشوا مكتبته وأوراقه الخاصة ..

وهذا عند أعداء الاسلام والانسانية ذنب عظيم، وجريمة لا تغفر.
فأودعوه سجونهم الرهيبة، ومارسوا معه أبشع ألوان التعذيب طيلة تسعة
أشهر، وهو بالرغم من كل ذلك صامد، يتحدى نظامهم المتهريء، ويفسّر
لاخرين فروا بجلودهم، معنى المقاومة والجهاد ...

وكان آخر ما مارسوه معه هو «الاعدام» بزعمهم، ولكنه «الخلود» في
قاموس الاسلام، وهي الوسيلة الاخيرة التي يهرع اليها العبيد المجرمون عندما
لا يتمكنون من النيل من صمود الاحرار المؤمنين .

نعم .. لقد أفرغوا رصاص العمالة والجور في قلبه الكبير..
وهاجر الى ربه، وهو مخضب بدمائه الزكية، يحكي الائمة الهداة -
الذين سبقوه الى الجنة - علياً والحسين، ويحكي قوافل الشهداء الذين سقطوا
على أرض كربلاء وعلى كل شبر من أرض الاسلام ..

لقد هاجر الى ربه .. الى الخالق الذي اليه ترجع النفوس المطمئنة بأمره.
هو صاحب الحسنى نماه (محسن)
خدم الشريعة فاستضاء بنورها
وأراد للاسلام عزاً شامخاً
هذا (أبو الهادي) وهذا هديه
ترك الحياة مؤرخاً (ومودعاً)
طابا نجاداً و الدأ و وليدا
قصد عاش فينا سيداً ومفيدا
لا أن يكون المسلمون عبيداً
وقضى المهيمـن أن يعيش سعيداً
رحل التقى الى الجنان شهيداً

المؤلف والكتاب

بقلم

مجتبى حسين الحسيني الجلالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مؤلف هذا الكتاب من أشهر علماء جبل عامل الذين واصلوا نشر العلوم الإسلامية في كافة الاقطار التي رحلوا اليها .

وهو الشيخ الحسين بن عبد الصمد بن محمد الحارثي الهمداني الجبعي العاملي المولود عام ٩١٨ هجرية والمتوفى سنة ٩٨٥ هجرية . ونسبه ينتهي الى الحارث الهمداني المعروف .

لازم المؤلف شيخه الشهيد الثاني [ت / ٩٦٥ هـ] في الحضر والسفر وارتحل الى مختلف البلاد الإسلامية في سبيل نشر الحديث النبوي الشريف منها حلب الشام وخراسان وهرات ومكة، واستوطن آواخر أيامه في البحرين حتى وافاه الاجل المحتوم في سنة ٩٨٥ هـ .

لقد أشادت كتب التراجم بالمؤلف ومكانته السامية في العلم والورع ومما

ذكره فيه استاذہ - الذي هو أعرف به - الشيخ الشهيد الثاني ، مانصه :
 «الشيخ العالم الاوحد ، ذو النفس الطاهرة الزكية ، والهمة الباهرة العلية
 والاخلاق الزاهرة الانسية ، عضد الاسلام والمسلمين عز الدنيا والدين ...»
 [لؤلؤة البحرين للبحراني ص ٢٤]

وقال فيه الشيخ الحر العاملي [ت/١١٠٤ هـ] :
 «كان عالماً ماهراً محققاً مدققاً متبحراً جامعاً أديباً منشئاً شاعراً عظيم الشأن
 جليل القدر ثقة ثقة من فضلاء تلامذة شيخنا الشهيد الثاني ...»

[أمل الامل ج ١/٧٤ طبع النجف سنة ١٣٨٥ هـ]
 ونقل المحدث النوري عن الافندي في كتابه الرياض قوله :
 « ... توجه الى حضرته الطلبة ، بل العلماء والفقهاء ، من الاطراف
 والاكناف ، من أهل ايران وتوران ، لاجل مقابلة الحديث ، وأخذ العلوم
 الدينية ، وتحقيق المعارف الشرعية » .

ثم توجه هذا الشيخ من هراة الى قزوین ، لادراك خدمة السلطان المذكور
 (طهماسب) ثانياً ، واسترخص من السلطان لزيارة بيت الله الحرام لنفسه
 ولولده الشيخ البهائي ، فرخص هذا الشيخ لزيارة البيت ولم يرخص ولده ...»
 [مستدرك الوسائل ج ٣/٤٢١]

ومن هذا النص يظهر انهما كانا كارهين لشيخوخة الاسلام ، تلك فتخلص
 منها الاب دون ولده .

ولما بلغ وفاته الشيخ البهائي رثاه بقصيدة منها :

يا جيرة هجروا واستوطنوا هجرا	واها لقلب المعنسى منكم واها
يا ناوياً بالمصلى من قرى هجر	كسيت من حلل الرضوان ابهاها
أقمت يا بحر بالبحرين فاجتمعت	ثلاثة كن أمثالا وأشبهاها

وتربته اليوم واضحة المعالم في شمالي المسجد في المقبرة المعروفة بمقبرة الشيخ راشد .

[أنوار البدرين ص ٤٦ ط النجف سنة ١٣٧١ هـ] .

آثاره:

له من المؤلفات :

- ١ - ثقة أهل الايمان في قبلة عراق العجم وخراسان .
- ٢ - حاشية على الارشاد (في الفقه) .
- ٣ - شرح ألفية الشهيد (في الفقه) .
- ٤ - العقد الحسيني (في الفقه) .
- ٥ - مناظراته ، (توجد نسخة منها في مكتبة السيد محمد صادق بحر العلوم في النجف الاشرف وهي في العقائد) .
- ٦ - وصول الاخبار الى أصول الاخبار .

(وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في إيران عام ١٣٠٦ هـ .
و توجد منه نسخة مقروءة على المؤلف في آخرها قراءة بخط المؤلف مؤرخه ليلة السبت عاشر شهر جمادي الاخر سنة تسع وستين وتسعمئة وهذه النسخة في مكتبة السيد محمد المشكاة بطهران برقم ١٠٤٤ و عندي منها نسخة مصورة ذكرتها في الصيانة) .

٧ - هذا الكتاب المسمى نور الحقيقة ونور الحديقة .

النسخة الوحيدة من هذا الكتاب التي هي بخط المؤلف كانت في مدينة كربلاء ثم انتقلت منها الى ايرلندا ولاتزال محفوظة بها في

مكتبة جستريني، تحت رقم، ام . اس - ٣٨٢٠ .

وأما تاريخ انتقالها وكيفية فلا يزال مجهولاً ، ومن المرجح ان النسخة نقلت بعد وفاة مالكة الشيخ عبد الحسين الطهراني المعروف (شيخ العراقيين) والمتوفى سنة ١٢٨٦ هـ .

وكانت مكتبة شيخ العراقيين في كربلاء من عيون المكتبات، وصفها شيخنا العلامة بقوله :

«مكتبة عظيمة فيها كثير من نفائس المخطوطات ونوادير الكتب والاسفار المهمة القيمة وكان الكثير منها بخطوط المؤلفين ومنحصرأ بالفرد وقد وقفنا على عدد لا بأس به من مخطوطاتها ففهرسناه ووزعناه على أبواب الذريعة ، وتلفت المكتبة» . [البررة الكرام ج ٢ / ٧١٥]

وكان من حسن الصدف أن شيخنا العلامة قد وقف على النسخة ووصفها في الذريعة وصفاً يرفع اللبس لذلك نورد كلامه دام ظله بطوله . قال دام ظله :

نور الحقيقة ونور الحقيقة في الاخلاق لعز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارثي^(١) والد الشيخ البهائي ، أوله :

(الحمد لله الذي خلق العقل بكمال قدرته ، وجعله مستنداً لعلم ما يكتمل به النفس الناطقة بلطيف حكمته وأرشدنا (به)^(٢) الى وجوه المعاش ...) وفي آخره : (فرغ من مشقة مشقه مؤلفه الفقير رحمة ربه (الغني)^(٣) حسين

(١) في النسخة المطبوعة من الذريعة أضيف هنا ما يلي : (٩ / ٢٤٩) وصاحب الاجازات ١٨٥ / ١ - ١٨٦) .

(٢) لم يذكر العلامة الشيخ آغا بزرك هاتين الكلمتين وانما أضفناهما لوجودهما في النسخة الخطية (المحقق) .

ابن عبد الصمد الحارثي . لثلاث خلت من شهر رمضان سنة (٩٤٥) .

وفي أوله فهرس أبوابه الاثني عشرين .

١ - العقل ، ٢ - العلم ، ٣ - الكتابة ، ٤ - الالغاز ، ٥ - الدنيا ، ٦ - أدب النفس ، ٧ - الكلام ، ٨ - الصدق والكذب ، ٩ - الخير والشر ، ١٠ - الاستشارة ، ١١ - الكبر ، ١٢ - الحلم ، ١٣ - الصبر ، ١٤ - السخاء والشح ، ١٥ - حسن الخلق ، ١٦ - الحياء ، ١٧ - المصاحبة ، ١٨ - المزاح ، ١٩ - الحسد ، ٢٠ - باب الطيرة ، ٢١ - باب الامل ، ٢٢ - باب الموت والقبر ، وهو خاتمة الكتاب .

رأيت النسخة قديماً بخط المؤلف ^(١) في مكتبة الطهراني بکربلاء وقد

كتب على النسخة تقریضات للادباء بخطوطهم :

منها تقریض تقي الدين بن علاء الدين بن تقي بن عبد الصمد من أحفاد

المصنف ^(٢) وهي رباعية :

هذا الكتاب قد حوى نكتاً وأقوالاً دقيقة

نور الحقيقة اسمه لكنه عين الحقيقة

ومنها رباعيتان للحسن القتال النجفي ، احديهما في أول الكتاب :

تأمل بما فيه جميعاً فانه تروق معانيه لدى القلب واللب

تضمن آداباً حسناً وحكمة ومنها قد استولى على القلب واللب

والاخرى بخطه على آخر الكتاب :

طالعته مستوعباً فوجدته جم الفوائد زينة لمجالس

كم نكتة ونصيحة قد ضمها و لطيفه هي نزهة لمجالس

وكتب منصور بن علي عقيل الحسيني الخادم رباعية هي :
 كتاب حوى فضلا وعلماً وسؤداً ونظماً وإفاظاً وعقلاً وأفكاراً
 قلله درّ السالكين طريقه ففسي طريقه حور حسان وأبكاراً
 وغير ذلك ، وعليه تملك درويش محمد العيفاوي النجفي ثم تملك ولده
 ابراهيم بخطيهما والاسف خلو الخطوط عن التاريخ
 (الذريعة/ حرف النون/ مخطوط) (*) .

مصادر الكتاب :

ولم يذكر المؤلف (ره) في مصادر كتابه هذا سوى كتابين هما :
 اولاً : البيان والتبيين : لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى
 سنة ٢٥٥ هـ وقد ذكر هذا المصدر في مورد واحد فقط واليك نص كلامه مع
 بيان مواضع الاختلاف في النسخة المطبوعة من البيان و التبيين قال في ص
 ٢٨٢ مانصه :

قال الجاحظ في كتاب البيان : وجد مكتوباً على حجر^(١) يا^(٢) ابن آدم
 لو^(٣) رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل ما ترجو من أملك ،
 ولرغبت في الزيادة من^(٤) عملك ، ولقصرت من حرصك وحيلك^(٥) ، وانما
 يلقاك بغتة^(٦) ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك
 القريب ، وانصرف عنك الحبيب^(٧) .

وقد جاء هذا النص في النسخة المطبوعة بمصر عام ١٣٣٢ هجرية من

(*) قد طبع هذا الجزء أخيراً ، والنص المذكور هو في الجزء ٢٤ ص ٣٦٧

البيان الجزء ٣ الصفحة ٨٤ وفيها من اختلاف النسخة ما يأتي :

- (١) في حجر مكتوب .
 - (٢) ليس فيها حرف الداء (*) .
 - (٣) لو أنك رأيت .
 - (٤) في عملك .
 - (٥) من حرصك .
 - (٦) وانما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت .
 - (٧) فيها هذه الزيادة : فلأنت الى أهلك بعائد ولا في عملك بزائد .
- ثانياً : كتاب منشور الحكم :

ينقل عنه المؤلف في موارد عديدة كالآتي: ٣٨، ١٠٠، ١٥١، ١٥٤، ١٨١، ١٨٦، ١٩٠، ١٩٢١، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٦٥، ٢٦٦ .

ولم أقف على نسخة من الكتاب ولا على مؤلفه وانما أورده الحاجي خليفة في كشف الظنون ووصفه بقوله :

منشور الحكم مختصر على ثمانية أبواب في الكلمات الحكمية :

الاول : في العلم والعقل ، الثاني : في الزهد والعبادة .

الثالث : في أدب اللسان . الرابع : في أدب النفس .

الخامس : في مكارم الاخلاق ، السادس : في حسن السيرة .

السابع : في حسن السياسة ، الثامن : في حسن البلاغة .

(كشف الظنون : ١٨٥٨/٢)

ولم يذكر المصنف غير هذين المصدرين مصدراً آخر في كتابه، ويظهر من الجملة التالية، أنه ألف كتابه هذا مع قلة المصادر حيث قال في ص ٧٩ مانصه :

وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع

(*) وفي النسخة المطبوعة عام ١٣٦٨ هـ ج ٣ ص ١٦٦ وردت مع حرف النداء (المحقق) - ٧

الى الكتب عند الحاجة فلا يكون الا كمن أطلق ماصاده ثقة بالقدرة عليه بعد الاطلاق ، فلا يعقبه التفريط الا ندماً وهذا كما ابتلينا به زماناً طويلاً ...
وهذا كلام جوهري لا يصل الى غوره الا من ابتلى بما ابتلي به (قدس الله روحه الطاهرة) .

والغالب على أسلوبه سرد كلمات الحكمة منسوبة الى قائلها، والايات والمقطوعات الشعرية الى ناظميها .

والغالب على أسلوبه أيضاً في صورة الاختلاف في الاراء هو ايرادها مع محاولة الجمع بينها والتوفيق ما يمكن، فهو مثلاً يقول في باب الاستشارة في ص ١٩٧ مانصه :

وذهب اخرون الى ان الاولى افراد كل واحد بالمشورة ليجيل كل واحد منهم فكرته في الرأي طمعاً في الحظوة بالصواب ، فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واذا اجتمعت فوضت فيه .

ولكل من المذهبين وجه ، ولعل كل واحد في محله اللائق به احسن وذلك بحسب اختلاف المستشار والمشيرين على انه اذا امكن افرادهم اولاً ثم جمعهم كان اولى بغير شك» .

ولم يحد المؤلف عن هذا الاسلوب الا بالنسبة الى المعتزلة فانه حمل عليهم قائلاً في الصفحة ١٤٠ مانصه :

«وان خفي شيء من ذلك فلا يخفى ما كان بين المعتزلة - قابلهم الله بما يستحقونه - وبين اهل الحق - رفع الله درجاتهم - من المعاداة والبغض والتعصب والحمية والتشنيع الفضيع الى ان أحق الله الحق بكلماته وابطل دابرهم وخسر هنالك المبطلون» .

وعلى النقيض من وصفه للمعتزلة ، تجده يصف الشافعية في الصفحة ٤٠٤ بقوله : (أمة من اصحابنا الشافعية) .

كلمات الحكمة :

وقد أورد المؤلف كلمات الحكمة عن حكماء من مختلف الأمم والملل على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم وعقائدهم ، فنقل عن أهل التأويل ص ١٢٧ والفرس ص ٢١٦ وبعض أشرف الأشراف ص ٢٥٨ وبعض الحكماء (في مواضع كثيرة) ، وبعض الهاشميين - من دون تعيينة بالاسم - ص ١٧٢ .

الحكماء قبل الاسلام :

كما نقل عن حكماء كانوا قبل الاسلام وهم : اقليدس : ١٠٩ و اردشير : ١٦٠ ، ٢٢١ ، وبرزجمهر : ٦٦ ، ٧١ ، ١٥١ ، ١٩٨ ، وكسرى : ١٤٨ ، ١٦٦ ، ٢٣١ ، ولقمان : ٦١ ، ٦٥ ، ١١٨ ، ١٩٥ وملك الصين : ١٦٦ ، وملك الهند : ١٦٦ ، وقيصر : ١٦٦ ، والاسكندر : ١٣٢ ، ٢١٢ ، ٢٨٣ ، ونقل عن التوراة : ١٤٩ ، ٢١٥ .

الحكماء المسلمون :

واما في العصر الاسلامي فقد نقل احاديث كثيرة عن الرسول الاعظم ﷺ في مطاوي الفصول ، ومرة واحدة عن جبرائيل ص ٢١٠ واليسك ثبناً باسماء حكماء الاسلام حسب القرون وقد ذكرنا الاسماء كاملة مع تاريخ وفياتهم .
١- ابو بكر ص ١٨٤ .

هو عتيق بن ابي قحافة التيمي المتوفى عام ١٣ (الخلافة الاول) .

٢ - ابو عبيدة بن الجراح ص ١٤٠

هو عامر بن عبد الله الفهري المتوفى عام ١٨ هـ .

٣- عمر بن الخطاب ص ١٣٥ ، ١٤٣ ، ٢٠٨ ، ٢٨١
هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي المتوفى عام ٢٣ هـ - (الخليفة الثاني) .

٤ - أسماء بنت يزيد ص ١٨٦
هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، كانت من اخطب نساء العرب توفيت نحو عام ٤٥ هـ .

٥ - عبد الله بن مسعود ص ٦٥ ، ٨٢ ، ١٠١ ، ١٣٠ .
هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي المتوفى عام ٣٢ هـ .
٦ - سلمان الفارسي ص ٢٧٤ المتوفى سنة ٣٦ هـ .
٧ - صهيب بن سنان ص ٢٦٤ .

لعله بن سنان بن مالك المعروف بـ (صهيب الرومي) المتوفى سنة ٣٨ هـ .
٨ - علي بن أبي طالب (في مواضع كثيرة من الكتاب) .
هو الامام علي بن أبي طالب المستشهد سنة ٤٠ للهجرة .
٩ - ليلى ص ٢٧١ .

هو بن ربيعة بن مالك العامري المتوفى سنة ٤١ هـ .
١٠ - ابن الزبير (ص ١٠٤ ٢٠٩ ٢١٤) .
هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي المتوفى سنة ٧٣ هـ .
١١ - الحطيئة (ص ١٧٩) .

هو جرول بن اوس بن مالك العبسي المتوفى نحو سنة ٤٥ هـ .
١٢ عدي بن حاتم (ص ١٨٥) .

هو ابو طريف بن حاتم الطائي الجواد المشهور، شهد صفين مع علي بن أبي طالب
ومات بعد الستين من الهجرة .

- ١٣ - عقيل (ص ١٧٦) .
هو ابن عبدمناف (أبي طالب) المتوفى سنة ٦٠ للهجرة .
- ١٤ - قيس بن سعد ص ١٥٤ .
هو ابن سعد بن عبادة الخزرجي المتوفى سنة ٦٠ للهجرة .
- ١٥ - معاوية (ص ١٧٦ ، ١٧٨) .
هو ابن صخر (أبي سفيان) الاموي المتوفى سنة ٦٠ للهجرة
- ١٦ - ابن عباس (ص ٤٤ ، ٤٨ ، ٦٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٢٦ ، ٢١٨ ، ٢٦٥) .
هو عبدالله بن عباس الهاشمي المتوفى سنة ٦٨ هـ .
- ١٧ - أبو الاسود الدؤلي ص ١٧٢ ، ١٩٤ .
هو ظالم بن عمرو المتوفى سنة ٦٩ هـ .
- ١٨ - الاحنف ص ٢١١ .
هو ابن قيس التميمي من الفصحاء الدهاة، توفي سنة ٧٢ هـ .
- ١٩ - عبدالله بن عمر ص ١٨٠ ، ٢٧٤ .
هو: ابن عمر بن الخطاب العدوي (الخليفة الثاني) ، توفي سنة ٧٣ هـ .
- ٢٠ - عبدالله بن جعفر ص ٢٤٢ .
هو ابن أبي طالب - عبدمناف - الهاشمي، المتوفى سنة ٨٠ هـ
- ٢١ - الربيع ص ٢٨٤ .
الظاهر انه بن خثيم بن عائد بن عبدالله بن موهبة بن منقذ الثوري، أبو يزيد الكوفي الذي قال عنه ابن جبان مانصه :
«أخباره في الزهد والعبادة أشهر من ان يحتاج الى اغراق، ذكره العسقلاني في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٢٣، وقد توفي عام ٨١ هـ » .

- ٢٢ - المهلب ص ٢٠٣ .
- هو ابن ابي صفرة، ظالم بن سراق الازدي، المتوفى سنة ٨٣ هـ .
- ٢٣ - سعيد بن المسيب ص ١٢١ .
- هو بن حزن بن أبي وهب المخزومي ، المتوفى سنة ٩٤ هـ .
- ٢٤ - عمر بن عبدالعزيز ص ٥٧، ١١٩، ١٥٢، ٢١٦، ٢٦٢، ٢٨١ .
- هو ابن مروان بن الحكم الاموي، المتوفى سنة ١٠١ هـ .
- ٢٥ - مجاهد ص ١١٠، ١٢٣، ١٣٤، ١٥٠، ١٥٣ .
- هو ابن جبر أبو الحجاج المخزومي، المتوفى سنة ١٠٤ هـ .
- ٢٦ - عكرمة ص ٤٨، ١٤٧، ٢١٥ .
- هو بن عبدالله البربري المدني المتوفى سنة ١٠٥ هـ .
- ٢٧ - الحسن ص ٥٦، ١٥٢، ١٩٢ .
- الظاهر انه الحسن البصري بن يسار (أبو سعيد) المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ٢٨ - ابن سيرين ص ١٨٤، ١٨٥ .
- هو ابن محمد الانصاري المتوفى سنة ١١٠ هـ .
- ٢٩ - محمد بن علي ص ٢٠٥ .
- هو الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام المتوفى سنة ١١٤ هـ .
- ٣٠ - قتادة ص ١٥٠، ١٩٢ .
- هو ابن دعامة بن قتادة المتوفى سنة ١١٨ هـ .
- ٣١ - محمد بن واسع ص ١٢٢ .
- هو بن جابر الازدي المتوفى سنة ١٢٣ هـ .
- ٣٢ - ابن المقفع ص ١٠٩، ٢٠٦، ٢١٨، ٢٥٤ .
- هو روزبه المعروف بعبدالله المتوفى سنة ١٤٢ هـ .

- ٣٣ - مقاتل ص ١٢٧ .
- هو ابن سليمان بن بشير الازدي المتوفى سنة ١٥٠ هـ .
- ٣٤ - محمد بن مروان ص ١٣٤ .
- هو ابن الحكم الاموي المتوفى سنة ١٠١ هـ .
- ٣٥ - الاوزاعي ص ٧٤ ، ١٥٠ .
- هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد المتوفى سنة ١٥٧ هـ .
- ٣٦ - صالح بن عبدالقدوس ص ٢٨٣ .
- هو ابن عبدالله بن عبدالقدوس الازدي المتوفى نحو سنة ١٦٠ هـ .
- ٣٧ - سفيان الثوري: ص ١٠٢ ، ١١٢ ، ١٢٧ ، ٢٣١ .
- هو ابو عبدالله بن سعيد بن مسروق المتوفى سنة ١٦١ هـ .
- ٣٨ - أبوزياد ص ١٥٤ .
- الظاهر ان المراد به هو الكلابي اللغوي يزيد بن عبدالله بن الحارث بن همام بن دهر بن ربيعة الذي توفي في زمن المهدي العباسي نحو ١٦٨ هـ في بغداد .
- قال عنه الخطيب: ان له شعراً كثيراً .
- وقال علي بن حمزة البصري في كتاب التنبيه على اغلاط الرواة ما نصه :
- (انما بدأت بنوادر أبي زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها .)
- ٣٩ - المنصور ص ٢١٤ .
- هو الخليفة العباسي عبدالله بن محمد (أبو جعفر) المتوفى سنة ١٦٨ هـ .
- ٤٠ - الخليل بن أحمد ص ٩٦ ، ٩٨ .
- هو ابن أحمد بن عمرو الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ .

- ٤١ - بشر بن منصور ص ٢٨١ .
- لعله أبو محمد البصري السلمي المتوفى سنة ١٨٠ هـ .
- ٤٢ - عبد الحميد ص ١٥٥ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩ .
- هو أبو غالب بن يحيى بن سعد الكاتب العامري من أئمة الكتاب توفي سنة ١٣٢ هـ .
- ٤٣ - عبد الله بن المبارك ص ١٠٢ .
- هو ابن المبارك بن واضح المروزي المتوفى سنة ١٨١ هـ .
- ٤٤ - جعفر بن يحيى ص ١٠٩ .
- هو بن يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد المتوفى سنة ١٨٦ هـ .
- ٤٥ - المؤمل ص ٢٧٣ .
- هو ابن أميل بن أسيد المحاربي المتوفى نحو سنة ١٩٠ هـ .
- ٤٦ - يحيى بن خالد ص ٢٣٨ .
- هو ابن خالد بن برمك الوزير المتوفى سنة ١٩٠ هـ .
- ٤٧ - الرشيد ص ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٧٣ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ .
- هو هارون بن محمد بن المنصور العباسي المتوفى سنة ١٩٣ هـ .
- ٤٨ - الفضل بن سهل ص ٢٠٨ .
- هو السرخسي أبو العباس وزير المأمون المتوفى سنة ٢٠٢ هـ .
- ٤٩ - الشافعي ص ٢٠٣ ، ١٥٦ ، ٢٤٢ .
- هو محمد بن إدريس أبو عبد الله المتوفى سنة ٢٠٤ هـ .
- ٥٠ - الفضل بن الربيع ص ١٧٣ .
- هو أبو العباس ابن يونس وزير المأمون المتوفى سنة ٢٠٨ هـ .
- ٥١ - محمد بن بشير ص ٢٢١ ، ٢٧٧ .

- هو أبو جعفر الرياشي البصري المتوفى سنة ٢١٠ هـ .
- ٥٢ - أبو العتاهية ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ٢٧٩ .
- هو اسماعيل بن قاسم بن سويد المتوفى سنة ٢١١ هـ .
- ٥٣ - سهل بن هارون ص ٢٤١ .
- هو بن هارون بن داهون أبو عمر المتوفى سنة ٢١٥ هـ .
- ٥٤ - الاصمعي ص ١٠٥ ، ١١٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ .
- هو عبد الملك بن قريب بن علي البصري المتوفى سنة ٢١٦ هـ .
- ٥٥ - المأمون ص ١٤٨ ، ١٧٧ ، ٢٥٤ .
- هو عبدالله بن هارون الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢١٨ هـ .
- ٥٦ - عبدالله بن طاهر ص ١٩١ .
- لعله ابن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي المتوفى سنة ٢٣٠ هـ .
- ٥٧ - أبو تمام ص ٢٥٦ ، ٢٦٨ .
- هو حبيب بن أوس بن الحارث المتوفى سنة ٢٣١ هـ .
- ٥٨ - الحسن بن سهل ص ٢٣٤ .
- هو ابن عبدالله السرخسي وزير المأمون المتوفى سنة ٣٣٦ هـ .
- ٥٩ - يحيى بن أكثم ص ٢٦٤ .
- هو ابن محمد المروزي المتوفى سنة ٢٤٢ هـ .
- ٦٠ - المتوكل ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
- هو جعفر بن محمد العباسي المتوفى سنة ٢٤٦ هـ .
- ٦١ - الجاحظ ص ١٦٣ ، ٢٨٢ .
- هو عمرو بن بحر البصري المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .
- ٦٢ - الرياشي ص ١٤٥ .

- هو العباس بن الفرّج البصري المتوفى سنة ٢٥٧ هـ .
- ٦٣ - ابن الرومي ص ٢٢٢ .
- هو علي بن العباس بن جريج البغدادي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ،
- ٦٤ - أبو العيّن ص ١٧٧ ، ١٧٨ .
- هو محمد بن القاسم بن خلاد المتوفى سنة ٢٨٣ هـ .
- ٦٥ - ابن المعتز ٦٧ ، ٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ .
- هو عبد الله بن محمد بن المتوكل المتوفى سنة ٢٩٦ هـ .
- ٦٦ - ابن دريد ص ٢٣٧ .
- هو محمد بن الحسن بن دريد البصري المتوفى سنة ٣٢١ هـ .
- ٦٧ - الفارابي: ص ٦٥ .
- هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزغ المتوفى سنة ٣٣٩ هـ .
- ٦٨ - المتنبي (أبو الطيب) ص ٧٧ ، ١٢٦ ، ٢٢٩ -
- هو أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ .
- ٦٩ - إبراهيم بن هلال الكاتب ص ٢٢٣ .
- هو ابن هلال بن إبراهيم الصّابي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ .

القرن الخامس .

- ٧٠ - أبو الفتح البستي ص ١٦٩ ، ٢٦٣ .
- هو علي بن محمد البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .
- ٧١ - ابن البواب ص ١٠٩ .
- هو علي بن هلال البغدادي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ .
- ٧٢ - عمر بن علي ص ٢١٢ .

الظاهر ان المراد به أبو حفص المطوعي النيسابوري المتوفى نحو ٤٤٠ هـ .
له شعر رقيق عارض يتيمة الدهر للثعالبي .

هذا ولم يذكر من القرنين السادس والسابع احداً .

وذكر من القرن الثامن واحداً وكذلك من التاسع وهما :

٧٣ - محمود الوراق ص ١٥٦ .

محمد بن حقي بن محمد الوراق المتوفى حدود سنة ٧٩٨ هـ .

٧٤ - البسطامي ص ١٢١ .

والظاهر ان المراد به عبدالرحمان بن محمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٨ هـ .

وفي الصفحة ١٠٨ نقل عن مسعدة ، والظاهر ان المراد به : مسعدة بن

المبارك، الذي ورد ذكره مرة واحدة في كتاب البيان للجاحظ . - في آخر

الكتاب، باب حكمة كلام النوكي - والحكمة التي نقلها الجاحظ عنه هي قوله:

الاقلام مطايا الفطن .

وهي تدل على علو كعب قائلها .

وبهذا المقدار نكتفي من التعريف بالمؤلف والمؤلف . وأما التفصيل عن

تخريج الاحاديث والحكم والاشعار والابيات وتراجم أصحابها فموكول

الى التعليقات بالتسلسل^(١) .

وكان الله في عون كل مخلص أمين .

محمد حسين الجاللي

(١) نود أن نذكر للقراء الاعزاء : أن تلك التعليقات فقدت بنوائب الدهر وغير الزمان التي دارت به . ادأ الله ظله .

وقد قمنا بتسجيل تخريجات النصوص والاشعار أثناء تحقيقنا للكتاب ، ولكننا لم نثبتها في هذه الطبعة . على أمل ان تعيد طبع الكتاب مع التخريجات ، اضافة الى تعليقات العلامة المحقق، اذا يسر الله وجودها، ان شاء الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا يصل الانسان الى الكمال الا بالتزكية والتربية الخلقية فبقدر ما يكتسب من مكارم الاخلاق ومحاسنها يكون حائزاً على الكمال والشرف .
فالاخلاق هي التي تبني شخصية الانسان وهي التي تشكل البعد الاخر والاساسي لوجوده وتضفي عليه الجمال والبهاء .

وما الانسان - لولا الاخلاق - الا كالبهيمة السائمة أو الوحش الضاري بل قد ترتفع قدر البهائم عنه - لو عدم هذه الفضيلة - فيكون كما قال تعالى :
« أولئك كالانعام بل هم أضل » (١) .

وهذا هو الواقع، فان البهيمة ان كانت تكنفى بما يسد رمقها فان الانسان - الذي ينسلخ من الاخلاق - لن يرتوي باراقة الدماء وقتل الابرياء ابداً، بل يظل يمارس القتل والفساد حتى يعجز بالموت .

والنماذج لهذا - في عصرنا الحاضر - عديدة: فسوموزا، وماركوس ، وكارمل، وبيگن ، وصادام، وهيلاسيلاسي . . . جاوزوا بارهابهم وسفكهم للدماء

الزكية، وقصفهم المدن الالهة بالسكان العزل، كل التصورات ..
 ومن يتابع حياة هؤلاء يجد انهم لم يدعوا مأثماً وجريمة الا ارتكبوها
 وان مالم يفعلوه ، فلم يكن لزهده فيه ، بل لعدم مقدرتهم عليه .
 ومن هنا فان جميع رسالات السماء جاءت لتحفظ الانسان في مسير
 التكامل وتمنعه من الانحراف والانزلاق في مزالق الهوى والشذوذ .
 والاسلام - كخاتمة لشرائع السماء - جاء ليتابع هذا الموضوع بجدية
 وشمول فقد قال الرسول الاعظم ﷺ : انما بعثت لانتم مكارم الاخلاق .
 فكم من دروس وعضات قدمها ﷺ لامته ، وكم من تعاليم ووصايا
 اجتماعية حرص على تطبيقها .

وحث ﷺ المسلمين على اتباع أفضل الاساليب في المعاشرة والسلوك
 مع بني نوعهم بل مع جميع الموجودات . .

وعلى هذا أيضاً سار الائمة الهداة من آل البيت ﷺ فأكدوا على الالتزام
 بشريعة الاسلام من اجل بناء مجتمع أفضل في عالم أفضل ، وأشادوا بالمكانة
 السامية (لعلم الاخلاق) في تعديل السلوك ، وتوجيه الغرائز نحو الخير
 والسلام .

ولهذا فقد اهتم علماء الاسلام بدراسة هذا العلم والتقوا فيه العديد
 من الكتب ، والتي تعد - بحق - فخراً لامتنا في عرض المنهج الصحيح
 للحياة ..

وأخذ علماء الاخلاق أساليب مختلفة في عرض هذا العلم الشريف :

فبينما يسلك العلامة ابن مسكويه (٣٢٠ هـ - ٤٢١ هـ) ، المنهج الفلسفي في
 تدوين كتابه : (تهذيب الاخلاق، وتطهير الاعراق) فيعتمد على الادلة العقلية
 والبراهين المنطقية، نجد العلامة الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ)، يعتمد في تأليف

كتابه: (احياء علوم الدين) على الاحاديث النبوية والايات القرآنية في عرض القضايا الاخلاقية ، بعيداً عن الاستدلالات العقلية والبراهين الفلسفية .

والى جانب هذين الاسلوبين في عرض علم الاخلاق يطالعنا مؤلف هذا الكتاب: (الشيخ عز الدين الحسين بن عبد الصمد) باسلوب ثالث يجمع بين عمق الاسلوب الاول وأصالة الاسلوب الثاني، وهو اسلوب عرض الاخلاق على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متبوعة بالادلة العقلية وأقوال الحكماء والعلماء في ذلك الشأن .

ولعل أهم ما يميز به (نور الحقيقة) من بين كتب الاخلاق الى جانب استيعابه لاهم البحوث الاخلاقية هو : انه يعرض مكارم الاخلاق بابلغ لفظ وأوجز كلام ، مما يشد القارئ بالكتاب ويجذبه الى المزيد من القراءة فلا يكاد ينتهي القارئ من تلاوة حكمة الا ويرغب في قراءة الاخرى ولا ينتهي من فصل الا ويبدأ بآخر .

نسخ الكتاب :

نسخ هذا الكتاب قليلة، ولعل نسخته الكاملة منحصرة بالفرد ، وقد يكون السبب في هذا هو: هجرة الكتاب الى ايرلندا، وعدم وجوده في متناول ايدي علماء الاسلام . وعلى كل حال فقد اعتمدنا في تحقيق نص الكتاب على :

١ - مصورة عن نسخة مكتبة جستربرتي برقم (ام - اس - ٣٨٢٠) وهي النسخة التي رآها العلامة الشيخ اغا بزرك الطهراني في كربلاء ، ووصفها في : كتاب الذريعة ج ٢٤ ص ٣٦٧^(١) .

(١) قد مضى وصف الشيخ لهذا الكتاب في ص ٨ - ١٠ .

ولهذه النسخة فهرس وضع في أول الكتاب زهاء صفحتين ونصف الصفحة .

ذكر فيها ابواب الكتاب الاثنتين والعشرين مع ذكر فصولها وعبارة من اول كل فصل .

فمثلاً : في باب العلم نجد الفهرس لفصوله بالشكل الاتي :

(فصل : ومما يجب على العلماء ان لا يخلوا ..

فصل : المتعلم ضربان طالب ومستدعى ...

خاتمه : ربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم) .

وفي باب الكتابة : (فصل : قد يعرض للخط ما يمنع من فهمه).

وكتب في اخر الفهرس :

(باب الموت فصل : القبر، وهو خاتمة الكتاب والفصول

اللهم اختتم اعمالنا بالقبول ، وسهل لنا بلوغ المأمول وانظمتنا في سلك

اصحاب العقول انك انت اللطيف الخبير وبالقبول حريّ جدير) .

والفهرس بهذا الشكل ان دل على شيء فهو يدل على ان الفهرس قد

وضع بعد الانتهاء من تدوين الكتاب .

وعدد صفحات هذه النسخة ١٨٤ صفحة .

وفي كل صفحة ٢١ سطراً وطول كل سطر ٧ سانتيمترات ونصف.

وليس على هذه النسخة هوامش كثيرة - غير ما كان للسقط الطاريء

أثناء الاستنساخ - الا هامشين كتباً بخط يغاير الخط الذي كتب به المتن ،

وهذا يعني : انهما كتباً بعد كتابة المتن استدراكاً وتعليقاً اضافياً .

وقد اشرنا الى كليهما في الهامش انظر ص ٣٨ وص ٥٣ أدرجنا السقط في

المتن من دون اشارة الى موضعه في النسخة .

ولهذه النسخة تعقيبات تدل على اول كلمة في الصفحة المقابلة
وأما التملكات فيمكن قراءة تملك درويش محمد العيفاوي النجفي ثم تملك
ولده ابراهيم بخطيهما .

وهناك تملك اخر لم يتبين لنا اسم المالك الا كلمة الموسوي .
وكتب منصور بن علي عقيل الحسيني عليها انه نظر وطالع في هذا
الكتاب .

وجميع هذه التملكات خالية عن التاريخ ..
ويحتمل قوياً ان لا تكون هذه النسخة هي نسخة الاصل التي كتبها المؤلف
وذلك لما يلي .

اولا : ان رسم الخط الذي كتب به الكتاب هو بعينه الرسم الذي كتب به
احد ابناء عم المؤلف رباعيته :

فيحتمل ان يكون ناسخ النسخة هو: تقي الدين بن علاء الدين بن تقي بن
عبد الصمد، ان لم يكن الناسخ متأخراً عنه أيضاً.

وثانياً ان فهرس مواضيع الكتاب قد وضع في اوله وليس الفهرس على
نحو يحتمل فيه : أن يكون لتذكر المطالب . بل قد ذكر في الفهرس سطرأ
أو نصف سطر من أول كل فصل من فصول الكتاب . وهذه قرينة على ان الكتاب
وجد مكتوباً فبدأ باستنساخ ووضع لفهرس قبل استنساخ الكتاب .

ولو كان المؤلف هو نفسه قد كتب الكتاب لوضع الفهرس آخر الكتاب
كما هو العادة .

وثالثاً كثرة السقط الموجود في هوامش الكتاب، حتى انه احياناً تسقط كلمة
واحدة أو نصف سطر ، أو سطر ، مما لا يكون ذلك من شأن المؤلف عند تأليف

الكتاب .

ثانياً: النسخة التي وقعنا عليها في مكتبة اية الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي في قم ضمن المجموعة رقم ٣٩٣ منسوخة عن نسخة اخرى كما ورد في وصف المخطوطة ^(١).

ويحتمل ان تكون النسخة المنقولة عنها هي النسخة الاولى والذي يؤيد هذا الاحتمال ان العبارات الغير واضحة في النسخة الاولى كتبت كما هي في هذه النسخة وايضاً فان موارد السقط مشتركة بين النسختين .

وفهرست مواضيع الكتاب قد وضع في اول الكتاب كالنسخة الاولى .
وقد اثبت على الورقة الاولى من هذه النسخة :

نور الحقيقة ونور الحقيقة مماعني بتأليفه وترصيفه أفقر عباد الله تعالى واحوجهم الى رحمة ربه الغني حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ، أصلح الله شأنه وصانه عما شانه في حاله ومآله بمحمد وآله ..

وقد كتب السيد المرعشي على الصفحة الاولى من المجموعة :

(في هذه المجموعة كتابان احدهما للشيخ حسين بن عبد الصمد، والاخر كتاب حياة الارواح ومشكاة المصباح ، للشيخ الجليل ابراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح بن اسماعيل اللويزاني الجدي، الجبعي الاب الكفعمي «صاحب المصباح» «والبلد الامين» وغيرهما .

والكتابان في غاية النفاسة ولم يطبعا بعد، وقد أكرمني بهذه النسخة الفاضل الاديب المؤلف الميرزا محمد علي صفوت التبريزي زمن مجاورته بقم المشرفة

(١) فهرست كتابهاى خطى كتابخانه آية الله مرعشى ج ١ ص ٤١٠ ما ترجمته : النسخة

المنقولة عنها هذه النسخة كان فيها سقط ، ولم يكتب مقداراً من أول الكتاب ، والباب السابع عشر، ومقداراً من آخر الكتاب .

حرره العبد شهاب الدين الحسيني المرعشي (١٣٨٠هـ) .
 واما ناسخ الكتاب فهو كماورد في الصفحة الاخيرة من هذه المجموعة : -
 تم تحريره على يد الفقير الحقير المقر بالتقصير أقل عباد الله تراب اقدام
 المؤمنين عين علي بن طهماسب ملا رجاني بتاريخ شهر جمادى الاخر سنة
 تسع وخمسين بعد الالف (١٠٥٩ هـ) .
 هذا وقد كتبت جميع المجموعة بخط واحد ..
 وهذه النسخة ناقصة من الاول بمقدار ثلاث صفحات ومن الاخر بمايقرب
 من نصف الكتاب - كما اشرنا اليه -
 وعدد صفحات هذه النسخة حسب ترقيم المكتبة ٦١ صفحة مزدوجة .
 وفي كل صفحة ٢١ سطراً .
 وطول كل سطر ٧ سانتيمترات ونصف .
 وتبدأ النسخة بقوله: أما الغريزي ونصف ونعني به ماسماه الحكماء عقلاً
 بالملكة وجعله الشارع مناط التكليف فقل هو العلم ببعض الضروريات ...
 وهذا هو في الصفحة (٣٦) من هذا الكتاب .
 وتنتهي بقوله : وليس قولنا ذلك، اغراء بتحكييم الغضب ، بل المراد انه
 اذا صدر ماينغضب أوقع الحلم على احد الوجوه التي .
 وهذه العبارة هي في اواخر الصفحة ١٣٥ من نسخته الاصل، وفي هذا المطبوع
 تكون في الصفحة (٢١٤) .
 ومن الجدير بالذكر ان الناسخ قد تصرف في بعض عبارات التسليم
 والترضية .

فغير عبارة (عليه السلام) الى (صلى الله عليه وآله) عند ذكر الرسول

الاعظم ﷺ .

وغير عبارة (رضي الله عنه) او (كرم الله وجهه) السي (عليه السلام) عند ذكر الامام علي عليه السلام .

وحذف عبارة الترضية التي ذكرها المصنف لبعض الصحابة .

واما العبارات المشطوبة عليها في نسخة الاصل فلم يوردها الناسخ رأساً ولم يشر اليها .

وعنوانات هذه النسخة مكتوبة بالاحمر، بينما اصل الكتاب مكتوب بالاسود .
وأما تملكات هذه النسخة .

فاول ما يطلعننا تملك ذو الفقار الرضوي . وتاريخ الختم غير واضح .
وقد استعار الكتاب لعدة أيام، زين الدين حسين الرضوي سنة ١١٥٦ هـ .
ثم انه قد اشتراه من مالكة كما يدل عليه ما كتبه على اخر المجموعة بنفس التاريخ .

وكان آخر من تملكه قبل اهدائه الى مكتبة السيد المرعشي هو محمد علي صفوت . الذي اهداه بدوره الى السيد المرعشي بتاريخ ١٣٢٦/٧/٢٠ هـ .

منهجنا في التحقيق

١ - عمدنا الى تغيير رسم الخط لبعض الكلمات الى ماهو المتداول المعمول به في الوقت الحاضر .

مثل: مساويه ص ٢٠٨ ، أوكد ص ٢٠٩ و ٢١١ ، جبريل ص ٢١٠ مخط
ص ٢٣٨ ، سخاوان ص ٢٣١ ، السائل - الوفا ص ٢٣٨ المصايب ص ٢٧٧
بقاك - فناك ص ٢٨١ . فقد ابد لنا هذه الكلمات وامثالها الى الرسم المتداول .
٢ - ابدلنا رموز التسليم على الرسول الاعظم ﷺ الى عبارة التسليم وذلك

مشاكلة لاكثر الموارد التي ورد التسليم على الرسول ﷺ فيها صريحاً .
واما عبارات الترضية فالواضحة منها اوردت كما هي ، وغير الواضحة
اوردت بالرمز (رضه) .

٣ - وقد سمينا النسخة التي رآها الشيخ اغابزرك الطهراني بـ كـريـلاء
بـ (نسخة الاصل) بينما سمينا النسخة التي وقعنا عليها في مكتبة اية الله المرعشي
في مدينة قم بـ (نسخة المرعشي) .

٤ - هذا وقد عرضنا عن الاخطاء الكثيرة التي كانت في النسخة الثانية بعد
ان تأكدنا من خطئها بمراجعة نسخة الاصل ولم نشر في الهامش الا الى ما
احتملنا صحته .

٥ - لم نورد العبارات المشطوبة عليها في نسخة الاصل خصوصاً وان
النسخة الثانية كانت قد عرضت عن ايرادها رأساً .

٦ - أما بالنسبة الى مصادر التحقيق فقد راجعنا مصادر كثيرة للنأكد من
صحة ما احتملناه الا انالم نشر الا الى بعضها في هوامش الكتاب .

واخيراً: نظراً لعدم وجود علامات التشكيل في المطبعة لم يمكننا تشكيل
الآيات القرآنية ونصوص الاحاديث مع ان نسخة الاصل كانت تحتوي على
موارد مشكولة . على امل ان نعمل الى ذلك في الطبعة القادمة باذن الله .

وفى الختام

وانا اذ اقدم هذا الكتاب القيم الى الامة الاسلامية أسأل الله سبحانه وتعالى
أن يتقبل هذا المجهود بقبول حسن وان ينفع به المسلمين من اجل بناء حياة
افضل وافساح المجال لوعي اسلامي متفتح ينطلق في التقدم والازدهار على
اساس تفهم القرآن الكريم واستيعاب السنة النبوية الشريفة . ويعمل على توفير
الرفاه والسعادة لجميع بني الانسان انه ولي قدير . محمد جواد الجاللي

قم المقدسة : في رمضان سنة ١٤٠٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعَقْلَ بِكَمَالٍ قُدْرَتِهِ وَجَلَّتْ مُتَعَدِّ الْعِلْمِ
 مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْبَيْتُ الْآتِ طَمَعٌ بِطَيْفِ حَمَلَةٍ وَأَرْشَدَهَا بِهِ إِلَى
 وَجْهِهِ الْمَعَارِشِ نَعْمَتِهِ وَنَدَّهَا بِهِ إِلَى الْجَلِيِّ بِحَاسِنِ الْأَدَابِ
 وَالْكَوْزِ عَلَى غَدْرِ الْكَالِ الْتَبَرُّ الْفَتْرَةِ الَّذِي تَنَزَّ بِتَطَوُّعِ
 سُلْطَانِهِ الصَّاحِبِ وَالرَّفِيقِ وَقَدَّسَ بَعْظَتَهُ عَنْ تَبَرُّ
 عَنِ الْوَلَدِ وَالْفَتْرِ فَمَنْ كَفَرْنَا بِهِ فَمَا نَأْخِرُ مِنَ السَّمَاءِ
 فَتَحَطُّ الطَّيْرُ وَتَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ نَحْنُ
 أَجْمَعُونَ حَمْدًا اسْتَدْرَجَ بِهِ نَبَاتُ بَيْعِ الْأَيَّامِ وَأَشْكُرُهُ
 شُكْرًا اسْتَمَطَّ بِهِ شَائِبَ نَعَائِهِ وَأَشْهَدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 شَاهِدًا يَتْلُمُ شَاهِدَهَا مِنْ أَقْحَامِ الْمَحَالِكِ وَيَنْدُمُ جَاهِدَهَا
 عِنْدَ اسْتِدَارِ الْمَتَالِكِ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
 الَّذِي أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى مَوْضُوعَاتِ الْوُجُودِ تَشْرِيقًا لَهُ
 وَتَوْطِئًا وَجَلَّ نَفْسُهُ الْمُقَدَّسَةَ حَضْرَةً جَلَالِ قُدْسِهِ لِهَيْزَانِ
 لَوْ كُنَّا عَلَى لِسَانِهِ عَلَى لِسَانِ اللَّهِ وَهِيَ بِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا
 أَفَوْعًا لِلَّهِ إِلَى رِعْدَتِهِ الْعَظِيمَةِ
 ١ - نَغْفِرُ لَهُ وَاسْتَغْفِرُ
 مَا قَدْ

وقف كتابخانه وقرامت خانه عمومی آیت الله العظمی
مرعشی نجفی - قم

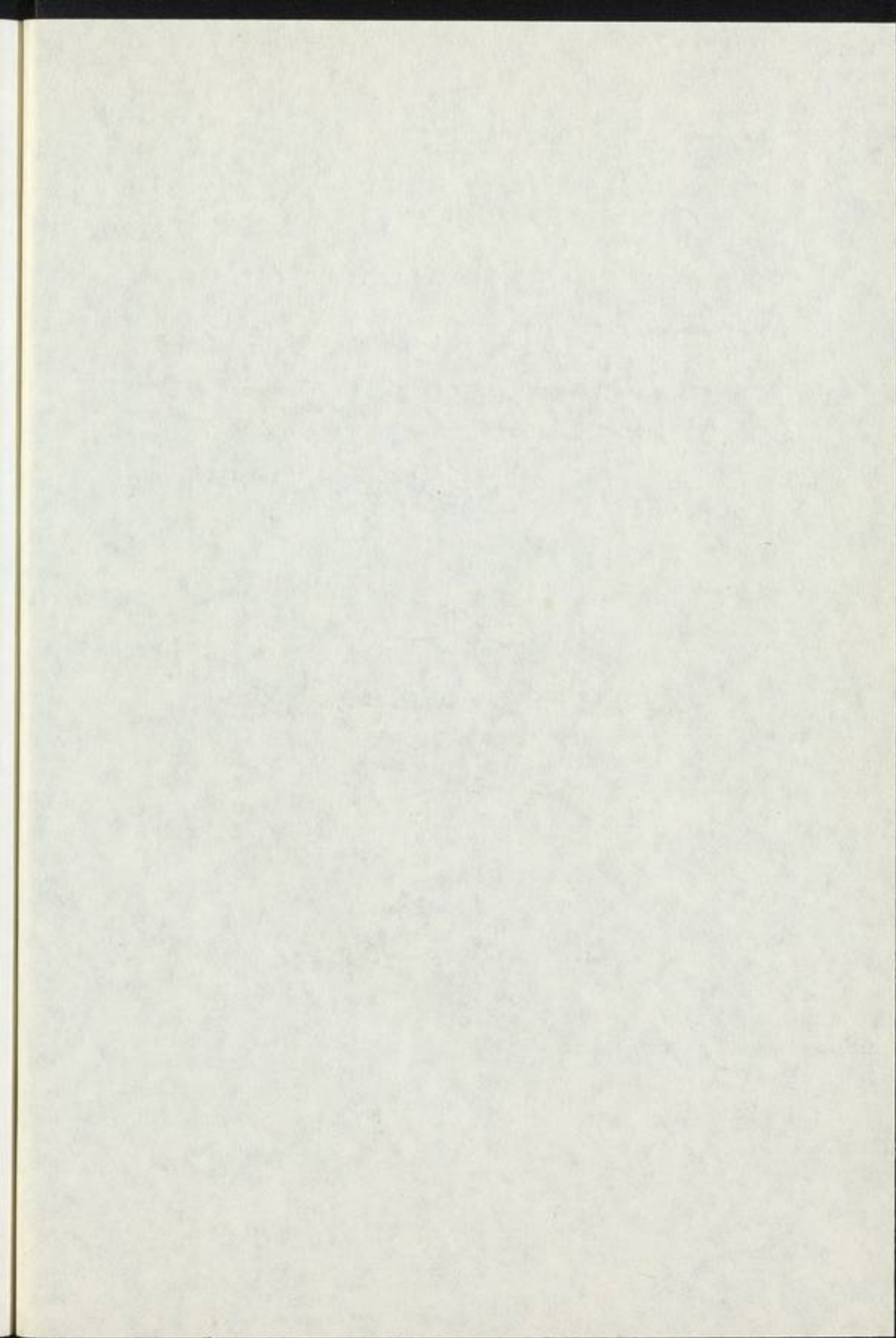
واما الفريزى ونفى به ما سماه الحكما اعتقاد بالملكية
وجعله الشارع مناط التكليف فليس هو العلم ببعض الضروريات
سواء كانت من مدركات احدا من الناس او كانت
مبتدأة في النفوس كالعلم بان الاثنين نصف الواحد ان
الشيء لا يخلو امن وجود او عدم اما كونه علما فلهذا تصور
انفكاكهما اذا لا يكون عاقل لا علم له او عالم لا عقل له اصلا
واما تعلقه بالضروريات فلان عام بالمظرويات مشروط
بكمال العقل فهو توقف على وجود العقل ثم على كماله فلا يكون
نفسه واما تعلقه ببعضها فلان العاقل قد يفقد كبريا الفريزى
لفقدان شرط ادراكها واعتراض على عدم الانفكاك بجواز التلزم

كما ندم المغنون لما انفقوا ح الخوف من العقوبة على الوفاء
 وهذا من ضعف النفس وربما اوحى الراي واقتضاه المزمع قد
 قبل لهم حجاب الافات ط انما ليدسائهم وحرمة لازمة
 وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد ففي مشور الحكم الكبريهم على
 للذم قال الشاعر ان الوفاء على الكرم فريضة والوفاء لله
 الاخلاف فترى الكرمين يعاشر منصفاً وترى
 اللئيم حجاب الانصاف في المكسر وتوقع الفرض الغفيرة
 وهذا من الذم ففي مشور الحكم من ظهر نفسه قسكياً فآ
 بعض الادباء غضب الجاهل في قوله وغضب المعاقلة
 فعله الا قصد ايذنه وتزايد غيظاً بالكوت عنه قال الكوت
 واهمال الشاب في بعض الموارد ربما كان اوجع لقلبه
 واشد على نفسه قال بعض الحكماء اذا مسكت عن الجاهل فقد
 اوسعته جواباً واوجعته عقاباً وقال الشاعر والكف
 عن شتم اللئيم تكرماً اضربه سر شتمه حين يثتم فنهزم سار
 العلم وبعضها افضل من بعض فالاولى ان يدع المرء الى الحكم
 افضل سببه فاذا غري عن احد هذه الاسباب كان ذلك الاحكام
 لازماً ذكرنا في حده انه ضبط النفس عن هيجان الغضب
 فاذا انقضى الغضب بعد سماع ما يغضب كان ذلك من ذلك
 النفس ومصدرها وقلة الحجة وفقد الشجاعة والغيرم
 والدواع والاختد بالنار وليس قولنا ذلك اغري بتحكيم الغضب
 بل المراد انه اذا صدر ما يغضبهم وقع الحكم على احد الوجوه التي

نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق

للشيخ عز الدين
الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي
٩١٥ هـ - ٩٨٥ هـ
والد الشيخ البهائي

محققه
محمّد جواد الحسيني الجاللي



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق العقل بكمال قدرته ، وجعله مستعداً لعلم ما تكمل به النفس الناطقة بلطيف حكمته ، وأرشدنا به الى وجوه المعاش بنعمته ، وندبنا به الى التحلي بمحاسن الاداب ، والكون على أعدل الحالات برأفته ، الذي تنزه بسطوة سلطنته عن الصاحبة والرفيق ، وتقدس بعظمة عزته عن الولد والشفيق «ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»^(١).

أحمدته حمداً أستدرّ به ينابيع آلائه ، وأشكره شكراً أستمطر به شآبيب نعمائه ، وأشهد أن لا اله الا الله شهادة يسلم شاهدها من اقتحام المهالك ، ويندم جاحدها عند انسداد المسالك .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي أخذ له العهد على موضوعات الوجود ، تشریفاً له و تعظيماً ، وجعل نفسه المقدسة في حضرة جلال قدسه ، اعزازاً له وتكريماً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

[...و بعد فيقول-] ^(١) أفقر عباد الله الى رحمة ربه الغني [...] ^(٢) بغفرانه واسكنه [...] ^(٣) مما قد [...] ^(٤) ونواهيهم ونوافلهم ^(٥) وأورادهم ^(٦) [...] ^(٧) أعمالهم ، فبذلوا في سبيل الله أنفسهم وأموالهم ، فنسج غيرهم بعدهم على منوالهم ، واقتدى بهم في أقوالهم وأفعالهم .

فخلد الله على ذلك عز دولته ^(٨) ، وبلغه من أعدائه - أعداء الدين - فوق أمنيته ، وحرس من الغير ^(٩) سلطانه ، وقرن بنفاذ الامر في الاقاليم السبع يده ولسانه ، ليدوم على أهل الايمان عموم التفضل والعز والامان .

ولما كان لكل مخلوق في هذا الدعاء حظ وافر يصل اليه كان جديراً بالحكيم المتفضل بقوله ، بل والزيادة عليه ، انه هو الرؤف الرحيم .

ثم اني تحررت في كتابي هذا الاختصار على حسب الحال ، وقدر سعة

(-) هكذا ظاهراً والاصل بياض .

(٢) بياض في الاصل مقدار خمس كلمات .

(٣) بياض في الاصل مقدار ست كلمات .

(٤) بياض في الاصل مقدار ستة أسطر تقريباً .

(٥) النافلة : ما يفعله الانسان مما لا يجب عليه وفي التنزيل العزيز : فتهجد به

نافلة لك (لسان العرب) .

(٦) الورد : النصيب من القرآن . - قال أبو عبيد : تأويل الاوراد انهم كانوا

أحدثوا ان جعلوا القرآن أجزاء كل جزء منها فيه سور مختلفة من القرآن على غير

التأليف جعلوا السورة الطويلة مع اخرى دونها في الطول ثم يزيدون كذلك حتى يعدلوا

بين الاجزاء ويتمموا الجزء ، ولا يكون فيه سورة منقطعة ولكن تكون كلها سوراً تامة .

والورد أيضاً : الجزء من الليل يكون على الرجل يصلية (لسان العرب) .

(٧) بياض في الاصل مقدار كلمتين .

(٨) الضمير عائذ الى السلطان الذي له هذا الدعاء .

(٩) الغير : جمع غيره ، وغير الدهر : أحداثه المغيرة .

الاحتمال ، ولم أطلق للقلم العقال ، والا" لقال في هذا النحو فأطال فربما أفضى الى الملل فالا همال .

وها أنا استمنح من كرم الجواد المتعال أن يجعلني من أهل الفعال
[...]^(١)

(١) بياض في الاصل مقدار ثلاثة أسطر تقريباً . وحسب تتبعنا فلا بد أن يكون عنوان الباب الاول وهو (باب العقل) ضمن هذا الساقط والبياض الممسوح .

باب العقل^(١)

وكونه ذا اعتبارات...^(٢) وما يترتب على ذلك وتقسيمهم العقل للنفس الناطقة على أربعة أقسام .

والكلام على ذلك مبين في الكلام^(٣) وانما كلامنا هنا في العقل المصطلح وهو قسمان : غريزي ، ومكتسب :

اما الغريزي^(٤) ونعني به ما سماه الحكماء عقلا بالملكة وجعله الشارع مناط التكليف فقليل : هو العلم ببعض الضروريات ، سواء أكانت من مدركات أحد الحواس الخمس ، أو كانت مبتدأة في النفوس ، كالعلم بأن الاثنين نصف الواحد ، وأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم :

أما كونه علماً : فلعدم تصور انفكاكهما ، اذ لا يكون عاقل لاعلم له أو عالم

(١) العنوان زيادة منا ، وفي النسخة نقص - كما اشرنا - وتبدأ من قوله :

وكونه ...

(٢) كلمة غير مقروءة .

(٣) أي في علم الكلام .

(٤) من هنا تبدأ نسخة مكتبة آية الله المرعشي .

لاعقل له أصلا .

وأما تعلقه بالضروريات : فلان العلم بالنظريات مشروط بكمال العقل فهو يتوقف على وجود العقل ثم على كماله ، فلا يكون نفسه .

وأما تعلقه ببعضها : فلان العاقل قد يفقد كثيراً من الضروريات لفقدانه شرط ادراكها .

واعترض على عدم الانفكاك بجواز التلازم بينهما .

وقال الامام ^(١) : العقل غريزة يتبعها العلم ببعض الضروريات عند سلامة الالات ، اذ النائم لم يزل عقله ، وهو غير عالم - في حالة النوم - بشيء من الضروريات ، وكذا اليقظان الذي لا يستحضر شيئاً لدهشة وردت عليه ، فمن ثم ظهر أن العقل ليس عبارة عن العلم بالضروريات لابعضها ولا كلها ، أما اذا كان سالماً عن الافات كلها في الالات كلها فانه يكون مدركاً لبعض الضروريات قطعاً .

وقد ظهر من حال النائم أن العلم قد ينفك عن العقل فلا يتم ما ذكر أولاً ^(٢) كما لم تتم الملازمة .

وفيه شيء .

نكتة : وانما سمي العقل عقلاً ، تشبيهاً بعقل الناقة ، فكما أن العقال يمنع الناقة من الشرود اذا نفرت ، كذلك العقل يمنع صاحبه من القდوم على شهواته اذا قبحت .

واما المكتسب : فهو من نتائج الغريزي : وهو عبارة عن تقانة المعرفة ،

(١) هو الامام الفخر الرازي .

(٢) في نسخة المرعشي ما ذكر فيه .

وصحة السياسة ، وحسن المداراة فسي كل الامور ، واصابة الفكر ^(١) وليس لهذا حدّ لانه ينمو اذا استعمل ، وينقص اذا أهمل ، واستعماله بكثرة التجارب لان التجربة مرآة العقل ، والغرة ثمرة الجهل ، قال الشاعر :

ألم تر أن العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب
وقال الشاعر :

اذا طال عمر المرء في غير آفة أفادت له الايام في كرها عقلا
ولهذا حمدت العرب آراء الشيوخ ، ومن أكثر من ممارسة الامور ، فقالوا :
المشايع أشجار الوقار ومنايع الاخبار لا يطيش ^(٢) لهم سهم ولا يسقط لهم
وهم .

وقالوا : عليكم بآراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على
عيونهم وجوه العبر ، ونصدّت أسماعهم لاثار الغير .

وفي منشور الحكم : من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله .
وقد يكون نموه لفرط الذكاء وحسن الفطنة ، فانهما اذا امتزجا بالعقل
الغريزي صار نتيجتها نمو العقل المكتسب .

وهذا كالذي يكون في الاحداث من وفور العقل وجودة الرأي ولقد قالت
العرب : عليكم بمشاوره الشبان فانهم ينقلون رأياً لم يقله طول القدم ولا

(١) ورد في هامش نسخة هذه العبارة : (هذه الامور ، في حقيقة الامر ، تصدر
عن العقل المكتسب ، فيدل عليه دلالة الاثر على المؤثر ، وليست منه كما لا يخفى ، الا
أنه لما لم يمكنني تعريفه تحررت في الفرعة) الا انها في نسخة المرعى ذكرت في
المتن . وانما ذكرناها في الهامش لمغايرتها في الخط لمتن نسختنا ولعله توضيح منه
(قدس سره) .

(٢) طاش : مال عن الهدف .

استولت عليه رطوبة الهرم وقال بعض شعرائهم :

رأيت العقل لم يكن انتهاباً ولم يقسم على عدد السنين

ولو أن السنين تقاسمته حسوى الالباء أنصبه البنين

ثم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي ، لانه نتيجةه ، وقد
ينعكس ، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل ، موفور الرذائل ، ملحقاً بالبهائم ،
شبيهاً بالجماد أو النائم .

فصل^(١)

واما الدهاء والمكر : فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ، ولو صرفه الى الخير لكان محموداً .

وقد اختلف فيمن صرف فضل عقله الى الشر والدهاء كـ (زياد) وأشباهه من الدهاة هل يسمى ذلك منهم عقلاً أم لا ؟

قال بعضهم : اسميته عاقلاً ، لوجود العقل فيه .

وقيل : بل لا يسمى عاقلاً حتى يكون فاضلاً خيراً ديناً ، لان الخير والدين من مقتضيات العقل ، أما الشرير : فلا يسمى عاقلاً ، بل صاحب فكرة وروية .
واقول : ^(٢) لكل من الاصطلاحين وجه ، وان تأيد الثاني بأمور :

منها . ما قيل : العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه .

واقول : لعله محمول على كمال العقل وسقوط غيره عن درجة الاعتبار ، وأمثاله كثير .

ومنها : ما قاله ائمة من أصحابنا الشافعية : انه لو أوصى لاعتقل الناس ؟
يكون مصروفاً الى الزهاد الاتقياء ، لانهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالامل .
ومنها : ما روي عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال : يا عويمر ، ازدد

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي فصل : الدهاء والمكر .

(٢) ليس في نسخة المرعشي .

عقلا تزدد من ربك قريباً ، وبه غنى .

قال : فقلت : فذاك أبي وأمي ، ومن لي بالعقل ؟

فقال : اجتنب محارم الله ، وأدّ فرائض الله ، تكن عاقلاً . ثم تنفل صالحات

الاعمال ، تزدد في الدنيا عقلاً ، وتزدد من ربك قريباً وعزاً .

وأقول : لادلالة في الموضعين الآخرين ^(١) أيضاً على المطلوب ^(٢) ، لأن

الكلام - فيهما - في زيادة العقل ، كما يدل عليه لفظ « أفعل التفضيل » في

الاول ، ولفظ « ازدد » في الثاني .

والكلام في قوله : « تكن عاقلاً » على نحو ما تقدم ^(٣) .

فيكون القول الاول قوياً ، ان كان الاختلاف في التسمية لغة ، وان كان

بحسب الاصطلاح فلانزاع فيه ، والله تعالى أعلم .

(١) هما ١ / ماقاله جماعة من الشافعية ، ٢ / المروى عن رسول الله (ص) .

(٢) وهو القول الثاني ، وهو ان العاقل من كان خيراً ديناً .

(٣) وهو الحمل على كمال العقل .

فصل

والعقل من أشرف مخلوقات الله تعالى ، وأدلهها على وجوده ووحدانيته وقدرته التامة وحكمته البالغة .

وقد روي ان الله جل وعلا خلق العقل قبل كل شيء ثم قال له : أقبل ، فأقبل ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال تعالى : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أشرف منك ، ولا جعلتك في أحب الخلق الي .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : العقل نور يقع في القلب يفرقه بين الحق والباطل .

وقال بعض الحكماء : اذا عقلك عقلك عما لا يعينك فأنت عاقل .
وقال بعض العلماء : العاقل اذا والى بذل في المودة نصره ، واذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيسعد مواليه بعقله ويعتصم معاديه بعدله .

وقال بعض الصلحاء : أعقل الناس رجل وسع الله عليه في الدنيا ، فشكر ليوسّع عليه في الآخرة ، ورجل ضيق الله عليه في الدنيا ، فصبر ، لئلا يضيق عليه في الآخرة .

وقال بعضهم : حسن العقل الجمال الباطن ، وحسن الصورة الجمال الظاهر .

وقال بعض الشعراء :

ما وهب الله امرءاً هبة أحسن من عقله ومن أدبه

هما جمال الفتى فان فقدنا [فـ] فقدته للحياة أجمل به
وقال بعض البلغاء : العقل ملك ، والخصال رعيته ، فاذا ضعف عن القيام
عليها ، وصل الخل إليها .

سمع هذا بعض الاعراب فقال : هذا كلام يقطر عسله .
فالحاصل : ان العقل رأس كل صلاح دنيوي وأخروي :
أما الدنيوي : فواضح ما يترتب عليه في أمور المعاش واكتساب الفضائل
والود من الناس ، وغير ذلك .

وأما الاخروي : فأبلغ من ذلك بأضعاف مضاعفة ، من حيث أنه دال على
معرفة الله تعالى ، ومعرفة أنبيائه ، ومعرفة ما جاءوا به من الاوامر والزواجر
والمعارف .

ثم انه باعث على امتثال الاوامر والكف عن الزواجر ، لما يعلمه ^(١)
مما يترتب على ذلك من الثواب الجزيل والنعيم الدائم الذي لا يحصى عدده
ولا ينقطع أمدّه . مع النجاة من العذاب الاليم كذلك ، وهل فوق هذا سعادة ؟
أو يتصور أحد عليه زيادة ؟

ومن ثم اعتقد أولياء الله تعالى أن من لم يطع الله فلا عقل له . ولعمري
لقد أصابوا الصواب في ذلك لان الناس تحكم بعدم عقل من أذهب ماله في
مضيعة ، فكيف بمن ^(٢) أذهب دينه ؟

وتحكم بحقق من أقبل على مخالفة سيده في الامور المقدورة الموجبة
اسائه سيده اليه ، فكيف من أقبل على مخالفة خالقه ورازقه وهو يعلم أنه مقتدر
عليه ؟

(١) في نسخة المرعشى : لما يعلم .

(٢) في نسخة المرعشى : من

وأبلغ من ذلك: أن أحداً لا يشك في جنون من عمداً إلى زوجته - مثلاً - فجاء معها
والناس تنظر إليه، على أنهم لا يقدرّون له على ضرر، فكيف من يتعاطى المعاصي
وهو يعلم أن موجد العالم ومدبره مطلع عليه؟ هل هذا الامحض الجنون؟!
ولهذا قيل: الجنون على فنون.
اللهم اسلك بنا سبيل الرشاد، واجعلنا من أهل السداد، انك انت الكريم
الجواد.

ومن ثم ذهب بعض السلف إلى: أن الفاسق سفيه لا تصح معاملته ولا عقوده
فقال: يحجر عليه في تبذير ماله، ولا يحجر عليه في تبذير دينه؟!
وممن ينسب إليه أيضاً هذا القول ابن عباس رضي الله عنهما وأرضاهما.
ويقرب من هذا قول الشاعر:

أبنيّ أن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطناً بكل مصيبة في ماله	واذا أصيب بدينه لم يشعر

فصل^(١)

وأما الحمق : فكله ردائل .

فعن النبي صلى الله عليه أنه قال : الاحمق أبغض خلق الله اليه ، اذ أحرمه الله تعالى أعز الاشياء اليه .

وعنه صلى الله عليه : الاحمق كالنخار لا يرقع ولا يشعب .

قال الجنيد : فاسق عاقل أحب الي من قارىء أحمق .

وقال بعض العلماء : يحترز الاحمق من كل شيء الا من نفسه .

وقال بعض البلغاء : الاحمق ضال مضل أن أونس تكبر ، وان أوحش تكدر ، وان استنطق تخلف ، وان ترك تكلف ، مجالسته مهنة^(٢) ، ومعايبه مجنة^(٣) ، ومجاورته تفر^(٤) ، وموالاته تضر ومقاربتة عمى ، ومفارقته شفاء .

قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطاب به الا الحماقه أعيت من يداويها

وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على أحد حبسته مع احمق .

(١) في نسخه المرعشى فصل : الحمق .

(٢) مهنة : موجهة للوهن والخفة .

(٣) مجنه : مخجلة .

(٤) تفر : توجب الفرار والغفلة .

وربما أساء الاحمق الى غيره وهو يظن أنه قد أحسن اليه، فيطالبه بالشكر! وأقول: ان مساوىء الاحمق لاتنتهى، وعيوبه لاتنقضي فليس لعار الجهل غاية ، ولالامضار الحمق نهاية ، فما أكثر العبر لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر. فاذا رأيت الدنيا قد أقبلت على الاحمق بالاتفاق ، وأدبرت عن العاقل بغير استحقاق ، فلا يحملنك ذلك على الرغبة في الحمق، والزهد في العقل ، فسدولة الجاهل كالغريب الذي يحنّ الى الرحلة، ودولة العاقل كالنسيب الذي يحن الى الوصلة .

فصل^(١)

ومما يضاد العقل ويصد عن الصواب ويحذرهُ أو لو الالباب : الهوى، وهو من هوى اذا سقط من علو فكانه لما كان يهوى بصاحبه من المحل الاسنى الى الحضيض الادنى اشتقله منه اسم ، فكما ان الشيء اذا سقط لا يمكن رجوعه من قبل نفسه حيث أنه يقصد المركز بطبعه^(٢) ، فكذلك هوى النفس اذا مال الى شيء لا يمكن رجوعه من قبل نفسه ، لوجود الداعي وفرض عدم المانع . وكما ان الشيء اذا هوى من علوّ أمكن رده الى مستقره الاول أو دونه، او فوقه، في محله بحسب قوة الرادّ وضعفه، وذلك الرادّ أمر أجنبي عارض من فعل حي أو غيره .

فكذلك الهوى اذا هوى بالنفس الشهوات أمكن رده الى محله بحيث كأن لم يهو ، أو دونه ، أو فوقه ، بحسب قوة الرادّ وضعفه، وذلك الرادّ هو العقل وذلك لاجل ما يتدبره من المضار الدينية او الدنيوية عاجلاً أو آجلاً .
فالحاصل : أن الهوى للعقل مضاد ، وعن الصلاح صاد ، فهو مهلك ان لم يكن مغلوباً .

قال بعض الحكماء : الهوى صداد يعلو القلب فلا تنطبع فيه صور حقائق

(١) فى نسخة المرعى فصل : الهوى

(٢) يقصد مركز الكرة الارضية التى تجذب اليها الاجسام الساقطة .

الاشياء على ما هي عليه ، فلا ترشد تابع الهوى في حال استيلاء الشهوة والغضب عليه ، لانها حال احتجاب عقله .

ولهذا قيل : الهوى كالنار ، اذا استحكمت ابقادها عسر اخمادها .

وقالوا : ليس الاسير من أوثقه عداه ، بل من أوثقه هواه .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : الهوى الاله يعبد من دون الله ، ثم تلا قوله تعالى : «أفرءيت من اتخذ الهه هواه» ^(١) .

وقال عكرمة ، في قوله تعالى : «ولكنكم فتنتم أنفسكم» : يعني بالهوى والشهوات .

«وتربصتم» ؟ يعني بالتوبة ^(٢)

«وارتبتم» : يعني في أمر الله .

«وغرتكم الاماني» : يعني التسويف .

«حتى جاء أمر الله» : يعني الموت .

«وغرركم بالله الغرور» : يعني الشيطان ^(٣) .

وقد وصف بعض البلغاء الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال : الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المحنة ، فانزل عن الهوى تسلم وأعرض عن الدنيا تغنم ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتنك دنياك بحسن العوادي ، فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الدهر ترتجع ويبقى عليك ضرر ما تركته من المحارم وتكنسبه من المآثم .

أما اذا غلب العقل على الهوى . فانقاد له ، صار الهوى بالعقل مدحوراً ،

(١) سورة الجاثية : ٢٣/٤٥

(٢) في الاصل : وغرتكم الحياة الدنيا ، بعد قوله (بالتوبة)

(٣) الآية المفسرة من سورة الحديد : ١٤/٥٧ .

وباليقين مقهوراً ، فله الحظ الاوفى من ثواب الخالق وثناء المخلوقين .
قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى »^(١).

وقال بعض الحكماء : أعز العز التخلص من تملك الهوى .
وقال آخر : من أطاع هواه أهلكه وأرداه .
وقال بعضهم : الهوى هو ان غلظ باسمه .
واخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

ان الهوى لهو الهوان بعينه فصريع كل هوى صريع هوان
وقال بعض الحكماء : أشجع الناس من غلب هواه .

وقال بعض العارفين : جاهدوا هواكم أشد مما تجاهدون أعداءكم .
وكان علي عليه السلام اذا رجع من جهاد الكفار يقول : رجعنا من الجهاد الا صغر
الى الجهاد الا كبر .

يعني : مجاهد النفس والهوى .

وقال بعض العلماء : ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة ، والبهائم من شهوة بلا عقل ، وابن آدم منهما ، فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلبت شهوته على عقله فهو شر من البهائم .
ولله دره على ما قال .

فصل

قد يخفي الهوى مكره فينمو على العقل ويغلب عليه بقره، فيتصور القبيح حسناً ، والضرر نفعاً ، وذلك لشدة ميل النفس ، فيخفي عنها القبح .
ولذلك قال النبي صلى الله عليه : حبك للشيء يعمي ويصم .
اي : يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة .
وقال إِبْنُ أَبِي : الهوى عمى .
قال الشاعر :

ولست براء عيب ذي الودّ كله ولا بعض مافيه اذا كنت راضياً
فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا
وقال بعضهم : الهوى يقطان والعقل راقد ، فمن ثم غلب عليه .
وقيل في المثل : العقل وزير ناصح ، والهوى وكيل فاضح .
وطريق التخلص من هذا المكر : أن يجعل فكر قلبه حكماً على نظر عينيه ،
فان العين رائد الشهوة ، والشهوة من دواعي الهوى ، والقلب رائد الحق ، والحق
من دواعي العقل .
وقال بعض الحكماء : نظر الجاهل بعينه وناظره ، ونظر العاقل بقلبه
وخاطره .

وقال بعضهم أيضاً : شهوات العاقل من وراء فكرته ، فاذا انبعثت له شهوة

مرت بفكرته فنظر في مبادئها وعواقبها وتدبر فيها بحكم الرأي، وعمل بمقتضى العقل لا الشهوة وفكرة الاحق من وراء شهوته ، فكلما انبعثت له شهوة مرت نافذة لوجهها لا يردّها شيء .

ثم ليتهم نفسه في تصويب ما أحببت وتحسين ما اشتئت فان أشكل عليه أمران اجتنب أحبهما اليه، وأسهلها عليه ، فان النفس عن الحق أنقر وللهمى أثر .

فائدة :

وأما الفرق بين الهوى والشهوة : فقد قيل فيه :
ان الهوى يكون في الاراء والاعتقادات ، والشهوة تختص بنيل المستلذات فتكون الشهوة من نتائج الهوى فهي أخص ، والهوى أصل فهو أعم .
ونحن نسأل الله اللطيف أن يكفيننا دواعي الهوى ، ويصرف عنا سبل الردى، ويجعل العقل لنا مرشداً ، والتوفيق لنا قائداً، انه هو الرحيم الكريم.

فصل

ومن أعظم وانفع ما يبعث عليه العقل : تقوى الله تعالى ، لأنها أربح المتاجر وأكبر الذخائر عند الله تعالى ولهذا أكثر من مدحها والامر بها في كتابه العزيز كما في قوله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ^(١) « يا أيها الناس اتقوا ربكم » ^(٢) « واتقوا الله لعلكم ترحمون » ^(٣) « واتقون يا اولى الالباب » ^(٤) وامثال ذلك كثير .

وعلى نحو ذلك جاءت الاحاديث المطهرة من الرسول ﷺ ، وعلى نحو ذلك كانت وصايا العلماء والأتقياء والصالحين لمن بعدهم .
وقد صفحناعن رقم ^(٥) شيء من ذلك خوف الاطالة وان كان معظم كتابي هذا فيما يبعث على التقوى .

(١) (سورة الحجرات : ١٣/٤٩)

(٢) قد ورد في الكتاب العزيز : في ثلاثة موارد وهي : (النساء : ١/٤) و(الحج ١/٢٢) و(لقمان : ٣٣/٣١) وورد قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله» في ستة موارد انظر المعجم المفهرس ص ٧٦٠

(٣) (الحجرات : ١٠/٤٩)

(٤) (البقرة : ١٩٧/٢)

(٥) الرقم : الكتابة .

فصل

وهي تكون بطاعة الله تعالى في امتثال أوامره والكف عن زواجه ، وهي عند الاولياء المخلص الذين كل ما يتعاطونه في دار الدنيا من أنواع المستلذات على اختلاف أنواعها ، لما قد أشربت قلوبهم من حبها ، فاستنارت وأشرقت وابتهجت بها ، لاسيما وقد شابوها بالذكر والعبادة والاعمال الراجحة ، فحقرت نفوسهم الدنيا وما عليها .

قيل لراهب : متى عيدكم ؟ فقال : كل يوم لانعصي الله تعالى فيه فهو يوم عيد .

وخرج بعض الزهاد في يوم العيد في هيئة رثة فقبل له : أتخرج في هذا اليوم بمثل هذه الهيئة ، والناس يتزيّنون ؟ !
فقال : ما تزيّن أحد بمثل طاعة الله .

ثم اعلم : أن الداعي اليها لا يخرج عن ثلاثة أمور :
أحدها : حب الله تعالى ، وتصور [هـ] طرفاً من جلاله وكماله وفضاله ،
بمعنى انه يجد الله عزوجل - بما هو عليه من الصفات - أهلاً لان يعبد ويطاع ، مع قطع النظر عن وعد أو وعيد .

كما روي عن علي رضي الله عنه انه قال : ما عبدتك طمعاً في جنتك ، ولا خوفاً من

نارك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك ^(١) .

وهذه عبادة المحبين . قال الله تعالى : «والذين آمنوا أشدَّ حباً لله» . ^(٢)

ثم كلما از داد حباً لله ، از داد في العمل والخضوع والخشوع .

وثانيها : الرغبة في ثواب الله عزوجل الذي وعده .

وثالثها : الرهبة من عقابة الذي أوعده به .

أما الداعي الاول : فهو داعي المقربين الاختيار المنزهين عن شوائب الكدورات النفسية والطبيعية ، فهذه المرتبة من أعلى المراتب وأشرفها ، لان الداعي اليها أشرف الدواعي ، أعني علّة العلل «عزوجل» .

وأما الداعي الثاني : فهو داعي المتقين الراغبين وهودون الاول في الرتبة بكثير ، حتى أن أصحاب الرتبة الاولى يجعلون هذا والذي بعده شركاً بالله تعالى ، لانه لم يعبد عبادة مخلصه ، بل مشوبة بالرغبة أو الرهبة ، ويجعلون معنى الاخلاص في قوله تعالى : «وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» ^(٣) قطع النظر عن كل ما سواه .

ومن ثم قيل : حسنات الابرار سيئات المقرّبين . الا أن الراقق ^(٢) لهذا الداعي أكثر ، وهو فيما بين الناس أشهر ، والنفعة به أعم . ولهذا جاء القرآن العزيز والاحاديث المطهرة مشحونين بالوعد الاخروي من الجنّات والانهار ، والحدود العين والولدان وما شاكل ذلك من النعيم المقيم ، ليحث النفوس ويهيئها على الطاعة فيكون ذلك سلماً ومرقى الى الدرجة الاولى .

(١) (سورة البقرة : ١٦٥/٢) .

(٢) (سورة البينة : ٥/٩٩) .

(٣) الراقق : الناظر والمتطلع .

ثم كلما ازداد شوقاً الى الجنة وتصور ما اعدّه الله فيها من النعيم
ازداد بذلك رغبة فيزيد في العمل الصالح .
واما الداعي الثالث: فهو داعي الخائفين وهو قريب من الثاني بل لا يكاد
ينفك عنه بدليل ما قد قرن الوعد بالوعيد في الكتاب المجيد والاحاديث النبوية
ولما قد علمه المسلمون من أن المآل امّا الى جنة او الى نار اذ لا ثالث لهما .

فصل (١)

واشد ما يخاف على المتقي شيان : الرياء ومنازعة الهوى .

اما الهوى : فقد تقدم الكلام فيه . (٢)

واما الرياء : فهو من اكبر الافات على المتقي لانه اسرع شيء تطرقاً ، لا يسلم منه السلامة الكلية الا من ائتم بعناية الله تعالى فملك عقله على نفسه وهوواه ،

واما الكثير منه فلا يوجد الا في خسيس النفس ، مهان القدر فيقصده به استعطاف القلوب النافرة . وقد يكون لرغبة دنيوية ، او خوف يدقوية ، فيتشبه بالصلحاء وليس منهم ويتدلس بالاخيار وهو ضدهم قال الله تعالى : «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً» (٣) قال جميع أهل التأويل : معنى لا يشرك هنا لا يراني بعمله أحداً ، فجعل جل وعز ، الرياء شركاً وناهيك بذلك ذما وقانا الله منه ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

قال الحسن البصري في قوله تعالى :

(١) في نسخة المرعشي : فصل الرياء .

(٢) في ص ٤٧ .

(٣) (سورة الكهف : ١٨ / ١١٠) .

«ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها»^(١) .

لا تجهر بها رياء ولا تخافت بها حياء .

وعن النبي ﷺ أنه قال : اخوف ما أخاف على امتي الرياء الظاهر والشهوة الخفية .

وبالجملة : فالمرائي اخسر الناس لانه لم يقصد وجه الله فيؤجر ، ولا يخفي رباؤه على احد فيحمد أو يشكر ، اذ لا يرتفع الا من رفعه الله جل وعز ، وكل عزيز غالب الله مغلوب ، فهو من : «الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا»^(٢) .

وقد يفضي الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به ، حكى الاصمعي : أن أعرابياً صلتى والى جانبه جماعة ، فقالوا : ما أحسن صلاتك ؟ ! . فقال : وانا مع ذلك صائم .

فاستخروا به وانشد له بعضهم :

صلى فأعجبني وصام فرابني نحّ القلوص عن المصلي الصائم
وقد يحس ذو الفضل بنفسه ميلا الى المراءاة فيبعثه فضله وبصيرته الى هتك ذلك ، ويكون ذلك أبلغ في فضله ، كما حكى عن عمر بن عبد العزيز (رضه) انه قال لمحمد بن كعب : عظني .

فقال لأرضى نفسي لك لاني أجلس بين الغني والفقير فأميل على الفقير واوسّع للغني .

وقد يفضي الرياء بصاحبه الى الاخلاص ، لما ينظره ببصيرته من أن الله

(١) (سورة الاسراء : ١٧ / ١١٠) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : «قل : هل تنبئكم بالآخرين اعمالا ؟ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا» . (سورة الكهف : ١٨ / ١٠٤) .

تعالى أحق أن يخشى ، وأنه لا يغلب في شأنه ، ولا ينازع في سلطانه وأن الناس اشخاص مثله ، لا يقدرّون له على نفع ولا ضرر الا باذن الله . ولهذا قيل : الرياء قنطرة الاخلاص .

حكى : ان بعض الشبان اتفق أنه وقع نظرة على ابنة الملك فوق حبهما في قلبه موقعاً قوياً ، حتى تمكن فيه العشق والشغف ، وكان ذاعقل وروية الا أنه كان فقيراً جداً ، خامل الذكر والقدر ، فكتم ذلك زماناً طويلاً لخوفه من القتل ان افشاه ، ولما التهبّت فيه نيران العشق والهيجان حتى عيل صبره ^(١) وانتحل جسمه وايقن بالهلاك أطلع على سره شيخاً عالماً صالحاً من تلك المدينة ، وقال : اني هالك لامحالة فهل تجسد لي حيلة أو دواء أو ما اتسلّى به ؟ .

فقال : نعم ، ان فعلت ما اقول لك رجوت ان تبلغ مرادك ، وذلك : أن تمضي الى الصفّة الفلانية في الجامع الكبير فتجلس ثم ليلاً ونهاراً ، صائماً نهارك قائماً ليلك ، تالياً للقرآن ، راکعاً ، وساجداً ، باكباً خاشعاً مطمئناً في كل الاوقات ، واياك ان تنظر الى أحد أو تكلمه او تاخذ منه شيئاً أو تلتفت اليه بوجه من الوجوه - وان كان السلطان نفسه - ، أو تمضي اليه ان طلبك فعند ذلك يشيع خبرك في المدينة ويتصل بالسلطان ، ولا يخفى عليك أنه يحب الصلحاء والعباد ، فيوشك عند ذلك أن يختارك زوجاً لبنته .

فوقع ذلك في قلب الشاب وسرّ به ، وفعل كل ما أمره به على أبلغ مما قال ، واستمر كذلك زماناً طويلاً ، حتى شاع أمره في المدينة ، وصيامه ، وصلاته وبكاؤه ، وخشوعه ، وزهده ، واعتقدوا أن مابه من الاصفرار والنحول لشدة خوفه وكثرة صيامه وقيامه .

(١) اي غلب صبره .

فكانوا يأتون اليه ويسألون منه الدعاء ، ويقبلون يديه ورجليه ، وهو مع ذلك لا يلتفت الى أحد ، بل مستمر على البكاء والذكر والصلاة وتلاوة القرآن حتى اتصل خبره بالسلطان ، فكان يأتي اليه مع وجوه دولته فيتبركون به . ويخضعون له ، وهو مع ذلك مقبل على شأنه لا يلتفت اليهم ، فازداد بذلك قدره وعظم أمره ، حتى أوقع الله في قلب السلطان أنه لا يصلح لابنته بعلا الا هذا العابد - ان كان يرضى بذلك - . ورأى الملك أنه ان تقرب الى هذا الملك الاخروي وزوجه بنته فقد تمت له السعادة في الدارين ، فوجه اليه جماعة من علماء البلد وصلحاتها ليستلوا منه ذلك بالرفق والخضوع ، ويقولوا له : ان السلطان يفرد لك مكاناً للعبادة ، ولا يكتلفك بشيء من أمور الدنيا أصلاً ، فذهبوا اليه ورغبوه في النكاح ، وبسطوا له فضائله ، وأنه أفضل من التخلي للعبادة ، وأنه لا ينافي ما أنت فيه بوجه ، فسمح لهم بذلك بعد أن أظهر لهم الكره الزائد وعدم الرغبة في ذلك .

فسر السلطان بذلك كثيراً وأعد له ولبنته ما يحتاجان اليه من كل شيء ، وجمع الناس وأوقعوا العقد وهباً له مكاناً للخلوة من أحسن الاماكن وزينوه بمحاسن الزين فلما دخل الى ذلك البيت ورأى نضارته وما فيه من الامتعة الفاخرة ، ورأى ابنة الملك وماهي عليه من الجمال الباهر واللباس الفاخر ، أدهشه ذلك وحار عقله فيه ورجع الى عقله وبصيرته وقال لنفسه : ويحك يانفس ، اذا كان شبه طاعة الله تعالى أو صلنى الى هذا الامر العظيم الذي لا أستحق شيئاً منه ، فكيف لو اطعت الله حق طاعته وعبدته حق عبادته ، فالى اي منزلة ، والى اي مرتبة كنت . تصلين بكرم الله تعالى في الدار الآخرة . في جنات النعيم ؟ ! ثم خلع ما كان عليه من الثياب ، ولبس ثيابه الاول وعاد الى أكثر مما كان عليه من العبادة والخشوع والصوم والصلاة وتلاوة القرآن

كل ذلك مع الاخلاص التام .

فهذا أوصله رياءه لحسن نظره واستقامة عقله الى السعادتين والفوز

بالمرادين ^(١) .

فصل

[محاسبة النفس]^(١)

ومن أحسن ما يبعث عليه العقل السليم والطبع المستقيم محاسبة النفس
فان من أهمل محاسبة نفسه ومعاتبتها لم يكن لنفسه مراعيًا ، فيوشك أن يكون
عن الخيرات . ساهيًا ، وبالقبائح لاهيًا ، فلا يكون الله عز وجل عليه راضيًا .
قال عليّ " رضي الله عنه » : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .

وقال : ومن حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر .

وقال لقمان الحكيم : المؤمن من أبصر العاقبة فأمن الدامة .

وقال بعضهم : ينبغي للمرء ان يحاسب نفسه كل صباح ومساء محاسبة

الرجل الشحيح .

قال هذا الفقير الحقير الجامع لهذا الكتاب رحمه الله واستعمله فيما يرضاه:
ومما يشبه المحاسبة ما أورده على نفسي كثيراً ، وأذكره لأصحابي ، فأقول :
كيف يعْتول العاصي على كرم الله وعفوه ، فيغتر بنفسه بذلك ، ويتبع هواها ،
فيرتكب ما اشتتهته من معاصي ربه ، ويقدم على ترك أوامره ، ولا يعْتول على
كرم الله تعالى وجوده في تكفله بالرزق وضمانه له على نفسه ، مع أنا نشاهد
سوق الرزق الى من لم يسع ، لانّ الله تعالى جلّ وعزّ قد قسمه وقدره
بين عباده فيكون وجود الرزق معلوماً ، وأما وجود الغفران والعفو فأنّهم مظنونون

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي .

فإن الله عزوجل قد حث في كتابه العزيز على الطاعة و وعد عليها الثواب الجزيل ، وخوف من المعصية ، وتوعد عليها بالعذاب النكيل ، وقال الله تعالى جلّ وعز : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ^(١) هب أن الغفران وجد ، فاين منازل المقربين ودرجاتهم الرفيعة في الجنة ؟ وكيف يقابل الله جلّ وعز بالمعصية ولا يستحي منه ، والمرء يستحي من أدنى أفراد الناس ، والجزاء بيد الله لا بيد ذلك الدني ؟ !
فمن لم يتبصر بمثل هذا فهو الاعمى الذي يكون .

: « في الآخرة أعمى واضل سبيلا » ^(٢) .

ثم أقول : لو أن يهودياً أخبر عن طعام أنه ضار ، لتركه المرء ، ولو أن نصرانياً قال لمسلم : أنت الليلة في ضيافتي ، لترك الاهتمام بمأكله لتلك الليلة . ولو أن مجوسياً جاء في طريق وأخبر أنه كثير الخوف باللصوص وقطاع الطريق أو قليل الماء أو الزاد ، لم يقدم على السفر فسي تسلك الطريق أحد إلا بعد الوثوق من أمر نفسه بكثرة الرفقة ، وتهيئة العدة واحكامها بحيث يأمن على نفسه بذلك ، وبعد استعداد الزاد والماء اللذين يغلب على ظنه أنهما بقدر كفايته ، ونحن قد أخبرنا نبينا الصادق الذي لان شك في صدقه وعصمته عن خالق الاشياء وعالم كنه حقيقتها ومآلها ، بأن المعاصي طعام مضرّ بل مهلك ، ولانجتنبه ؟ !

وبأن رزقنا على الله ، ولانترك الاهتمام به ؟ ! .

وبأن الطريق الى الجنة مخوف ، بعيد ، كثير المهالك ، يحتاج الى الزاد

الكثير والعدة المتقنة ، ولا نعتني بشيء من ذلك ؟ ! بل نذهل عنه في غالب الاوقات ! فان الله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولهذا قال علي « رضي الله عنه » : من تفكر أبصر .

وقالوا : الفكرة قلب العقل .

وقالوا : الفكرة مرآة تريك حسناتك من سيئاتك .

فالتفكر سراج المؤمنين ، وروضة المقربين .

قال ابن عباس « رضي الله عنهما » : التفكر في الخير يدعو الى العمل به ،

والندم على الشر يدعو الى تركه .

وبكى بعضهم ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : تفكرت في ذهاب عمري وقلة

عملي واقترب أجلي .

ثم انه من أشرف ما يبعث عليه العقل ويكتسب به : « العلم » ، مع أنه يقوى

العقل ويسدده ويشرّفه ويكون به نوراً ساطعاً ، فلتكلم فيه :

(١) اقتباس من قوله تعالى : « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل

(سورة الاسراء : ٧٢ / ١٧)

سيلا »

باب العلم

الخلافاً في كونه من مقولة الكيف أو الانفعال وامثال ذلك مبسوط في كتب الحكمة فايراده هنا خروج عن موضوع الكتاب .

فصل

العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلبه وجد فيه الطالب، لان شرفه يتم على صاحبه ، وفضله ينمو عند طالبه .

قال الله تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »^(١).

فمنع من المساواة - لفضل العلم - ما بلغ منع^(٢).

وقال الله تعالى : « وما يعقلها الا العالمون »^(٣) .

فنفي ان يكون غير العالم يعقل عنه أمراً أو يفهم عنه زجراً .

وعن النبي ﷺ : أن الله تعالى أوحى الى ابراهيم : أني عليم أحب كل

عليم .

(١) (سورة الزمر : ٩٣٩)

(٢) اي بلغ غايه المنع .

(٣) (سورة العنكبوت ٤٣/٢٩)

وعنه صلوات الله عليه : ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب .

وعنه عليه السلام : فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً .
وسأل رجل رسول الله عن أفضل الاعمال؟ فقال عليه السلام : العلم بالله، والفقہ في دينه .

فقال : يارسول الله ، أسألك عن العمل ، فتخبرني عن العلم ؟
فقال عليه السلام : ان العلم ينفعك مع قليل العمل ، وان الجهل لاينفعك مع كثير العمل .

وقال لقمان الحكيم : جالس العلماء وزاحمهم بركتيك، فان الله تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء ^(١) .
وعن ابن مسعود رضي الله عنه : « منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا ، أما طالب العلم فانه يزداد من الرحمن قرباً ، ثم تلا : « انما يخشى الله من عباده العلماء » وأما طالب الدنيا : فانه يزداد طغياناً ، ثم تلا : « ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » ^(٢)

وقال علي عليه السلام : العلم أفضل خلف ، والعمل به أكمل شرف .
وقال بعض البلغاء : تعلّم العلم فانه يقوّمك ويسدّدك صغيراً ، ويقدمك ويسوّدك كبيراً ، ويصلح زيفك وفاسدك ، ويرغم عدوك وحاسدك .
ومما ينسب الى ابي نصر الفارابي رحمه الله :
هذّب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي للكل بيت

(١) الواابل : المطر الشديد .

(٢) (من سورة فاطر : ٢٨/٣٥)

انما النفس كالزجاجة والعقل
فساذا أشرقت فانك حيّ
ولبعضهم :

اذا ما المال لم يقرن بعلم
هب الدنيا لك اجتمعت جميعاً
فليت المال في درك السعير
أترضى أن تعدّ مع الحمير؟

فصل

لا يجهل فضل العلم الا أهل الجهل، لان فضل العلم انما يعرف به، ولهذا استرذل الجهال اهله وتوهموا أن الاموال وماتميل اليه نفوسهم من متاع الدنيا خبير، فانصرفوا عنه انصرف الزاهدين وأعرضوا عنه اعراض المعاندين، لان من جهل شيئاً عاداه .

قال ابن المعتز : يعرف العالم الجاهل لانه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً .

وقيل لبزر جمهر: العلم أفضل أم المال ؟ فقال : العلم .

فقيل : فما بالناس نرى العلماء على أبواب الاغنياء ، ولا نرى الاغنياء على أبواب العلماء ؟ .

فقال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الاغنياء بفضل العلم .

فصل

العلوم كلها شريفة ، ولكل منها فضيلة ، والاحاطة بجميعها محال .
قال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً أحد لا ، ولو مارسه ألف سنه
انما العلم بعيسد غوره فخذوا من كل شيء أحسنه

وقيل لحكيم : من يعرف كل العلم ؟ فقال : كل الناس .

وعن النبي ﷺ : من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حظه ، ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله تعالى بها حيث يقول : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »^(١) .

وقال بعض العلماء : المتعمق في العلم كالسباح في وسط البحر ، ليس يرى أرضاً ، ولا يعرف طولاً ولا عرضاً .

واذا لم يكن السى معرفة جميع العلوم وسيلة وجب صرف الاهتمام الى معرفة أهمها وأفضلها وذلك علم الدين اصولاً وفروعاً ، لان الناس بمعرفته يرشدون ، وبجهله يضلون ويضلون ، وهو لازم لكل مكلف .

قال النبي ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم .
وفيه تأويلان :

(١) الآية من (سورة الاسراء : ٨٥ / ١٧) . والحديث .

أحدهما : علم ما لا يسع أحداً جهله .

وثانيهما : جملة العلم، إذا لم يقدّر بطلبه من فيه كفاية .

وعنه عليه السلام : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .

وعنه عليه السلام : خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها فقهاؤها .

وعنه عليه السلام أنه قال : علي بخلفائي . قيل : ومن خلفائك ؟ قال : الذين

يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله .

وعنه عليه السلام : ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين وفقه واحد أشد

على الشيطان من ألف عابد .

ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه .

فصل

في موانع الطلب

قد يترك طلب العلم لتعذر المادة ، والاشتغال باكتسابها وهذا قلّما يكون
الا عند ذوي الشره والشهوة المستعبدة .

لان الزمان كله ليس زمان اكتساب ، فينبغي أن يصرف الى التحصيل ما
فضل عن قدر الحاجة ^(١) .

وقد يترك ، لما يظن من صعوبته ، وبعد غايته ، أو لما يخشى من قلة الذهن
وبعد الفطنة .

وهذا اعتذار ذوي النقص ، وصفة أولي العجز .

ولهذا قالوا : الهيبة مقرونة بالخيبة .

وقالوا : عليك بالاقدام ولو على الضرغام .

وجاء رجل الى بعض العلماء فقال : اني أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن
أضيّعه .

فقال : كفى بترك العلم اضاعة .

فحينئذ ، لا ينبغي لبعيد الفهم أن يقنط من نيل القليل الذي يخرج به من حد

(١) أى لا يصرف جميع الوقت فى الكسب والتجارة بل يقتصر فيهما على مقدار
الحاجة والضرورة ويصرف ما فضل من الوقت عنهما الى طلب العلم .

الجهالة ، فان الماء مع لينه يؤثر في الصخر ، فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس الراغب الشهوي لاسيما وطالب العلم معان^(١) .

نكتة :

وقد يتركه ذو السفاهة ، لما يرى من فقر أهله للاشتغال به ، فان رأى كتاباً أعرض عنه ، أو متحلياً بحلية أهل العلم هرب منه . قد غلبت نفسه عليه لحب الدنيا ، وأشرب في قلبه بغض العلم وأهله ، وهذا ممن لا يرجى له صلاح ، ولا يؤمل له فلاح .

فعن النبي ﷺ : اذا استرذل الله تعالى عبداً حظر عليه العلم .

قيل لبرز جمهر : مالكم لاتعابون جهالكم ؟

فقال : لاننا لانكلف العمي أن تبصر ، ولا الصم أن تسمع . فكأن هذا السفیه لمّا رأى عاقلاً غير محظوظ ، وعالمأ غير مرزوق ، ظن أن العقل والعلم هما السبب في قلة حظه ورزقه ، وانصرف^(٢) عنه لجهله عن حرمان أكثر النوكى^(٣) وادبار أكثر الجهال .

على أن الرزق بالجد والحظ لا بالعقل والعلم ، حكمة من الله تعالى يدل بها على قدرته ، قالت الحكماء : لو جرت الارزاق على قدر العقول لم تعش البهائم ..

(١) حسب الروايات الكثيرة التي تؤكد ان الله سبحانه وتعالى قد تكفل رزق طالب العلم .

(٢) كذا في النسختين .

(٣) النوكى : جمع أنوك بمعنى احمق .

(٤) روى عبد الله بن سليمان قال سمعت أبا عبد الله يقول : ان الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ، ويعلموا أن الدنيا ليس بنال ما فيها بعمل ولا حيلة وسيأتى من قول ابراهيم بن هلال الكاتب في الباب : ١٣ / الصبر ، الفصل الثاني ما يناسب المقام .

ولاشك ان العقل والعلم سعادة، وان قلَّ معهما المال، والحمق والجهل حرمان وادبار، وان اتسعت معهما الحال .

وكيف يكون الجاهل الغني رفيعاً والجهل وضعه ؟

أم كيف يكون العالم الفقير وضعياً والعلم رفعه ؟

ولهذا قالوا : الجاهل صغير وان كان شيخاً ، والعالم كبير وان كان صغيراً .

قال ابن المعتز: نعمة الجاهل كروضة على مزبلة .

وقالوا : الجهل من أعظم المصائب وأخذل الصواب ، لانك لا ترى الجاهل الا مفرطاً او مفرطاً .

وقال علي بن أبي طالب: لا داء أعين من الجهل .

وقالوا: لسان الجاهل مفتاح حنقه .

وحينئذ أقول: ان العلم لشرف عظيم في نفسه مع قطع النظر عما يترتب عليه في الدنيا والاخرة، وأدنى ما هناك : أن من لم يكتسب بالعلم مالا اكتسب به في الدنيا جمالا وفي الاخرة اقبالا .

وأما ما يحصل به من الابتهاج النفسي واللذة العقلية فمما لا يتصور أدناه الجنان، ولا يعرب عن مبادئه ذو الفصاحة والبيان ، اذ هو مختلف المقادير و الاحوال بحسب اختلاف الرجال في الاكثار منه والاقلال .

بل غاية ما أقول: من لم يذق لم يعرف المحصول .

فينبغي لمن زهد فيه أن يكون فيه راغباً، ولمن رغب فيه أن يكون له طالباً، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثراً، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملاً، ولا يطلب لتركه احتجاجاً ، ولا لتقصيره عذراً ، ولا يستوف نفسه بالمواعيد الكاذبة، ويمتنعها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل وقت شغلا ولكل زمان

عذراً .

قال بعضهم :

نسروح ونغدوا بحاجاتنا
وحاجة من عاش لائقضي
تموت مع المرء حاجاته
ويبقى له حاجة ما بقي

وقال آخر :

لا فراغاً الا عن الاشتغال
والمني لا تنال بالامال
بعدت شقة المهامه^(١) ان تقطع
الا بالشد والترحال
وأبى الفضل ان ينال بغير الـ-----جد فلتنله عقول الرجال

(١) المهامه: الصحارى .

فصل

وليُقصد الطالب العلم واثقاً بتيسير الله تعالى ، قاصداً وجهه بنية خالصة وعزيمة صادقة .

فقد روي عن النبي ﷺ : من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار .

وعنه ﷺ : المماري به مهجور لا ينتفع ، والمرائي به محقور لا يرتفع .
وعنه ﷺ : من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً ، ومن تعلمه للقول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلمه للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلمه للعمل مات عارفاً .

وقال الاوزاعي : اذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل .
فليكن طالب العلم راغباً في ثواب الله تعالى كطالب مرضاته وحافظ مفترضاته ، راهباً من عقاب الله عز وجل كتارك أوامره ومهملاً زواجه ، فاذا اجتمعت الرغبة والرغبة ادياً الى كنهه العلم وحقيقة الزهد . لان الرغبة أقوى الباعثين على العمل ، والرغبة أقوى السببين في الزهد واذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة ونمت السيادة . وان افترقا فياويح مفترقين ، ما أقبح افتراقهما !
فعن النبي ﷺ : من ازداد في العلم رشدأ ولم يزد في الدنيا زهدأ لم يزد من الله الا بعدأ .

اللهم أعمر بنا مجالس الاخيار ، وبوئنا مقعد صدق في دار القرار انك أنت الوهاب الغفار .

فصل

وللعلوم أوائل تؤدي الى أواخرها، فليبدء الطالب بها لينتهي الى حقائقها ولا يعكس فلا يدرك الاخر، ولا يعرف الحقيقة ، لانّ البناء على غير أسس لا يستقيم .

ولذلك اسباب فاسدة :

منها : قصد نوع من العلم لغرض يتعلق به ، فيعدل عن مقدماته ، كمن يؤثر القضاء والتصدي للحكم، فيقصد من الفقه أدب القاضي، وما يتعلق به من الدعوى والبيّنات، فاذا أدرك ذلك ظن أنه قدحاز من العلم جمهوره، ولم ير أن في طلب مابقى الا العناء ، لقصور همته على ما أدرك وانصرفهما عما ترك .

ولو أنصف نفسه علم ان ماترك أهم مما أدرك ، لان بعض العلم مرتبط ببعض، ولكل باب منه تعلق بماقبله، ولاتقوم الاواخر الا باوائلهما، ويصح قيام الاوائل بانفسها، فيكون طالب الاواخر تارك الاوائل، تاركاً لهما .

ومنها: أن يحب الاشتهار بالعلم، فيقصد منه مايشتهر من مسائل الجدل ، ويتعاطى علم ماختلف فيه دون مااتفق عليه لينظر به. وهو لايعرف الوفاق فمثل هذا اذا أخذ في المناظرة ظهر كلامه ، واذا سئل عن واضح المذهب ضلت أفهامه، فتخبط في الجواب خبط عشواء ، فهذا قدجهل من المذهب ما

يعلمه المبتدئ ويتداوله الناس ، فهو دائماً في غلط مضل ، ولفظ مزل ، وهذه طريقة من يقول « اعرفوني » وهو غير معروف ، وبعيد ممن لا يعرف العلم أن يعرف به .

ومنها : أن يشتغل به في الكبر فيستحي أن يبتدء بما يبتدء به الصغير ، لكرامة أن يساويه ، فيبدأ بأواخر العلوم ليساوي الكبير . ويتقدم على الصغير وهذا ممن رضي بخداع نفسه ، لان كل ذي عقل يشهد بفساد هذا التصور ، لان جهل ما يبتدء به المتعلم أقبح من جهل ما ينتهي اليه العالم .

فصل (١)

والمانع مع حفظ العلم بعد تصوره وفهمه : النسيان الحادث عن غفلة
التقصير، فينبغي لمن يلي أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس والمذاكرة .
أما الاول : فلما قيل : لا يدرك العلم من لم يطل درسه . وكثرة الدرس
من المتعبات ، لا يصبر عليها الا ذو عقل صحيح ، يرى العلم مغشاً والجهالة
مغرمأ، فيحمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم ، وينفي عنه معرفة (٢) الجهل،
فان نيل العظيم لا يكون الا بعظيم .

ولهذا قيل الراحة في قلة الاستراحة .

قال أبو الطيب المتنبّي يخاطب نفسه :

ذريني أنل ما لا ينال من العلى

فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل

تريدين ادراك المعالي رخيصة

ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وأما الثاني : فلانه اذا ذكر بها رسخت واستقرت .

قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ماتعلم واستفاد ما

(١) في نسخة المرعشي فصل : النسيان .

(٢) المعرفة : الاثم . والمنقصة .

لم يعلم .

وقالوا : المذاكرة صيقل العقل .

وقال بعضهم : لكل شي حياة ، وحياة العلم مذاكرته .

قال الشاعر :

ولم يستفد علما نسي مسا تعلما	اذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه
يزيد مع الايام في جمعه عمى	فكم جامع للكتب في كل مذهب

فصل

وربما استثقل المتعلم الدرس والحفظ ، واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب عند الحاجة ، فلا يكون الاكمن أطلق ماصاده ثقة بالقدره عليه بعد الاطلاق ، فلا يعقبه التفريط الا ندماً .
وهذا كما ابتلينا به زماناً طويلاً .
وهذه الحالة :

أما أن يدعوا اليها الضجر من الحفظ .
أو طول الامل في التوفير عليه عند نشاطه ، كما كان يدعوننا ذلك .
أو فساد الرأي في عزمته .
وليس يعلم أن الضجر خائب ، وان طويل الامل مغرور ، وأن الفاسد الرأي مصاب .

وقد قالت العرب : حرف في قلبك خير من ألف في كتبك .
وقالت : لا خير في علم لا يعبرمك الوادي ولا يعمر بك النادي ^(١) .
وقالت : علم لا يعبرمك الى الحمام لا يرفعك على الانام .
وقال الشاعر :

إذا لم تكن فطناً واعياً فجمعك للكتب لا ينفع

(١) النادي : مجلس القوم يتخذونه للمحادثة وتبادل الآراء .

طريقة :

وقد يعتني الطالب بالحفظ فقط -- من غير تصور معنى -- فيتعيب بذلك نفسه ، ويكدّها كل الكد ، ويصرف لذلك زمناً طويلاً من عمره حتى يصير حافظاً بجملته من الكتب ، وربما ابتهج بذلك ، واقتخر به بين الناس ، ولا يشعر أنه من : «الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا»^(١) وأن مثله : «كمثل الحمار يحمل أسفارا»^(٢) أو أنه كالكتاب الجماد الذي لا يدفع شبهة ولا يوجد حجة .

فعن النبي ﷺ : أنه قال : همّة السفهاء الرواية ، وهمّة العلماء الرعاية .

(١) اقتباس من قوله تعالى : «هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً ؟ الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا» . (سورة الكهف : ١٨ / ١٠٤) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا (سورة الجمعة : ٥ / ٦٢) .

فصل

ينبغي أن يكون الطالب سائساً لنفسه مدارياً لها في حال تعلمه ، فإن
لنفس ثلاثة أحوال :

عدل وانصاف ، وعلو واسراف ، وتقصير واجحاف .

فالعدل : أحمد الاحوال ، ويكون من جهتين :

جهة طاعة مسعدة ، وجهة شفقة كافّة .

فطاعتها تمنع من التقصير ، وشفقتها تصد عن السرف . وأما حال العلو :
فيكون باختصاص النفس بقوة الطاعة ، وعدم قوة الشفقة ، فيؤديها ذلك الى
عجز الكلال^(١) ثم الى الترك والاهمال ، فتصير الزيادة نقصاناً ، والريح
خسراناً .

وقد قالت الحكماء : طالب العلم وعامل البر كآخذ الادوية التي القصد
منها الدواء ، ومجاوزة الحد فيها هو الداء .

وأما حال التقصير : فباختصاص النفس بقوة الشفقة وعدم قوة الطاعة ،
فتدعوها الشفقة الى النفور ، فلا تطلب شارباً ولا تقيّد عائداً ، فتفقد الموجود
ولم تجد المفقود ، ومن هذا شأنه فهو مصاب مغبون .

فليرض العاقل نفسه لتلبث على مذكراته من أحمد الحالات ، فإن أهمل

(١) الكلال : العي والتعب .

سياستها ورام أخذها بالعنف نفرت ، وعاندت فلم تعد الى الطاعة ، ولم تنكف عن المعصية .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : للقلوب شهوة واقبال ، وفترة وادبار ، فأتوها من قبل شهواتها : لامن قبل فتراتها .

فان استصعب عليه قياد نفسه مع سياستها تركها ترك راحة ثم عاودها بعد الاستراحة ، ، فتنقاد له ان شاء الله تعالى .

فصل

الشروط التي ينتهي معها كمال الراغب مع الامداد بالتوفيق والمعونة من
الله تعالى ، تسعة : -

- أحدها : العقل الذي يدرك به حقائق الامور .
 - وثانيها : الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم .
 - وثالثها : الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه .
 - ورابعها : الشهوة التي يدوم بها الطلب .
 - وخامسها : الاكتفاء بمادة تغنيه عن تكلف السعي .
 - وسادسها : الفراغ الذي يكون معه التوفير .
 - وسابعها : عدم القواطع المذهلة من هموم وأمراض .
 - وثامنها : طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار الى مراتب الكمال .
 - وتاسعها : الظفر بمعلم حاذق ناصح ذي همّة عالية وسماح بعلمه .
- فاذا استكملت هذه الشروط فهو أسعد طالب وأنجح راغب .

فصل (١)

لابد للمتعلم من ملق (٢) وتذلل ، لانّ الملق للعالم يظهر مكنون علمه ،
والتذلل سبب لادامة صبره وحلمه .

فقد روي عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أنه قال : ليس
من أخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم .

وقال ابن عباس : ذلت طالبا فعززت مطلوبا .

وقال بعض الحكماء : من لم يحتمل ذلّ التعلّم ساعة ، بقي في ذلّ الجهل
أبداً .

ثم ليعرف له فضل علمه ، ويشكر له جميل فعله ، وليكن له موقراً معظماً
في كل الحالات ، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : من وقّر عالماً فقد وقّر
ربه .

وقال بعض الشعراء :

أن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان اذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلّمك .

وايضاً : فان الحكماء قد رجّحوا حقّ المعلم على حق الوالد حتى قال

(١) في نسخة المرعشي فصل : في اداب المتعلم .

(٢) الملق : التودد والتلطّف في الكلام مصحوباً بالخضوع والتذلل .

بعض الشعراء :

آباء اجسادناهم سبب لان جعلنا عوارض التلف
معلم العالم صار خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النطف
ثم لا يمنعه من توقيره والتذلل له علو منزله ، وان كان العالم خاملاً ،
فان العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال .

قال ابن دريد رحمه الله :

لا تحقرن عالماً وان خلقت أثوابه فسي عيون رامقه
وانظر اليه بعين ذي ثقة مهذب الرأي في طرائقه
فالمسك بيناتراه ممتهنأ^(١) بفهر^(٢) عطاره وساحقه
حتى تسراه بعارضي ملك او موضع التاج من مفارقه
ثم يجب ان يكون مقتدياً بهم فسي رضي^٢ أخلاقهم وصدق أقوالهم ،
متشبهاً بهم فسي جميل أعمالهم ، ليصير لها الفأ وعليها ناشئاً ، ولما خالفها
مجانباً .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : خيار شبّانكم المتشبهون بشيوخكم
وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم .

وعنه ﷺ : من تشبه بقوم فهو منهم^(٢) . ثم ليحذر التبسط على معلمه
وان كان له مؤانساً ، فانه ربما يفضي به الى حصول الحقد عليه والانقباض
عنه ثم ليحذر - أيضاً - أن يظهر له الاستغناء عنه ، فان في ذلك كفرأ لنعمه ،
واستخفافاً بحقه وكرمه ، فانه ربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه ، وحدة

(١) حقيراً .

(٢) هي فارة المسك ورافجته تكون عند العطار فتسحق ويستخلص منها المسك .

في ذكائه ، فيقصد من يعلمه بالاعنات^(١) له والاعتراض عليه ، ازراء^(٢) به
وتكبيتاً^(٣) له ، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر في الافاق :

اعلمه الرماية كل يوم فلما استند^(٤) ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاسي

وهذا من مصائب العلماء ، وانعكاس حظوظهم : أن يصيروا عند من علموه
مستجهلين ، وعند من قدموه مسترذلين .

قال ابن عبد القدوس :

وان غناء أن تعلم جاهلا فيحسب جهلا أنه منك أعلم

(١) ايجاد التعب والمشقة .

(٢) اذ لالا له .

(٣) الصرف والاذلال يقال كبت الله العدو أي صرفه واذله .

(٤) صار سديداً في رميهِ .

فصل

ولا ينبغي ان يبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه ، ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما أخذ عنه ، فانه ربما غلا بعض الاتباع - ممن عاصروناهم - في عالمهم ، حتى رأوا ان قوله دليل وان لم يستدل ، وان اعتقاده حجة وان لم يحتاج ، وهذا ذهول عن الصواب ، لانهم قد لا يرون من يأخذ عنهم كما اخذوا ، فيطالبهم بالبرهان فيعجزون .

فحق على المتعلم أن يكون معتدل الرأي حتى لا يحمل له الاعنات على اعتراض المبكّتين ، ^(١) ولا تبعثه الثقة به على تسليم المقلدين . وليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتاً ، ولا قبول ما صلح في النفس تقليداً بل يجب السؤال عما أبهم .

فعن النبي ﷺ : العلم خزائن مفتاحه المسئلة .

وقال ﷺ : هلا سألوا اذا لم يعلموا ؟

فقد أمر بالسؤال وحث عليه ، ونهى ﷺ عنه اخرين .

وليس منافياً للاول لانه أمر بالسؤال من قصد به علم ما جهل ، ونهى عنه

من قصد به الاعنات .

واذا كان السؤال في موضعه أزال الشكوك ، ونفى الشبهة ، قيل لابن

(١) المبكت : الغالب بالحجة .

عباس رضي الله عنهما : بماذا نلت هذا العلم ؟ .

قال : بلسان سؤال ، وقلب عقول .

وعن النبي ﷺ : حسن السؤال نصف العلم .

وانشد المبرد :

فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله لاخير في علم بغير نذير

فصل

ولياخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده ، من نبيه وخامل . ولا يطلب الصيت ^(١) فيتبع أهل المنازل ، اذا كان النفع بغيرهم أعم .
اما اذا استوى الامران : فلاخذ عمن ارتفع ذكره وعلا قدره أولى لان الانتساب اليه أجمل .

واذا قرب العلم فلا يطلب ما بعد ، واذا سهل من وجه فلا يطلب ما صعب ، واذا حمد من خبره ^(٢) فلا يطلب من لم يخبره .

فان العدول عن القريب الى البعيد عناء ، وترك الاسهل بالاصعب بلاء ، والانتقال عن المخبور الى غيره خطر .

فانه ربما تتبع نفس الانسان من بعد ، استهانة بمن قرب ، وطلب ما صعب ، احتقاراً لما سهل .

وانتقل الى من لم يخبره ملأ ممن خبره ، فلا يظفر بطائل ، ولا يحصل على نائل .

وربما رأى بعد انتقاله الى الثاني ، ثالثاً ، فانتقل اليه ، وهكذا ، وهذا من ضعف الرأي ، وكثرة الطيش ، لانه ربما لا يرتضي الثاني ، او لا يرتضيه فيما

(١) الصيت : الذكر الحسن المنتشر بين الناس .

(٢) أى استحسّن من اختبر علمه .

بعد ، ويتعسر عليه الرجوع الى الاول .

وربما عرف بالطيش وقلة الثبات ، فيزهد فيه باقي الناس ، فيصير من المذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ^(١) فيقع في ورطات الجهل والبلاء .

(١) اقتباس من قوله تعالى : في وصف المنافقين : مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا (سورة النساء : ٤ / ١٤٣) .

فصل (١)

الاخلاق التي هي بهم أليق :

التواضع، ومجانبة العجب : وهما قبيحان بكل أحد ، وبهم أقبح ، لأنّ الناس بهم يقتدون ، وكثيراً ما يتدخلهم العجب لتوحدّهم بفضيلة العلم ، ولو نظروا حق النظر لعلموا أن العجب نقص ينافي الفضيلة لاسيما مع قول النبي عليه السلام : أن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (٢) .

فلا يفي ما أدركوا من فضيلة العلم . بما لحقهم من نقص العجب .

وازنت بين جمالها وفعالها فاذا الحلوة بالمرارة لا تفي .

قال بعض الحكماء : تواضعوا لمن تعلمون ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ،

فلا يقوم علمكم بجهلكم . (٣)

وقال بعض السلف : من تواضع بعلمه رفعه الله ، ومن تكبر بعلمه وضعه

الله عز وجل .

وقال علي عليه السلام : ضع فخرك ، واحطط كبرك ، واذكر قبرك .

(١) في نسخة المرعشي : فصل : في آداب العلماء .

(٢) سيأتي ذكر هذا الحديث في باب الكبر والعجب (الباب ١١) من هذا الكتاب ص

فصل (١)

علّة اعجابهم انصراف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجاهل ، وانحراف
نظرهم عمن فوقهم من العلماء ، فانه ليس متناه في العلم الا وهو يجد من هو
أعلم منه بكثير ، اذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر .

قال الله تعالى : (فوق كل ذي علم عليم) (٢) .

فيجب على العالم أن ينظر الى نفسه بنقص ما قصر فيه ، ليسلم من عجب
ما أدرك منه ، فقد قيل في منشور الحكم : اذا علمت فلا تفكر فيمن دونك من
الجاهل ، ولكن انظر الى من فوقك من العلماء .

قال ابن العميد :

من رام عيشاً هنيئاً يستفيد به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن الى من فوقه ادباً ولينظرن الى من دونه مالا
واعلم أنه قل ماتجد بالعلم معجباً ، الامن كان فيه مقلا لانه يجهل قدره
فيحسب أنه قد نال أكثره .

أما من كان في العلم مستكثراً فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن أدراك
نهايته ما يصده عن العجب . ،

قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار : فمن نال منها شبراً شمع بأنفه وظن أنه
ناله ، ومن نال الشبر الثاني ، صغرت السيه نفسه لعلمه انما أخذ منه بالنسبة ،
الاماشد عنه نزر حقير ، واما الشبر الثالث ، فهيئات لا يناله أحد ، ومن وصل
الى أوله فنى .

(١) هذا العنوان غير موجود في نسختنا بل يوجد بياض في محله . الا انه مذكور

في نسخة المرعشي ومذكور ايضاً في الفهرس الذي وضعه الكاتب للكتاب .

(٢) (سورة يوسف : ٧٦/١٢)

فصل

وقد يكون علة تكبره واعجابه ، وبعده عن صوابه ، ما أوصله اليه علمه من المناصب الجليلة ، والاموال الجزيلة ، والملابس الفاخرة ، والمراكب الفارهة ، وما يرى من اقبال الناس عليه ، واحتياجهم اليه ، وتذللتهم لديه ، وتقبيلتهم يديه ، فيشمخ حينئذ بأنفه ، وينثني بعطفه ، ويغطي ذلك على قلبه ، فيسبح في بحار عجبه ، وتلتوي بصيرته عن كثرة من وصل الى ذلك قبله ، وعن كثرة من يتصف به بعده ، وأنه لودام له لدام لمن كان قبله ، وأن الجاهل الاحمق قد ينال فوق ذلك أو مثله ، بل قد يصل الى المناصب - فيحتاج الناس اليهم - الكفار ^(١) .

وقد يزينّ بالملابس البرذون ^(٢) والحمار .

فبالله أنشد ولهذا أغنني ما أنشده لسان حالي ثم أعرب به مقالي :

يسامن تلبس أثواباً يتيه بها تيه الملوك على بعض المساكين
ماغيّر الحلبي أخلاق الحمير ولا نقش البراذع ^(٣) أخلاق البراذين
ولا يخفى على بصير كثرة أبناء هذه الطبقة في هذا الزمان، فبالله المستعان على أمثالهم وعليه التكلان ونحن نسأل الله تعالى الهداية السلي الصراط المستقيم ونستعين به من مساوئ أنفسنا ومكائد الشيطان الرجيم .

(٢) الكفار فاعل يصل . اي ان الكفار قد يصلون الى ما وصل اليه المتكبر من المناصب .

البرذون : القرس غير الاصيل .

البراذع : ج برذعة وهو المجلس الذي يلقي تحت الرجل .

فصل (١)

وقد روي عن النبي صلوات الله عليه في ذلك أنه قال : من سئل فأفتى بغير علم فقد ضل وأضل .

وقال بعض الحكماء : من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم ، فحسبك خجلا من عقلك أن تنطق بما لا تفهم .

وحيث قد بينا أنه لا سبيل الى الاحاطة بكل العلم فلا عار ان يجهل بعضه فلا (٢) عار أن يقول فيما لا يعلم : «لا أعلم» بل العار قدومه على الكذب والاثم وتوقع الفضيحة .

روي أن رجلا قال : يا رسول الله ، أي البقاع خير؟ فقال ﷺ : لا أدري ، حتى أسأل جبريل .

وكذا يروى عن مالك : أنه أجاب في تسعة وثلاثين من أربعين مسألة : لا أدري .

قال ابن عباس : اذا ترك العالم قول : «لا أدري» أصيبت مقاتله .

وقال بعض العلماء : هلك من ترك «لا أدري» .

وقال علي ﷺ : العالم من علم : أن ما علم فيما لا يعلم قليل .

(١) في نسخة المرعشي فصل : الفتيا بغير علم .

(٢) كذا في النسختين والظاهر ان الاولى العطف بالواو .

فصل

يجب ان يكون العالم الفاضل مستقلا لما حصل منه ، ولا يقنع بما أدرك منه ، لان القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .

قال بعض الحكماء : كثير العلم ككثير الخير ، وقليله كقليله .

وقال بعض العلماء : من فضل عملك استقلالك له .

فاذا استقله لم يستنكف أن يتعلم ما ليس عنده ، فيزداد بذلك علماً .

قال عيسى عليه السلام : يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلّم الجهال ما علمت .

وقال علي رضي الله عنه : خمس خذوهن عني ، فلو ركبتم فيهن الفلك ما وجدتموهن عند أحد غيري :

ألا ، لا يرجون أحد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستنكفن أن يتعلم ما ليس عنده ، ومنزلة الصبر من الايمان بدنزه الرأس من الجسد . (١)

(١) كذا ورد في النسختين والمذكورات هنا أربعة لان خمسة كما صرح به الامام عليه السلام وقد ورد في نهج البلاغة هكذا : أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل (كناية عن شد الرحال والحث في السير) لكانت لذلك أهلاً . لا يرجون أحدكم الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحجن أحد منكم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، ولا يستحجن أحد اذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه ، وعليكم بالصبر فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد ... نهج البلاغة : الحكمة رقم ٧٩ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو كان أحد مكنتياً من العلم لاكتفى منه موسى لما قال : «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً»^(١).
فكثرة :

ينبغي أن لا يجهل من نفسه مبلغ علمها، وأن لا يتجاوز بها قدر حقتها ، لأن من جهل حال نفسه كان لغيره أجهل .
[قالت عائشة : ...]^(٢)

وقال علي عليه السلام : رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره .
وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره .
وقد قسم الخليل بن أحمد - رحمه الله - الناس الى اربعة أقسام لا يخلو حال المرء من واحد منها ، فقال :

- رجل يدري ويدري أنه يدري : فذلك عالم ، فأسأله .
- عكسه : جاهل ، فرفضوه .
- رجل يدري ولا يدري أنه يدري : فذلك ناس ، فأذكروه .
- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري : وذلك مسترشد ، فعلموه .

(١) (في سورة الكهف : ٦٦/١٨) .

(٢) الحديث مشطوب عليه في نسخة الاصل عندنا وغير موجود في نسخة المرعشي ومتمن الحديث غير مقروء في نسخة الاصل .

فصل^(١)

ومما يجب على العالم العمل بعلمه ، وحث النفس على أن ياتمر بما أمر به ، والا فهو من الذين وبّخهم الله بقوله : « اتأمرّون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون »^(٢)

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : تعلموا ما شئتم أن تتعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به ، فان العلماء همتهم الرعاية ، والسفهاء همتهم الرواية .^(٣)

وقال ، وقد قال له بعض أصحابه : ما ينفي عني حجة الجهل؟ - .
قال : علة العلم .

قال : فما ينفي عني حجة العلم؟
فقال : علة العمل .

وقال عيسى ﷺ ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل ، ان كثرة العلم لا تزيدك الاجهلا اذا لم تعمل به.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: أخوف ما أخاف ، اذا وقفت بين يدي الله

(١) في نسخة المرعشي فصل : في العمل بالعلم .

(٢) (سورة البقرة : ٤٤/٢) .

(٣) قد مضى بعض هذا الحديث في ص ٨٠ .

تعالى ، فيقول لي : قد علمت فماذا عملت ، اذ علمت؟! .
 وكان يقول : خير من القول فاعله ، وخير من الصواب فاثله .
 وقال بعض العلماء: ثمرة العلم العمل ، وثمره العمل به الجنة .
 وقال بعض الصالحاء : العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل
 واما قول بعضهم :

اعمل بقولي فان قصرت في عملي ينفعك قولي ولا يضرك تقصيري
 فهذا ان قصرت في عمله كما شرط ، فقد خدع نفسه فضرها ونفع غيره
 وكفى بذلك جهلا وخسرانا ، على أن أمره بما لا يأمر به مطرّح مستقبح ، بل
 ربما كان سبباً لاغراء المأمور بترك ما أمر به وركوب ما نهى عنه ، ويكون
 كمن قيل فيه :

وعامل بالفجور يأمر بالبر كهاد يخوض في الظلم
 أو كطبيب قد شفه سقم وهو يداوي من ذلك السقم
 وليت شعري هل في أذنيه صمم أو في عينيه عمى عن قول الخليل بن
 أحمد رحمه الله تعالى :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
 تصف الدواء وأنت محتاج له كيما يصح به وأنت سقيم
 فابدأ بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
 فهناك يسمع ما تقول ويشفي بالقول منك وينفع التعليم
 لانه عن خلق وتساوي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

لطيفة :

واما الانقطاع عن العلم الى العمل ، او العكس اذا عمل بموجب العلم ،
فقد روى عن الزهري، ما يغني عن غيره، وهو أن قال : العلم أفضل من العمل
لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم .
واما فضل ما بين العلم والعبادة بقول مطلق اذا لم يخل " بواجب، ولم يقصر
في فرض ، فقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أنه قال : يبعث العالم والعابد ،
فيقال للعابد : أدخل الجنة ، ويقال للعالم : اعتد^(١) حتى تشفع للناس .

(١) اعتد أمر من التؤدة وهو : التأنى والتنهل .

فصل

ومما يجب على العلماء ان لا ييخلوا بتعليم ما يعلمون : فان البخل به ظلم واثم .

وكيف يلحق بهم الشح بما ان بذلوه زاد ونما، وان كتموه تناقص ووهى؟؟ ولو فعل ذلك من تقدمهم لم يصل العلم اليهم ، بل كان ينقرض بانقراضهم . قال الله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) .^(١)

وعن النبي ﷺ انه قال: لا تمنعوا العلم أهله فان في ذلك فساد دينكم ، ثم تلا : « ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون »^(٢)

وعنه ﷺ من كتم علماً لخسة، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار . وعن علي ﷺ انه قال : ما أخذ الله العهد على أهل الجاهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم ان يعلموا .

وفي منشور الحكم : من كتم علماً فكأنه جاهل .

ثم ليعلم : ان له في بذله للمتعلمين نفعين :

أحدهما : ما يرجوه من ثواب الله تعالى ، فقد جعل النبي ﷺ التعليم

(١) (سورة آل عمران : ٨٧/٢) .

(٢) الآية من (سورة البقرة : ١٥٩/٢) .

صدقة ، فقال : تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسدده .
وعن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: تعلّموا وعلّموا فان أجر العالم والمتعلم
سواء ، فقيل : وما أجرهما؟ قال : مئة مغفرة ومئة درجة في الجنة .
وثانيهما : زيادة العلم ، واتقان الحفظ ، يعرف ذلك من جرّبه .
قال الخليل بن أحمد : اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة
المتعلم تنبيهها على ما ليس عندك .
وقال بعضهم : العلم ميت ، وحياته بالتعلم ، فاذا أحْيِي فهو ضعيف ، وقوته
بالمذاكرة ، فاذا قوي فهو محبوب ، وظهوره بالمناظرة ، فاذا ظهر فهو عقيم ،
ونتاجه بالعمل .

فصل

المتعلم ضربان : مستدعى وطالب :

فالمستدعى : استدعاه العالم الى التعلم ، لما ظهر له من جودة ذكائه ، فان وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم كانت نتيجةها درك النجى^(١) والافقد فاز المستدعى باجر الطلب ، وخسر المستدعى بعاقبة الهرب .

وأما الطالب : لداع يدعوه ، فان كان دينياً وجب على العالم الاقبال عليه بكل وجه - وان كان بليداً - فلا يمنعه من القليل .

وان لم يكن دينياً ، فان كان مباحاً - كحب النباهة وطلب الرياسة - فالقول فيه قريب من الاول ، لان العلم ربما يقطعه الى الدين في ثاني الحال . قال سفيان الثوري : تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الله .

وقال عبد الله بن المبارك : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على تركها .

وان كان التعلم لداع محظور - كشر - ومكر باطن في شبهة دينية ، او حيلة فقهية - وجب منعه وزجره .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر والذهب بل العلم أفضل من الجواهر ، ومن لا يستحقه شر من الخنازير .

(١) كذا في النسختين ، والنحب يأتي بمعنى : الهمة والحاجة .

وحكي أن تلميذاً سأل عالماً عن مسألة ، فلم يجبه فقبل له في ذلك ،
فقال : لكل شجرة غارس ، ولكل ثوب لابس .
وعن النبي ﷺ : لا تمنعوا العلم أهله فنظلموا ، ولا تضيعوه في غير أهله
فتأثموا .

قال الشافعي :

ومن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فصل

يجب أن يكون للعالم فـراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف بها قدر طاقته ومبلغ استحقاقه ، ليعطيه ما يحتمله حاله فانه أروح للعالم ، وأنجح للمتعلم .

قال ابن الزبير : لاعاش بخير من لم ير برأيه مالم ير بعينه .

فان لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا وإياه في عناء دائم ، لانه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي يحتاج الى الزيادة ، وبليد يحتاج الى التقليل فيضجر الذكي ويعجز البليد ، ومن تردد أصحابه بين ضجر وعجز ملّهم وملّوه .

قال بعض الحكماء : خير العلماء من لا يقل ولا يمل فكل كلام كثر على السمع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب عمى .

خاتمة الخير ان شاء الله تعالى :

ربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم ، وحب للعلماء ، لفضيلة نفسه ، واستقامة طبعه ، فيجب على من يقع عليه اختياره من العلماء للمصاحبة أن لا يجعل رغبته في العلم وحبّه للعلماء ذريعة فسي الانبساط عنده والادلال (١) عليه ، بل يعطيه ما يستحقه بسلطانه وعلوّ يده ، فان للسلطان حقاً لطاعة والاعظام

وللعالم حق القبول والاعتراف .

فقد قيل : من استخف بسلطانه فقد تعرض لسخطه وامتهانه .
ثم ينبغي أن لا يتدبى به الا بعد الاستدعاء ، ولا يزيده على قدر الاكتفاء
فربما أحب بعض العلماء اظهار علمه للسلطان ، فأكثر ، فصار ذلك ذريعة الى
مملكه ، ومغضياً الى بعده ، لان السلطان منقسم الافكار ليس له فسي العلم فراغ
المنقطعين اليه ، ولا صبر المنفردين به .

حكى الاصمعي ، فقال : قال لي الرشيد : يا عبد الملك ، أنت أعلم منا
ونحن أعقل منك ، لا تعلمنا في ملا ، ولا تسرع الى تذكيرنا في خلا ، واتركنا
حتى نبتدؤك بالسؤال ، فاذا بلغت من الجواب قدر الاستحقاق فلا تزد ، الا
ان نستدعي ذلك منك .

قال الاصمعي : والله اني أحوج الى نصيحتك هذه منك الى نصحي .
فانظر الى هذا الكلام كيف بلغ بأوجز لفظ غاية التقويم ولهذا قيل :
كلام الملوك ملوك الكلام .

ارشاد :

وينبغي أن يخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة ، لا مخرج التعليم
والافادة ، لان للتعليم خجلة يجلس محل السلطان عنها .

فاذا ظهر منه خطأ أوزل ، في قول او فعل ، لم يجاهره بالرد ، بل يعرض
باستدراك زلله واصلاح خلله ، من غير أن يواجهه بالانخبار بعيبه ، لكن
يضرب له الامثال والمواعظ والحكايات المناسبة ، ويخبره بعيب غيره ، حتى
يعرف به عيب نفسه ، فيكون ذلك أوقع في قلبه ، وادعى للاعتراف بذنبه .

فقد قالوا : من تعرّض لرد سلطانة أرداه ، ومن تطامن ^(١) له تخطاه ،
وشبهوه بالريح الشديدة التي لا تضر ما لان لها ومال معها وتقصف ماعتا عليها .
قال بعض العلماء : ثلاثة من لم يعطها حقها أسرع مفارقة : وهم :
الملوك ، والعلماء ، والنعم .

فمن حق السلطان - مع ما تقدم - أن لا يكتمه جليسه نصيحته - وان قلت - .
ومن حقه : اذا تائب ، أو القى المروحة ، أو مدّ رجله ، أو تمطّى ، أو
اتكى ، أو فعل ما يدل على كسله ، أن يقوم من بحضرته . ولا يعاد عليه حديث
البتة .

ثم ليحذر اتباعه فيما يجانب الدين ، ويضاد الحق المبين . متابعة لهواه
وحباً لرضاه ، فربما زلت أقدام العلماء في ذلك رغبة أو رهبة ، فضلوا وأضلوا ،
والله سبحانه أحق بالرغبة فيما عنده ، وأجدر أن يرهبه من تمّ رشده ، وربما كان
ذلك سبباً لمنع ما رغبوه ، ومفضياً الى شر ما رهبوه ، وكل عزيز غالب الله
مغلوب .

تتمة :

ومما يجب على العلماء : تنزيه النفس عن شبه المكاسب ، والقناعة بالميسور
عن كد المطالب ، فان شبهة المكسب اثم وكد المطلب ذل ، والاجر أجدر بهم
من الاثم ، والعز أحق بهم من الذل .

ثم اعلم : ان لكل شيء آلة ، و آلة العلم الكتابة والكتب ، فلنذكر
طرفاً مما يتعلق بذلك : -

(١) تطامن : انحنى

باب الكتابة

الكتابة والكتب لغة، الجمع من : كتبت القربة ، اذا جمعت بين طرفيها بالخرز . فسمي الكتاب كتاباً لجمعه المسائل المتحدة جنساً ، المختلفة نوعاً وصنفاً .

قال بعض العلماء في مدح الكتب : الكتب بساتين العقلاء .
وقال بعض البلغاء : الكتاب وعاء مليء علماً ، وظرف مليء ظرفاً ^(١) .
وقال بعض الفصحاء : الكتب أصداف الحكم تنشق عن جواهر الكلم .
وقال بعضهم : الكتاب بستان يحمل في ردن ^(٢) ، وروضة تغلب في حجر ،
ينطق عن الموتى ، ويترجم عن الاحياء .
وقال الشاعر :

ولي جلساء لا يسئل حديثهم ألباء مأمونون غيبا ومشهداً
يفيدونني من علمهم علم من مضى وعقلا وتناديباً ورأياً مسدداً
فالحاصل : أن المرء يظهر في كتابه مكنون علمه ويتعب فيه مسوق رويته
وفهمه، فيتاتي له فيه كثير مالم يتأت على لسانه، ولا يتيسر له ان يعرب عنه ببلاغته
وبيانه ، لانه في الاغلب يكون منفرداً في خلوته ، فيكون متفرغاً لاستعمال
بصيرته وفكرته .

(١) الظرف الاشياء النفيسة الظريفة .

(٢) الردن : ج : ومفرده بمعنى اصل الكم .

ولهذا قال بعض الحكماء: كتاب المرء عنوان عقله ، ولسان فضله .
وقال بعض العلماء : لا يزال المرء تحت ستر من عقله حتى يؤلف كتاباً ،
أو يقول شعراً .

وقال بعضهم : ما قرأت كتاب رجل الا عرفت مقدار عقله .
وقال بعض الملوك : ثلاثة تدل على عقول أربابها : الهدية ، والكتاب ،
والرسول .

وقال علي بن ابي طالب : عقل الكاتب قلمه .
وقال مسعدة : الاقلام مطايا الفطن .
وقال بعضهم : عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم .
وعلى كل حال : فالخط من أكبر المهمات الدينيّة والديويّة ، وعليه
مدار أكثر الامور الدنيّة والعلية .

ولهذا كانت الكتاب سامية^(١) الملك ، وعمار المملكة وخزنة الاموال .
ومما يدل على شرفه أن الله تعالى أقسم ببعض أدواته وهو القلم ، كما
أقسم به في قوله تعالى : « ن ، والقلم وما يسطرون »^(٢) .
وعده الله تعالى من نعمه ، في قوله تعالى : « علّم بالقلم »^(٣) فوصف
نفسه بأنه علم بالقلم ، كما وصف نفسه بالكرم .
وفي منشور الحكم : الدوات من أنفع الادوات ، والعبر أجدى^(٤) من
التبر .

(١) سامية : قاصدة .

(٢) سورة القلم : ١ / ٦٨ .

(٣) سورة العلق : ٤ / ٩٦ .

(٤) أجدى : أنفع .

وقال بعض الفضلاء : القلم أحد اللسانين ، ^(١) وحسن الخط أحد الفصاحتين .

وقال بعض الحكماء : صورة الخط في الابصار سواد ، وفي البصائر بياض .
وقال بعضهم : القلم روح اليد ، ولسان الفكر .

وقال اقليدس : الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسدانية .

وقال بعض العلماء : القلم صانع الكلام .

وقال بعضهم : لم أرباكيا أحسن تبسما من القلم .

وقالوا : جهل الخط الزمانة ^(١) الخفية .

وقال ابن مقلة : لادية عندنا ليد لا تكتب .

وقال ابن البواب : اليد التي لا تكتب رجل .

وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط ^(٢) الحكمة ، به تفصل شذورها وينظم منشورها .

وقال ابن المقفع : اللسان مقصور على الحاضر ، والقلم على الشاهد والغابر ^(٣) .

وقال بعض العلماء : لاشيء أفضل من القلم لان مدة عمر الانسان لا يمكن أن يدرك فيها بفكره ما يدرك بقلمه .

وعن ابن عباس في قوله تعالى : «او أثارة من علم» ^(٤) : يعني الخط .

(١) الزمانة : عاهة توجب تعطل القوى .

(٢) السمط : الخيط الذى تنظم فيه الخرز .

(٣) فى منتخبات البيان والتبيين ص ١٢٩ : على القريب الحاضر . والقلم مطلق فى

الشاهد والغائب ..

(٤) سورة الاحقاف : ٤٦ / ٤ .

وعن مجاهد في قوله تعالى « يؤتي الحكمة من يشاء » ^(١) قال : الخط .
« ومن يؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » يعني الخط .

وقال بعض الحكماء : القلم والسيف حاكمان في جميع الاشياء ، ولولاهما
ما قامت الدنيا .

وكانت العرب تعظم قدر الخط جداً ، وتعدّه من أكبر المنافع . فحينئذ ،
يجب على من يتعاطى الكتابة أن يكون طويل الروح عالماً ببراية القلم
وقطه وغلظه وطول جلفته . وأن يعرف أي حرف يمد ، وأي حرف لا يمد ،
وعند أي حرف يمد ، ثم يعتني بعد ذلك بأمرين :

أحدهما : تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها ، فيعطي كل حرف
حقه ، ليصير الخط مبيّناً .

وثانيهما : ضبط ما اشتبه بالنقط والشكل المميز لها . ثم مازاد على هذين
الشيئين من تحسين الخط وملاحظة نظمه ، فانما هو زيادة حذق بصنعه وليس
شرطاً في صحته .

قال بعض شعراء البصرة :

اعذر أخاك على رداء خطه	واغفر نزالته ^(٢) بجودة ضبطه
واعلم بان الخط ليس يراد من	تسر كيبه الاتبيّن سمطه
فاذا أبان عن المعاني لم يكن	تحسينه الازيادة شرطه

فمازاد على الخط المفهوم من تحسين الصورة كالزائد على الكلام المفهوم
من فصاحة الالفاظ وصحة الاعراب .

ولهذا قالت الاعراب : حسن الخط أحد الفصاحتين فكما لا يقدر من أراد

(١) سورة البقرة : ٢٦٩/٢ .

(٢) النزلة : الانحراف وهو في الاصل سيلان الارض من ادنى مطر لصلابتها .

التقدم في الكلام أن يطرح الفصاحة وصحة الاعراب - وان فهم وأفهم - كذلك لا يقدر من أراد التقدم في الخط أن يطرح تحسين الصورة وتصحيح الحروف - وان فهم وأفهم - .

وربما تقدم بالخط من كان الخط كل فضائله ، حتى صار علماً مشهوراً وفريداً مذكوراً ، غير أن العلماء اطرحوا صرف الهمّة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم ، ولذلك تجد خطوط العلماء في الاغلب ردية .

فصل

قد يعرض للخط ما يمنع من فهمه كالنقص والزيادة ووصل المفصول، و فصل الموصول، وضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة . وقد يفهم بعد ذلك باعتبار جودة القريحة وكثرة الممارسة والتأمل أو لقلة الزيادة والنقيصة وما أشبه ذلك .

وقد يعسر أيضاً فهمه لاغفال نقط، أو شكل، أو وضعهما في غير موضعهما . والامر في هذين أسهل من الاول لان من كان متميزاً بصحة الاستخراج ومعرفة الخط وقوة البديهة، لا يتعسر عليه ذلك، بل قد استقبح ذلك - اعني : الاستقصاء في النقط والشكل - في المكاتبات ورأوه من تقصير الكاتب أو سوء ظنه بفهم المكاتب وكان استقبحاهم ذلك في مكاتبة الرؤساء اكثر حتى قالوا: النقط والشكل في الكتاب استقواء للمكاتب .

اما في سائر العلوم فلم يروه قبيحاً خصوصاً في كتب الادب التي يقصد بها معرفة صيغ الالفاظ ككتب العربية والشعرية ^(١) فانهم رأوا ضبطها بالنقط والشكل مستحسنًا، بل واجبًا، لكثرة الاحتياج اليه .

قال الثوري: الخطوط المعجمة كالبرود المعلّمة . وقال بعض البلغاء: اعجام الخط يمنع من استعجاله ، وشكله يمنع من

(١) كذا في النسختين والاصح العطف بدون بالنسبة. (والشعر)

اشكاله .

وقال بعض الادباء: ربّ علم لم يعجم فصوله فاستعجم محصوله .
وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام^(١) في المكاتبات - وان كان
في كتب العلوم مستحسنأ - فكذلك استحسنوا مشق^(٢) الخط في المكاتبات
وان كان في كتب العلوم مستقبأ .
وسبب ذلك أنهم لفرط ادلالهم^(٣) بالصنعة وتقدمهم في الكتابة يكتبون
بالاشارة، ويقتصرون على التاريح ويرون الحاجة الى استيفاء شروط الابانة^(٤)
تقصيراً .

لطيفة .

حكى عن بعض الصدور : أنه وجد على ثيابه أثراً من صفرة فطلأه
بالمداد، ثم قال: المداد بنا أحسن من الزعفران، ثم أنشد :
انما الزعفران عطر الغواني ومداد الدويّ عطر الرجال
ثم أنه قد تعاطى بعض مترفي الطلاب والكتّاب، الالغاز والرموز، فلننتكلم
على شيء من ذلك موجزين :

(١) - الاعجام: تنقيط الحروف .

(٢) - المشق: مد الحروف .

(٣) - الادلال هنا بمعنى التقدم والحدق .

(٤) - الابانة: التوضيح .

باب الالغاز والرموز

قد يواضع^(١) الشخص فيقصد بباطن كلامه غير ظاهره ، فان كان ذلك في الشعر سمي « لغزاً » أو في النثر « رمز » .

أما اللغز: فيقال: بفتح الغين وسكونها، والفتح أفصح، وهو: تحدي اهل الفراغ وشغل اهل البطالة، ليتنافسوا في تباين قرائحهم، ويتفاخروا في سرعة خواطرهم، فيستكدوا^(٢) خواطر قد منحوا صحتها فيما لا يجدي نفعاً ولا يفيد علماً ، فهم كأهل الصراع ، الذين صرفوا مامنحوه من صحة أجسادهم في صراع ربما يؤدي الى فسادهم، مع أنه لا يكسب لهم حمداً، ولا يؤثّل لهم مجداً، فأولئك وهؤلاء كالحمير التي تتسافر^(٣) على التحقيق، لولا أن تسافر الحمير بفضي الى قطع الطريق، انظر الى قول بعضهم :

رجل مات وخلا رجلاً ابن عمّ ابن أخي اخت أبيه
معه امّ بنسي أولاده وأبسا أخت بنسي عمّ أخيه
أخبرني عن هذين البيتين - الذين يروّج صورة^(٤) ماتضمننا من السؤال -

(١) يواضع: يراهن .

(٢) يتعبوا .

(٣) من السفر وهو السرعة في الذهاب .

(٤) كذا الظاهر ، والكلمة مشوهة في الاصل ، وكتب في نسخة المرعشي

(صوبه) .

إذا استكدّ المرء الفكر في استخراجهما، علم^(١) أنه أراد ميتاً خلف أباً وزوجة وعماً. ما الذي افاده من العلم؟ ونفى عنه من الجهل؟

فنحن لانستبعد ان يرد علينا امثال هذا فنستكد افكارنا ونصرف اوقاتنا في استخراجيه ثم نكون بعده كما كنا قبلاً فليصرف العاقل نفسه عن علوم النوكى^(٢)، وتكلف البطالين .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : من حسن اسلام المرء : تركه ما لا يعنيه .

وليجعل العاقل ما من " الله عليه من صحة القريحة وسرعة الفهم مصروفاً الى علم يكون انفاق العمر فيه مذخوراً، وكد الفكر فيه مشكوراً .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ .

ونحن نستعين بالله أن نغبن في فضل نعمه علينا او نجعل نفع احسانه الينا .

قال بعض البلغاء : من أمضى يومه في غير حق قضاءه، أو فرض أدّاه، أو مجد أثله، أو حمد حصّله أو خير أسّسه، أو علم اقتبسه : فقد عقى يومه وظلم نفسه .

(١) في النسختين : فعلم .

(٢) الحمقى .

فصل

وأما الرمز: فلست تجده في علم معنوي، ولا في كلام لغوي وانما يختص غالباً بأحد شيئين :

أما بمذهب خفي شنيع يخفيه معتقده ، ويجعل الرمز به سبباً لتطليع النفوس اليه، واحتمال التأويل فيه سبباً لدفع التهمة عنه .

وأما بما يدعي أربابه أنه علم معزز ^(١)، وأن ادراكه بديع معجز كأرباب صنعة الكيمياء حيث رمزوا بأوصافها وأخفوا معانيها ، ليوهموا الشح بها ، خديعة للعقول الواهية، والآراء الفاسدة .

قال الشاعر :

منعت شيئاً فأكثرت الوقوع به أحب شيء الى الانسان مامعنا
ثم ليكونوا براء من عهدة ما قالوا اذا جرب، ولو كان عندهم وراء الرمز معنى صحيح أو علم مستفاد لخرج من الرمز الخفي الى العلم الجلي ، لان أغراض الناس - مع اختلاف أهوائهم - لاتتفق على سر سليم، واخفاء مفيد .
قال الشاعر :

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعاً

(١) نادر الوجود .

باب الدنيا

صريح اسمها دليل على لؤمها . فهي دنيا كما سميت ، لانها ان واصلت فتبعات موبقة ، أوفارقت ففجعات محرقة .

فعن النبي صلوات الله عليه أنه قال : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها .

وقال عيسى عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .

وقال عليه السلام : لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد .

وقال وهب : الدنيا والاخرة كضرتين ان أرضيت أحدهما أسخطت الاخرى .

وقال عيسى عليه السلام : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للاخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بعمل ؟ .

وقال عليه السلام : أوحى الله تعالى الى الدنيا : من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه .

وقال عليه السلام : ان أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها ، فأما تواتوا منها ما خشوا أن يميت قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أنه سيطر كهم .

أيا من يؤمل طول الحياة وطول الحياة عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب فلاخير في العيش بعد الكبر
وقال بعض الحكماء : انك لن تصبح في شيء من الدنيا ، الا وقد كان له
أهل قبلك ، ويكون له أهل بعدك ، وليس لك في الدنيا الا عشاء ليلسة وغذاء
يوم ، فلاتهلك في أكلة ، وصم الدنيا وأفطر على الاخرة ، فان رأس مال الدنيا
الهوى ، وربحها النار ^(١) .

وقال بعضهم : ماضى من الدنيا كأن لم يكن ، وما بقى منها كما قد مضى
فمن عرف الدنيا ثم طلبها فقد أخطأ الطريق ، وحرّم التوفيق ^(٢) .

وقال بعض الزهاد : لانتظر الى دنيا الملوك وخفض عيشتهم فيها ، ولكن
انظر الى سرعة طعنهم عنها وقلة ما يصحبهم منها .

وكان عمر بن عبدالعزيز (رضه) كثيراً ما يتمثل بهذه الابيات :

نهارك - يا مغرور - سهو وغفلة وليك نوم والاسى لك لازم
تسر بما يفنى ، وتفرح بالمنسى كما سر بالذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم
وحكى الاصمعي قال : دخلت على الرشيد يوماً فوجدته ينظر في كتاب
ودموعه تسيل على خديه ، فلما رأيته رمى الي بالقرطاس ، واذا فيه شعر أبي
العتاهية وهو :

هل أنت معتبر بمن خربت منه غداة قضى دساكره ؟
وبمن أذلّ الدهر مصرعه فتبرأت منه عساكره
وبمن خلت منه أسرته وتعطلت منه منابره
أبسن الملوك وأبسن غيرهم صاروا مصيراً أنت صائره
يا مؤثر الدنيا للذتها والمستعد لمن يفاخره

نل ما بدا لك أن تنال من الدنيا ————— فان الموت آخره
 ثم قال الرشيد : والله لكأنني اطلب بهذا الشعر ، فما لبث الا يسيراً حتى
 مات .

فمن وفقه الله للنظر الى باطن الدنيا وشر منقلبها بعين بصيرته ، وأجال فيما
 تلونا عليه من المواعظ والأمثال صافي فكرته ، بعنه عقله السليم على شيئين :
 الزهد فيها وفي حطامها ، والقناعة بما يسد الخلة في قليل أيامها ، فيسلم حينئذ
 من آثامها

فصل (١)

أما الزهد : فهو في أصل اللغة عدم الرغبة ، من زهد في الشيء: اذا لم يرغب فيه ، وأما في الاصطلاح : فهو سجيّة في النفس تقتضي تحقير الدنيا وحطامها تحقيراً يمنع من طلبها والرغبة فيها .

وعلى هذا فقد يكون الغني ذو الاموال الجزيلة زاهداً ، والفقير الذي لا يملك شيئاً راغباً .

ولهذا قال البسطامي : ليس الزاهد من لا يملك شيئاً ، ولكنه السذي لا يملكه شيء .

وهو من أعظم المقاصد ، وأجل الموارد ، حيث به يكون رضا الله تعالى لانه قد أمر به وحث عليه ، ورضا الناس ، لان "محبوب كل" أحد من ترك منازعته فيما يديه ، وكفى بذلك رفعة وراحة .

والباعث عليه - مع كرم النفس وشرفها - عقل بصير ونظر خطير كشفها عن دناءة الدنيا وكثرة معائبها ، فعلموا أنها جديرة باستحقاقها والزهد فيها ، وأوجبا الرغبة في رضا الله بدلا منها ، والثقة بحصول ما عنده عوضاً عنها .

قال بعضهم : الزهد بصحة اليقين ، وصحة اليقين بنور الدين .

وقال سعيد بن المسيب : مرّ بي ابن أشيم فما تمالكت أن نهضت اليه

فقلت : يا أبا الصهباء ، أدع لي ؟

فقال : رغبتك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ، ووهبك اليقين الذي
لا تسكن النفوس الا اليه ، ولا يعول في الدين الا عليه .

ومرّ محمد بن واسع بقوم ، فقيل : هؤلاء زهاد ، فقال : وما قدر الدنيا
حتى يحمد من زهد فيها ؟ !

فرحمه الله ما أبلغ جوابه .

ودخل قوم الى منزل زاهد فلم يجدوا شيئاً يقعدون عليه فقالوا له في
ذلك ، فقال : لو كانت دار مقام لاتخذنا لها أثاثاً .

وقيل لبعض الزهاد لما مرض : ألا توصي ؟

فقال : بماذا ؟ والله ما لنا شيء ، ولا لنا عند أحد شيء ولا لاحد عندنا

شيء .

فانظر الى هذه الراحة والسلامة ، ولهذا قيل : الفقر ملك ليس فيه محاسبة

فصل (١)

وأما القناعة : فهي عبارة عن الرضا بما يسد الخلّة ، وترك التعرض لـمـسا سواه ، وأما الرضا بقول مطلق : فهو أعلى منزلة منها ، وسيأتي الكلام عليه ان شاء الله تعالى (٢).

وحيث كان الرضا مأخوذاً في تعريف القناعة ، فهي من أعظم المنافع ، وأربح البضائع ، لما يترتب عليها من راحة النفس ، وسلامة الجسم من هموم زوائد المكاسب ، وكد المطالب ، ورضا الرحمان ، والفوز بالجنان . قال مجاهد في تأويل قوله تعالى : « فلنحيينّه حياة طيبة » (٣) : يعني القناعة .

وعن النبي ﷺ : اذا أردت أن تحيا عزيزاً غنياً ، فلا تكن على حالة الارضية بما دونها .

وعنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : مامن عبد الا بينه وبين رزقه حجاب ، فان قنع أتااه رزقه وان هتك الحجاب لم يزد في رزقه . قال ابن الرومي :

(١) في نسخة المرعشي فصل : القناعة .

(٢) في خاتمة الباب : ١٣ / الصبر والجزع .

(٣) سورة النحل : ٩٧ / ١٦ .

جرى قلم القضاء بما يكون
 فسيان التحرك والسكون
 جنون منك أن تسعى لرزق
 ويرزق في غشاوته الجنين
 وقال بعض الحكماء : من قنع كان غنياً -- وان كان فقيراً -- ، ومن لم
 يقنع كان فقيراً -- وان كان غنياً -- .
 قال أبو العتاهية :
 قنع النفس بالكفاف والا
 طلبت منك فوق ما يكفيها
 انما أنت طول عمرك ماعمرت
 في الساعة التي أنت فيها

فصل

من أبت نفسه قبول نصحه في الرضا باليسير فليس الى اكرامها سبيل
الا بالرياضة، فيستنزلها باليسير الذي لا تنفر منه .

فاذا استقرت عليه ، استنزلها الى ما هو أيسر منه ، لتنتهي بالتدريج الى
الغاية المطلوبة ، والمرور على الحالة المحبوبة ، كل ذلك بعد ايراد المواعظ
وضرب الامثال ، وذكر قصر العمر ، وشبه ذلك .

وحيث قد عرفت أن القناعة رفض ما زاد عن قدر الكفاية ، فقدر الكفاية
من المأكل والملبس والمسكن ونحو ذلك ، مما لا بد منه لبقاء هذا الشخص
الانساني في الدنيا ليتزود منها الى الآخرة .

ولذلك روي عن النبي ﷺ انه مدحها فقال : نعم المطية الدنيا فارتحلوا
بها تبلغكم الآخرة .

وذم الدنيا رجل عند علي رضي الله عنه فقال : الدنيا دار صدق لمن
صدقه ، ودار نجا لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها .
فلنرجع الى الكلام على الدنيا فنذكر طرفاً مما تنتظم به .

فصل

من لطيف حكمة الله تعالى انه خلق الخلق محتاجين عاجزين ، ليكون جل وعز منفرداً بالغني ، مختصاً بالقدرة . ثم جعل الانسان أكثر حاجة من جميع نوع الحيوان ، لان باقيه يستقل بنفسه ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه الانسان الا نادراً ، وأما الانسان فهو مطبوع على الافتقار الى جنسه والى غيره ، كما لا يخفى ، وانما خصّه الله تعالى بكثرة الحوائج لطفاً به ، ليمنعه ذل الحاجة ومهابة العجز عن الطغيان بالغنى والقدرة ، لان الطغيان مركوز في طبعه اذا استغنى ، كما اخبر الله تعالى ^(١) والبنغي مستول عليه اذا قدر .

قال ابو الطيب المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذاعفة فلعله لا يظلم .
ولما خلقه الله تعالى ماس الحاجة ، ظاهر العجز ، جعل لنيل حاجاته اسباباً
ولدفع عجزه أبواباً ، دله عليها بالعقل .

قال الله تعالى : «والذي قدر فهدى» ^(٢) .

فلزم أن يصرف الانسان الى دنياه حظاً من عنايته ، لانه لا غناء به عن
التزود منها للآخرة .

(١) حيث قال سبحانه « ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى »

(سورة العلق : ٧/٩٦) .

(٢) (سورة الاعلى : ٣/٨٧) .

ولا بد له من سد خلته ، كما قد بينّاه آنفاً ، وليس هذا نقضا لما قلناه أولاً من الحث على ترك فضولها وجر النفس عن الرغبة فيها ، فان جميع ذلك فيما تجاوز قدر الحاجة والا فقد قال الله تعالى ، لنبيّه ﷺ : «فاذا فرغت فانصب ، والى ربك فارغب»^(١).

قال أهل التأويل : يعني اذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عبادة ربك . وليس هذا القول منه ترغيباً لنبيّه - ﷺ - فيها ، ولكنّه ندبه الى أخذ البلغة منها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه^(٢) . وحكى مقاتل : ان ابراهيم الخليل ﷺ قال : يارب الى متى أتردد في طلب الدنيا ؟

ف قيل له : أمسك عن هذا ؟! فليس طلب المعاش من طلب الدنيا . وقال سفيان الثوري : مكتوب في التوراة ، يا بن آدم : اذا كان في البيت برّ فتعبّد ، وان لم يكن فاطلب ، يا بن آدم : حرك يدك يسبب لك رزقك . وقال بعض الحكماء : ليس الرغبة في الدنيا اکتساب ما يصون العرض فيها .

فوجب بما بينّاه النظر في أمور الدنيا ، وسبر أحوالها ، ليعلم أسباب صلاحها وفسادها ، فتقصد الامور من أبوابها .

(١) سورة الانشراح : ٧/٩٤ - ٨ .

(٢) كذا والظاهر : لهذه .

فصل

يتضمن طرفاً مما ينتظم به أمرها

ومن لطيف حكمة الله تعالى وحسن تدبيره : أنه لم يجعل الدنيا لجميع أهلها مسعدة ، ولا عن كافة ذويها معرضة ، لان اعراضها عن جميع أهلها عطب واسعادها لكافة فساد .

بل ايتلافهم [و] ^(١) اختلافهم لاجل المساعدة والتعاون ، اذ لو تساوا جميعهم لم يجد أحدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا ، ولم يرض أحد منهم بكد نفسه بالصنایع الدنيّة المحتاج اليها ، لو جعلهم كلهم سعداء . ولم يقدر أحد منهم على احتمال المشاق والكلف في السفر الطويل لاجل قليل ما يحتاج اليه من مأكل وملبس أو دواء او شبه ذلك ، لو جعلهم كلهم فقراء .

ولو كان كذلك لهلكوا حينئذ عجزاً ، او ضعفوا فشلاً . بل جعلهم مختلفين مؤتلفين بالمعاونة ، متواصلين بالحاجة . قال تعالى : « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » ^(٢) . سبحانه ما أعظم شأنه ! وأعظم اتقانه !

(١) ليس في النسختين وانما اصفناه لسياق الجملة .

(٢) (سورة النحل : ١٦ / ٧١) .

ثم ان صلاح الدنيا مصلح أحوال أهلها ، لظهور دياناتهم ، ووفور أماناتهم وفسادها مفسد لهم لقلّة أماناتهم ، وضعف دياناتهم .
فلا شيء انفع من صلاحها ، كما انه لا شيء أضر من فسادها ، وصلاحها من ستة أشياء ، هي القواعد ، وان تفرغ عليها غيرها .

الاول : الدين المتّبع :

لانه يصرف النفوس عن شهواتها ويقهرها في خلواتها فيكون الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا .
ولهذا لم يخل الله جل وعز خلقه من تكليف شرعي ينقادون لحكمه ، فيترتب عليه حفظ الاصول والفروع .

الثاني : السلطان القاهر :

لانه يجتمع لهيبته القلوب المتفرقة ، وتنكف^(١) لسطوته الايدي الغالبة ، لان حب الغلبة والرفعة والاستيثار بالاموال وتوابعها مركز في طبع الانسان .
كما قال تعالى : « زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » الآية^(٢) .

فهي لا تردع عنه الابمانع قوي ، وقد أفصح المتنبي بذلك في قوله :
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يسراق على جوائبه السدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

(١) تنكف : تعتدل وتمتنع عن ظلم غيرها .

(٢) تتمة الآية ... من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والمخيل

المسومة والانعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المثاب .

(سورة آل عمران ١٤/٣)

وهذه العلة المانعة إما دين ، أو سلطان ، أو عجز ، ولا يكاد يكون لها رابع ، ورهبة السلطان أبلغها ، لأن الدين ربما كان مضعوفاً بداعي الهوى .
وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم »^(١) .

وقال ابن مسعود : السلطان ربما يفسد ، وما يصلح الله به أكثر ، فإن عدل فله الاجر وعليكم الشكر ، وإن جار فعليه الوزر وعليكم الصبر^(٢) .
ثم لا يخفى ما في السلطان من حراسة الدين والذب عنه ، ومنع الاهواء منه ، وزجر من شذ عنه ، أو سعى فيه بفساد ، ومن ثم وجب اقامة امام يكون زعيم الامة ليكون الدين محروساً جارياً على أحكامه .

إذا عرفت ذلك فالذي يجب على امام الامة سبعة أشياء :

الاول : حفظ الدين من التبديل والحث على العمل به .

الثاني : حراسة الدين والذب عن الامة من عدو في دين أو باغ في

نفس أو مال .

(١) سوف يأتي تفسير السلطان الموصوف بهذا الوصف وهو الامام العادل

الحاكم بحكم الله تعالى والعامل بواجباته السبعة التي سيذكرها بعد قليل ..

(٢) قد أورد ابن مسكويه الحديث عن رسول الله قوله : فإن عدل كان له

الاجر وعلى الرعية الشكر ، وإن جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر ، وهذا تمام

المروى عن النبي فيما سبق راجع الحكمة الخالدة ص ١٧٩ ، وليس الصبر هو السكوت

عما يفعله والرضا بذلك فإن هذا المعنى من تحريفات المغرضين أعداء الاسلام ، لهذا

المفهوم الاسلامي العميق . بل الصبر هو الاستقامة والصمود والتحدى لرفع الجور وازالة

العدوان وهذا المعنى واضح في كل مورد وردت فيه هذه الكلمة فقد قال تعالى يا أيها

الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون .

الثالث : عمارة البلدان باعتماد ^(١) مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها .
الرابع : تعاطي ما يتولاه من الاموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها
ولافي إعطائها .

الخامس : معاناة ^(٢) المظالم والاحكام ، بالتسوية بين أهلها .
السادس : اقامة الحدود على مستحقها ، من غير تجاوز ولا تقصير .
السابع : اختبار خلفائه في الامور أن يكونوا من أهل الكفاية والامانة عليها .
فاذا فعل السلطان ذلك كان مؤدياً حَقَّ الله فيهم مستوجباً لطاعتهم ، وان
قصر كان بها معاقباً وعليها مؤاخذاً ، ويكون من الرعيّة على ارتقاب معصية
او موت ، فيتربصون به الفرص .

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال : ما من أمير على
عشرة الا وهو ياتي يوم القيامة مغلولاً يداه على عنقه حتى يكون عمله هو الذي
يطلقه أو يوبقه ^(٣) .

الثالث : العدل

والعدل يستعمل على معنيين عام وهو الاعتدال ، وخاص وهو ما يطلبه الرعية
من سلاطينهم ، ويقابل الجور والظلم .
اما العام فهو عبارة عن التوسط بين التقصير والسرف ، لانه مأخوذ من
الاعتدال ، ومنه العدالة ، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عنه .
قالت الحكماء : الفضائل هبات متوسطة بين خلتين ناقصتين .

(١) في نسخة المرعشي : باعمار .

(١) المعاناة : المقاساة ويراد بها معالجة المظالم .

(٢) أى ان الامة تترقب للوثوب عليه لقتله أو لمجانفة أوامره ومعصيته ما لم يكن .

فالحكمة : واسطة بين الشر والجهالة ، والشجاعة واسطة بين التهور والجبن ، والعفة : واسطة بين الشره وضعف الشهوة ، والسكينة واسطة بين الجمود والخفة ، والظرف : واسطة بين الخلاعة والوقار ، والتواضع : واسطة بين الكبر ودناءة النفس ، والسخاء : واسطة بين التبذير والتقتير ، والحكم : واسطة بين السخط وعدم الغضب ... وعلى هذا ، فلست ترى فساداً الاوسببه الخروج عن العدل من زيادة أو نقصان .

واما الخاص : فالكلام عنه هنا هو المقصود بالذات ، فبه تكون الالفه ، والطاعة ، وعمارة الارض ، وانماء الاموال ، واطمئنان النفوس .

وبالجملة لاشيء أنفع من العدل ، كما أنه لاشيء أضر من الجور .

قال الاسكندر لحكماء الهند : أيما أفضل العدل أم الشجاعة ؟ !

فقالوا : اذا استعمل السلطان العدل أغناه عن الشجاعة .

وقال بعضهم : العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالقه

في ميزانه ولا تعارضه في سلطانه واستعن على العدل بخلتين : قلة الطمع ، وكثرة الورع .

فصل :

واذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به وجب أن يبدأ الانسان بعدله في نفسه ، ثم بعدله في غيره .

أما عدله في نفسه : فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح ، ثم توقيف أحوالها على أعدل الامرين : من تجاوز ، او تقصير .

فان التجاوز بها جور ، والتقصير فيها ظلم ، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم .

وأما عدله في غيره ، فثلاثة اقسام .

الاول : عدله فيمن دونه ، كالسلطان مع رعيته والرئيس مع صحابته ، وعدله بأربعة أشياء :

اتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلط بالقوة ، وابتغاء الحق في السيرة .

فان اتباع الميسور أدوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلط أجلب للمحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصره .

وهذه الامور ان لم تسلم للزعيم كان تطرق الاختلال اليه أكثر وأظهر .

روي عن النبي ﷺ انه قال : أشد الناس عذاباً من أشركه الله في سلطانه

فجار في حكمه .

أوس يرفعه : من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من

الاسلام .

مجاهد يرفعه : يسلم الله الحزن على أهل النار فيقال لهم : هذا ما كنتم تؤذون المؤمنين .

وقال علي رضي الله عنه : يقول الله : أشد غضبي على من ظلم من لم يجد ناصراً ومن سلب نعمة غيره سلب الله نعمته .

حكى : ان محمد بن مروان قال : صرت الى جزيرة النوبة في آخر أمرنا ، فأمرت بالمضارب فضربت ، فخرج النوبة يتعجبون منها ، ثم أقبل ملكهم وهو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء من صوف ، فسلم ، وجلس على الأرض .

فقلت له : مالك لاتقعد على البساط ؟

قال : أنا ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع له اذ رفعه ثم قال لي : ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم ، والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ فقلت : عبيدنا فعلوه بجهلهم .

فقال : ما بالكم تلبسون الديباغ ، وتتحلون بالذهب ، وتشربون الخمر ، وكل ذلك محرم على لسان نبيكم ؟

فقلت : فعل ذلك أعاجم من خدمنا كرهنا الخلاف عليهم .

قال محمد بن مروان : فجعل ملك النوبة يكرر معاذيري على وجه الاستهزاء ثم قال : ليس كما تقول ، يا بن مروان ولكنكم قوم ملكتم وظلمتم بغير استحقاق وتركتهم ما أمرتم به ، والله منكم نقمة لم تبلغ ، واني أخشى أن تبلغ بكم وأنتم في أرضي ، فارتحل عني .

الثاني عدله فيمن فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها وهو بشيئين : اخلاص الطاعة ، وبذل النصرة .

فان اخلاص الطاعة أجمع للشمل ، وبذل النصرة أدفع للوهن .

قال بعضهم : أطع من فوقك يطعك من دونك .
 الثالث : عدل الانسان مع أكفائه ويكون بثلاثة أشياء :
 ترك الاستطالة ، وكف الاذى : ومجانبة الادلال .
 لان ترك الاستطالة آلف ، وكف الاذى أنصف ، ومجانبة الادلال اعطف
 فان لم يخلص هذه الثلاثة في الاكفاء أسرع فيهم التقاطع
 قال بعض الحكماء : كل عقل لا يدارى به كل الناس فليس بنام .

الرابع مما يصلح به أمر الدنيا : الامن العام
 المقابل للخوف ، وبه تطمئن النفوس وتنتشر الهمم .
 قال بعض الحكماء : الامن أهني عيش ، والعدل اقوى جيش ، لان الخوف
 يقبض الناس عن مصالحهم ، ويكفّهم عن أسباب المواد التي بها قوام مرادهم .

الخامس تخصب (٢) الدار .

اذ به تتسع الاحوال ويشارك فيه ذووا الاكثار والاقلال ، فيقل في الناس
 الحسد ، وتتسع النفوس ، وتكثر المواساة .
 ولان الخصب يؤول الى الغنى ، والغنى يحدث الامانة والسخاء .
 كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الأشعري : لانستقضي الا اذا حسب
 او مال ، فان ذا الحسب يخاف العواقب ، وذا المال لا يرغب في مال غيره .
 وقال بعض السلف : وجسدت خير الدنيا والاخرة في خصلتين : التقى
 والغنى ، وشرّ الدنيا والاخرة في خصلتين : الفجور والفقر .

(١) الادلال : الانبساط والاجترأ على الصديق وثوقاً بمحبته .

(٢) في النسختين : الخصب .

قال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى
ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

وقال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
واقبح الكفر والافلاس في الرجل

السادس : الامل الفسيح

وهو الباعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيفائه .
ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الاول ، فيصير به مستغنيا ، لشق عليه
استحداث كل ما يحتاج اليه ، فلو اقتصر أهل كل عصر على ما يحتاجون
اليه لحصل من الاعواز وتعذر الامكان ما لاخفاء فيه .
فلذلك وسّع الله لخلقه الامل . حتى عمروا الدنيا ، فتنقل الى القرن الاخر
معمورة ، ولو لا ذلك لما تجاوز أحد قدر حاجته في يومه ولا تعدى ضرورة
وقته وكانت تنتقل الى من بعده خراباً ثم تنتقل الى من بعده بأسوء من ذلك ،
وهكذا . . .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : الامل رحمة من الله تعالى لامتي ، ولو لاه
ما غرس غارس شجراً ، ولا أرضعت أم ولداً .
واما الامل المتعلق بالآخرة والتسويق وشبه ذلك فسيأتي في فصل مفرد
ان شاء الله تعالى (١) .

(١) في الباب : ٢١ / الامل والتسويق والرجاء والمنى .

فهذه الامور الستة هي التي تنتظم بها أمور الدنيا وبحسب ما اختل منها يكون اختلالها .

وبعيد أن يكون أمرها كاملا وصلاحها شاملا ، لانها موضوعة للتغيير والفناء ، والتكاليف الشاقة التي يترتب عليها الجزاء .

سمع بعض الحكماء رجلا يقول : قلب الله الدنيا . فقال الحكيم : اذن تستوي لانها مقلوبة .

واذ قد فرغنا بحمد الله تعالى وحسن توفيقه مما يصلح به حال الدنيا فلنذكر طرفاً مما يصلح به حال الانسان فيها مستعينين بالله تعالى .

فصل

ومما يصلح به حال الانسان في الدنيا ثلاثة أشياء :
نفس مطيعة الى رشدها منتهية عن غيها .
والفة جامعة تعطف القلوب عليها وتدفع المكروه بها .
ومادة كافية تسكن النفس اليها ويستقيم الاود بها .
فلنوضح كل واحد بما اقتضاه الحال وأدى اليه النظر :

فصل :

أما النفس المطيعة : فلانّ النفس اذا أطاعت ملكت ، واذا ملكت انقادت
الى فعل ما يراه العقل من المصالح ، فتظفر بالسعادتين .
واذا عصت ملكت واذا ملكت ، تهورت الى فعل ما تراه هي من القبائح ،
فتبوء بالخسارتين .

على أنّ من لم يملك نفسه فهو بأن لا يملك غيره أخرى .
وحاصل الامر : أن طاعة النفس وعصيانها بحسب سلامتها من استيلاء
دواعي الهوى والشهوات وعدمه ، وسلامتها من دواعي الهوى والشهوات
وعدمه بحسب غلبة العقل عليها وتملكه لها ، أو غلبتها عليه وتملكها له .

فصل:

وأما الالفة الجامعة: فلان الانسان مقصود بالاذية ، محسود على النعمة .
 فاذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطفته أيدي حاسديه ، وتحكمت فيه أهواء
 أعاديته فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة .
 وإذا كان آلفاً مألوفاً انتصر بالالفة على أعادية وامتنع منهم بعشيرته وذويه .
 على أن الالفة من محاسن الشيم ، ودلائل الاصل والكرم .
 فعن النبي ﷺ أنه قال المؤمن آلف مألوف ، ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف
 وخير الناس أنفعهم للناس .
 والعرب تقول : من قلّ ذلّ .

وحيث كانت الالفة بهذه المنزلة فلنذكر نبذاً من أسبابها وهي أربعة :
 (الاول): الدين وذلك لبعثه على التناصر ومنعه من التدابر ، هذا رسول الله
 صلى الله عليه بعث والعرب أشدّ الناس تقاطعاً وتعادياً^(١) حتى أن بني الاب
 الواحد كانوا يتفرقون أحزاباً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، وكانت الانصار أشدّ العرب
 تقاطعاً وتعادياً ، فكان بين الاوس والخزرج اختلاف كثير ، وتباين فضيع ،
 ونهاج شنيع ، الى أن أسلموا فصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين .

(١) يصف أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) أوضاع الناس قبل بعثة الرسول
 الاعظم (ص) فيقول : ان الله بعث محمداً (ص) نذيراً للعالمين ، وأميناً على التنزيل ،
 وأنتم - معشر العرب - على شر دين ، وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن ، وحيات
 صم ، تشربون الكدر ، وتأكلون الجشب ، وتسفكون دماءكم ، وتقطعون أرحامكم ..
 كما يصف تفرقهم العقائدي بقوله : وأهل الارض يومئذ ملل متفرقة ، وأهواء
 منتشرة ، وطوائف متشتتة بين مشبه لله بخلقه ، أو ملحد في أسمائه ، أو مشير الى غيره
 فهداهم من الضلالة وأنقذهم من الجهالة .. (نهج البلاغة : الخطبة / ١٢٦) .

قال الله تعالى : «واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا» (١) .

ثم انه على قدر الالفة في الدين اذا اختلف تكون المباشرة فيه اذا اختلف . هذا ابو عبيدة بن الجراح لما أسلم قتل أباه يوم بدر واتى برأسه الى رسول الله فلم يعطفه عليه رحمه ولا كفّه عنه اشفاق ، تغليبا للدين على النسب . ثم انه قد يختلف أهل الدين الواحد على مذاهب شتى فيحدث بينهم من العداوة ما يحدث بين مختلف الاديان ، وان خفى شيء من ذلك فلا يخفى ماكان بين المعتزلة - قابلهم الله بما يستحقونه - وبين أهل الحق - رفع الله درجاتهم - من المعاداة والبغض ، والتعصب والحمية ، والتشنيع الفضيع ، الى أن احق الله تعالى الحق بكلماته ، وأبطل دابرهم ، وخسر هناك المبطلون .

(الثاني من أسباب الالفة): النسب ، لان حمية الارحام تبعث على التناصر حكمة من الله تعالى .

روي عن النبي ﷺ انه قال : الارحام اذا تماسست تعاطفت . ثم ان الارحام ثلاثة : والدون ، ومولودون ، ومتناسبون . اما الوالدون : فهم موصوفون مع سلامة حالهم بخلقين ، لازم بالطبع وحادث بالاكتساب .

فاللازم بالطبع : الحذر والاشفاق . والحادث بالاكتساب : هو المحبة التي تنمو مع الاوقات ، وتغير بتغير الحالات .

فإذا انصرف الوالد عن حب ولده فليس ذلك لبغضه ولكن لسأوة

(١) (سورة آل عمران : ٣ / ١٠٣) .

حدثت من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذي لا يزول عنه .
والامهات أكثر اشفاقاً ، وأشد حباً ، لما باشرن من الولادة ، وعانين من
النربية ، ولانتھنّ أرقّ قلوباً والين نفوساً ، فهن أكثر انفعالا .
ولذلك وجب ان يكون التعطف عليهنّ من الاولاد أكثر ، جزاء
لفعلهن .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : أنهاكم عن عقوق الامهات .
وعنه ﷺ : انّ الله تعالى يوصيكم بأمّھاتكم ، ثم يوصيكم بأمّھاتكم ، ثم
يوصيكم بأمّھاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم .

واما المولودون : فموصوفون أيضاً - مع سلامة حالهم - بخلقين :
أحدهما لازم بالطّبع ، وهو الانفة والحميّة للاباء من تهضمّ او خمول
وهو في مقابلة الاشفاق من الاباء .

وثانيهما : منتقل وهو : الادلال^(١) ، وهوفي مقابل المحبة من الاباء ، فربما
يزول ويقلّ باعتبار زوالها او قلّتها .

واما المتناسبون : فهم من عدا الاباء والاولاد من الاعمام والاخوان ، وهم لا
يتصفون بالحمية الباعثة على النصرّة ، فان حرسست بالتواصل والتلاطف تاكدت
وكانت من أوكد اسباب الالفة .

وان أهملت غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت عداوة
وتباعداً .

ومن ثم قال بعضهم : الاب ربّ ، والولد كمد ، والعم غم والخال وبال
والاقارب عقارب .

ومن اجل ذلك امر الله جل وعز بصلة الارحام ، فقال تعالى : «والذين

(١) الادلال : الانبساط .

يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» (١) .
قال المفسرون هي الرحم التي امر الله تعالى بوصلها، ويخشون ربهم في قطعها .

وعن النبي ﷺ أنه قال: صلة الرحم منماة للعدد، مثرة للمال محياة (٢) في الاهل، منسأة في الاجل .

وقال بعض الحكماء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك .

(الثالث من أسباب الالفة) المصاهرة : لانها استحداث مواصلة صدرت عن رغبة واختيار .

قال الله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » (٣) .

يعني بالمودة : المحبة ، وبالرحمة : الشفقة ، وهما من أوكد أسباب الالفة .

وقد قيل : المرء على دين خليله، قال بعضهم : يعني زوجته، لما له اليها من الميل والحب ، فلا يجد الى المخالفة سبيلا .

ثم ان مبنى عقد المصاهرة على خمسة أوجه :

الاول : المال، فاذا كان المال هو الباعث على العقد فالمال هو المنكوح، فان اقترن بأحد الأسباب الباعثة على الائتلاف جاز ان تدوم الالفة، وان انفرد فما اوشك بالعقد أن ينحل، وبالالفة ان تزول، لاسيما اذا غلب الطمع وقل الوفاء ،

(١) (سورة الرعد : ٢١ / ١٣) .

(٢) في الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٤ : محبة .

(٣) (سورة الروم : ٢١ / ٣٠) .

لان المال اذا وصل اليه فقد تقضى سبب الالفة .

فقد قيل: من ودك لامر انقضى وداده بانقضائه .

وقال بعض الفصحاء: من عظمك لاستقلالك، استقلك عند اقلالك .

وان تعذرت القدرة عليه ولم يتمكن من الوصول اليه أعقب ذلك استهانة

الأياس بعد شدة الامل ، فيحدث منه البغض والعداوة لان من أحبك طمعاً

فيك، أبغضك اذا يئس منك .

الثاني: الجمال، وهو أدام للالفة لانه صفة لازمة ولذلك قيل : حسن

الصورة أول السعادة .

وعن النبي ﷺ: أعظم النساء بركة أحسنهن وجهاً وأقلهن مهراً .

الا انهم كانوا يكرهون الجمال البارع ، اما لما يحدث عنه من شدة

الادلال المفضي الى الملل .

فقد قيل: من بسطه الادلال قبضه الملل .

واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ، ويتوقاه الحازم من عواقب

الفتنة .

فقد قال بعض الحكماء: ايتاك ومخالطة النساء، فان لحظهن سهم ولفظهن

شتم .

ورأى بعضهم صبياداً يكلم امرأة فقال: يا صبياد، احذر أن تصاد^(١) .

وسمع عمر بن الخطاب امرأة تقول :

ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكن يشتوي شم الرياحين

فأجابها .

(١) هذا هو الاصح وفي النسخين ان تصطاد والتصحيح من كتاب الايجاز

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين
الثالث: الدين، وهو أحمد أسباب الالفه بداءً وعاقبة ، لان من طلب
الدين انقاد له واستقامت حاله به وبطلبه .

الرابع : الرغبة في الالفه ، وهذا يكون لاحد وجهين .

امّا: المكاثرة باجتماع الفريقين .

وامّا: التآلف الاعداء، فيقصد به تسكين صولتهم. وهذان الوجهان يكونان
غالباً في الامائل وأهل المنازل فالداعي الاول: الرغبة، والداعي الثاني الرهبة .
فان دام السبب دامت الالفه، وان زال السبب بزوال الرغبة أو الرهبة ،
خيف زوال الالفه، الا أن ينضم إليها أحد الاسباب الباعثة عليها .

الخامس: التعفف، وهو الوجه الحقيقي المبتغى بعقد النكاح وماسواه
أسباب متعلقة عليه ومضافة اليه .

روى عطية عن عكاف : ان النبي ﷺ قال له : يا عكاف ألك زوجة ؟
قال: لا .

قال: فأنت اذن من اخوان الشياطين، ان كنت من رهبان النصارى فالحق
بهم، وان كنت منّا فمن سنّتنا النكاح .

وهذا حث كبير منه ﷺ على التزويج .

والحق أنه أفضل من التخلّي للعبادة، لادلة كثيرة لو شرحناها اطلال
ذلك .

(الرابع من أسباب الالفه) : البر، ونعني به : المعروف، وهو نوعان :

قول وعمل .

اما القول: فهو عبارة عن طيب الكلام، وحسن البشر، والتودّد بالجميل
وهذا يبعث عليه كمال العقل، وحسن الخلق، ورقّة الطبع ولا مرية في كونه
محدوداً، فان اسرف كان ملفاً مذموماً ، وان اقتصد به فهو البرّ المحمود .

قال ابن عباس في قوله تعالى : «والباقيات الصالحات»^(١) انها: الكلام الطيب .

وقيل للعتابي: انك تلقى العامة ببشر وتقريب، فقال : أدفع ضغينة بأيسر مؤنة. واكتسب اخوانا بأهون مبدول .
قال الشاعر :

بنسي " ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين
وأما العمل: فهو بذل الجاه ، والاسعاد بالنفس ، والمعونة في النائبة وهذا يبعث عليه حب الخير للناس مع الرغبة في الاجر الجزيل والذكر الجميل .
وليس لهذا حد ولا فيه سرف ، لانه وان كثر فهو فعل خير يعود بنفع على صاحبه ، وهو اكتساب الاجر والذكر الجميل ومودات الرجال، ونفع على المعان به .

فعن النبي ﷺ: كل معروف صدقة .
وعنه ﷺ: المعروف كاسمه، وأول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف وأهله .

قال الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وانشد الرياشي :

يد المعروف غنم حيث كانت تحمّلها كفور أو شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

(١) تنمة الآية .. خير عند ربك ثواباً وقد وردت في موضعين من القرآن الكريم

هما: (سورة الكهف ٤٦/١٨) و (سورة مريم: ٧٦/١٩) .

خاتمة .

ينبغي لمن قدر على اسداء المعروف - كائنا من كان - أن يعجله حذر
فواته أو العجز عنه وليعلم ان ذلك من فرص زمانه، وغنائم امكانه ، ولا يهمله
ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بقدرة فاتت فاعقبت ندماً .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: من فتحت عليه باب من الخير فلينتهزه،
فانه لا يدري متى يغلق عنه .

وقيل لانوشيروان : أي شيء أعظم المصائب عندكم ؟ فقال : أن يقدر
على المعروف فلا يصطنعه حتى يفوت .

قال الشاعر :

اذا هبَّت رياحك فاغتنمها	فان لكل خافقة سكون
ولا تنفل عن الاحسان فيها	فلا يدري السكون متى يكون

فصل :

وأما المادة فلا يخفى أن الحاجة اليها لازمة للإنسان كله ، لانه لا يدوم له حياة ، ولا تستقيم له دنيا الا بها ، ويلحقه من الوهن في نفسه والاختلال في دنياه بقدر ماتعذر منها وهي تعدم بغير طلب أو سبب .

وأسبابها مختلفة متشعبة ، وذلك هو سبب ابتلافها لانهم لو اجتمعوا على سبب لفسد نظامهم وقد هداهم الله تعالى بعقولهم الى أسبابها وكيفياتها حكمة منه تعالى فقال : «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا»^(١).

يعنى في معاشهم ، متى يزرعون مثلاً ، وكيف يفعلون ؟

وقال الله تعالى : «وقدر فيها أقواتها»^(٢).

قال عكرمة : جعل في كل بلد منها ما لم يجعله في الاخرى ، ليعيش بعضهم بالتجارة ، من بلد الى بلد آخر^(٣).

ثم جعل سبحانه وتعالى سد حاجتهم بوجهين : كسب ومادة .

فالمادة : ما كانت من أصول نامية . وهي شيطان : نبت وحيوان .

واما الكسب : فبالافعال والتصرف ، وذلك من وجهين : تقلب في تجارة وتصرف في صناعة .

فأسباب المكاسب المعروفة اذن أربعة : نماء زراعة ، ونتاج ماشية ، وريح

(١) سورة الروم : ٧/٣٠ .

(٢) سورة فصلت : ١٠/٤١ .

(٣) كذا في نسخة المرعشي ، وفي نسخة : اخرى .

تجارة ، وكسب صناعة .

قال المأمون : من خرج عنها كان كلا عليها .

فلنصف حال كل واحد منها بما أدى اليه النظر واقتضته الحال :

أما الاول : فهو مادة أهل الحضر وسكان الامصار . والاستمداد بها أعظم نفعاً ، ومن ثم ضرب الله تعالى المثل فقال : «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة»^(١) .

وعن النبي ﷺ : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .

وقال ﷺ : الرزق في خبايا الارض . يعني : الزرع .

وقال كسرى لبعض جلسائه : ما قيمة تاجي هذا ؟ فاطرق ساعة ثم قال : ما أعرف له قيمة الا مطرة في أرض معوزة ، فانها تصلح من معاش الناس ما يكون مثل قيمة تاج الملك . فأعجب كسرى بجوابه .

وأما الثاني : فهو مادة أهل الفلوات ، وسكان الخيام ، لانهم لمالهم بضمهم دار ، افنقروا الى الاموال المنتقلة التي لا ينقطع نماؤها بالرحلة ، فاختراروا الحيوان ، لانه يستقل في النقلة بنفسه ويستغني في العلوفة برعيه ، ومنه مر كوب ومحلوب فهو لهم أفضل لقلّة مؤنته عليهم ، ارشاداً من الله تعالى لعباده في تدبير المصالح .

وأما الثالث : أعني التجارة : فقد روي أنها تزيد في العقل وان تركها ينقصه .

قال النبي ﷺ : تسعة أعشار الرزق في التجارة ، والباقي في السائبات . ثم هي نوعان : تقلب في الحضر من غير سفر ، وهو احتكار رغب فيه أولوا

الاقدار ، وزهد فيه ذووا الاخطار .

والثاني : تقلب بالاسفار ، وهو أليق بأهل المروءة والشأن ، وأكثر نفعاً
لانه أكبر خطراً .

فعن النبي ﷺ : المسافر وماله على قلّة ، الا ما وقى الله .

يعني : على خطر من الهلاك .

وقيل في التوراة : يا بن آدم ، أحدث سفراً أحدث لك رزقا .

وأما الرابع : وهو الصناعة : فأقسامها كثيرة ، لا يسعنا استيعابها ، الا ان

منها شريف وأشرف ، ووضيع وأوضع فأشرف الناس نفساً متهياً لأشرفها

صنفاً ، وأرذلهم متهياً لأرذلها ، لان الطبع يبعث الى ما يلائمه ويدعو الى ما

يجانسه كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم .

فصل

لا يخلو حال الانسان في المكسب من ثلاثة أحوال :

الاول : أن يلتبس منها قدر كفايته فقط وهو أحمد أحوال الطالبين .
روى قتادة : عن رسول الله . أنه قال : أوحى الله الي كلمات فدخلن في
أذني وقرن في قلبي ، وهن : من أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو
شر له ، ولا يلوم الله على كفاف .

وعن معاوية بن جندب قال : قلت : يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا؟
فقال ﷺ : ماسد جوعتك وستر عورتك .

وحكى ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى : «اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم
ملوكاً»^(١) ان كل من ملك زوجة وخادماً فهو ملك .

وعن رسول الله (ص) : من كانت له بيت وخادم فهو ملك .
ثم هذا الذي طلب قدر كفايته ليس عليه الا توخي الحلال ، واجمال الطلب ،
ومجانبة الشبهة فعن رسول الله (ص) : الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، فدع ما
يريبك الى ما لا يريبك ، فلن تجد فقد شيء تركته لله .

وقد قيل : من قل توقية كثرت مساويه .

وكان الاوزاعي كثيراً ينشد قول بعضهم :

(١) سورة المائدة : ٢٠ / ٥ .

المال ينفذ حلتّه وحرامه يوماً و تبقى بعده آثامه
ليس التقى بمتق لالهه حتى يطيب شرابه وطعامه
الثانى : أن يقصر عن طلب الكفاية ، فهذا التقصير اما الكسل ، أو توكل
أو قناعة وزهد .

فان كان لكسل : فقد أحرم نفسه ثروة النشاط ، فصار كلا ضائعاً ، ويوشك
أن يكون شقياً ، لانه اذا قصر في طلب ما يصلحه عاجلاً ، فتقصيره في طلب
الاجل أقرب .

وعن النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً .
وقال بزرجمهر : ان كان شيء فوق الحياة فالصحة ، وان كان مثلها فالغنى
وان كان شيء فوق الموت فالمرض ، وان كان شيء مثله فالفقر .
وفي منشور الحكم : القبر خير من الفقر .
وان كان تقصيره لتوكل : فذلك عجز ، وقد أعذرتة نفسه في ترك حزم ، لما
غير اسمه .

لان الله تعالى أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، فيكون حينئذ التسليم الى
القضاء ، والا فهو جل وعز قد أمر بالسعي .

ذكر جماعة عند رسول الله ﷺ رجلاً بخير ، فقالوا : يا رسول الله خرج
معنا حاجاً فاذا نزلنا منزلاً لم يزل يصلي حتى نرحل ، فاذا ارتحلنا لم يزل
يذكر الله تعالى حتى ننزل .

فقال ﷺ : من كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه ؟
فقالوا : كلنا .

فقال ﷺ : كلكم خير منه .

وقال بعض الحكماء : ليس من توكل المرء اضاعة الحزم ، ولا من حزمه

اضاعة نصيبه من التوكل .

وان كان تقصيره لتقنع وزهد : فهو ممن علم بمحاسبة نفسه بتبعات الغنى والثروة ، فأثر الفقر على الغنى ، وقابل الحاجة بالصبر والرضا .

فمن رسول الله ﷺ : انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة ، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل .

وبالجملة : هذه حال من نصح نفسه فأطاعته وهانت عليه فأجابته وعلمت ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير .

كتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز : يا أخي ، من استغنى بالله اكتفى ، ومن انقطع الى غيره تعنى ، ومن كان من قليل الدنيا لم يشبع ، لم يغنه منها كثرة ما يجمع ، فعليك منها بالكفاف ، وألزم نفسك العفاف ، وإيساك وجمع الفضول ، فان حسابها يطول .

وقد قدمنا في الكلام على الزهد والقناعة ما هو أسبغ^(١) من هذا فليراجع ثم^(٢) .

الثالث : أن لا يقنع بالكفاف ، ويطلب الزيادة فقد يكون لاحد أسباب أربعة :

(الاول) : منازعة الشهوات التي لاتنال الا بزيادة المال ، وليس للشهوات حد متناه ، فيكون ذلك ذريعة الى أن يطلبه غير متناه ، ومن لم يتناه طلبه ، دام كده وتعبه ، فلم يف التذاذه بنيل شهوته ، بما يعانيه من التعب والكدح في مدته ، مع ما قد لزمه من ذم الانقياد الى الشهوات ، والتعرض لاكتساب التبعات ، حتى

(١) كذا الظاهر والكلمة مهمة في الاصل وفي نسخة المرعشي (اشنع) .

(٢) الباب : ٥ / الدنيا - الفصل : ١٠ / الزهد ص ١٢١ .

يصير كالبهيمة التي انصرفت هممتها الى طلب ماتدعوها اليه شهوتها .
 روى علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : من أراد الله به خيراً
 حال بينه وبين شهواته ، وان أراد به شراً وكله الى نفسه .
 وقال الشاعر :

وانك ان أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالامنتهى الذم أجمعاً^(١)
 (الثاني) : أن يطلب الزيادة ليصرفها في وجوه البر ، وبصطنع بها المعروف
 فهذا أعذر وبالحمد أولى واجدر ، اذا توقى الشبهات ، وأجمل في الطلبات ،
 لان المال آلة المكارم ، وعون على الدين ، وبه تتألف الاخوان ، ومن فقدته
 قلت الرغبة فيه ، والرغبة منه ، ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهانوا به .
 قال النبي ﷺ : ان أحساب هذه الدنيا المال .
 وقال مجاهد : الخير في القرآن كله : المال^(٢) .
 ومنه : «وانه لحب الخير لشديد»^(٣) يعني المال .
 ومنه : «فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً»^(٤) يعني مالا .
 وقال شعيب : «اني أراكم بخير»^(٥) يعني : غنى .
 وانما سماه الله تعالى خيراً ، لانه يؤدي الى الخير اذا صرف في وجهه .

(١) كذا في عيون الاخبار ج ١ ص ٣٧ عن حاتم طي ، ولكنه ورد في محيط المحيط :
 وانك مهما تعط بطنك سؤله .

(٢) هناك موارد كثيرة في القرآن وردت فيها كلمة الخير ولا تعنى المال راجع

المعجم المفهرس ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

(٣) سورة العاديات : ٨ / ١٠٠ .

(٤) سورة النور ، ٣٣ / ٢٤ .

(٥) سورة هود : ٨٤ / ١١ .

وقال قيس بن سعد : الحمد لله حمداً ومجداً فإنه لاحمد الا بفعال ، ولا
مجد الا بمال .

وقيل لابي زياد : لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال : هي
وان أدنتني منها ، فقد صانتني عنها .

وقال بعض الحكماء : من أصلح ماله فقد صان الاكرمين العرض والدين .
وفي منشور الحكم : من استغنى كرم على أهله .

ويقال : الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح .

وقال الشاعر :

ذريني للغنى اسعى فاني	رأيت الناس شرهم الفقير
يباعده الغريب وتزدريه	حليته وينهره الصغير

لطيفة :

اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم على أن ما أحوج من
الفقر مكرهه ، وما أبطر من الغنى مذموم .

فذهب قوم الى تفضيل الغنى ، لان الغنى مقتدر ، والفقير عاجز ، والقدرة
أفضل من العجز .

وقال الشاعر :

ان بين العلوم والمال بون	ذاك للقدر لي ، وهذا لقدري
فتراني بالعلم أقرىء حتى	أجتني شيعة وبالمال أقري

وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة .

وذهب آخرون الى تفضيل الفقر ، لان الفقير تارك ، والغني ملابس ، وترك
الدنيا أفضل من ملابستها .

وعن النبي ﷺ : الفقر فخري وفخر الانبياء من قبلي^(١) .
وعنه انه قال : اللهم أحيني فقيراً وتوفني فقيراً وحسب الي صحبة الفقراء .
وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة .
وزهد آخرون الى تفضيل التوسط ، بان يخرج عن حد الفقر الى أدنى مراتب الغنى ، ليصل الى فضيلة الامرين ، ويسلم من مذمة الحالين .
وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال ، وان خيار الامور أوسطها .
ولكل فريق شواهد اخر كثيرة يطول استقصاؤها .
(الثالث) : أن يطلب الزيادة ليدخرها لولده من بعده اشفاقاً عليهم ،
ويمنعها نفسه ، وهذا شقي بجمعها مأخوذ بوزرها ، قد استحق الذم من وجوه :
منها : سوء ظنه بخالقه - عز وجل - في انه لا يرزقهم الا من جهته وسوء الظن بالله من أكبر الاثام .
ومنها : العجز ، بالثقة ببقاء ذلك لولده ، مع كثرة نوائب الحدثان .
ومنها : ماسلب نفسه من منافع ماله .
وقد قيل : مالك لك ، أو للوارث ، أو للنائبة .
قال عبد الحميد : اطرح كواذب آمالك ، وكن وارث مالك .

(١) الجمع بين هذه الرواية وأمثالها من قوله (ع) اللهم اغنني بالافتقار اليك وبين ماضى فى ص ١٥١ وما سياتى أيضاً ، من قوله (ص) : كاد الفقر أن يكون كفراً ، هو : ان الفقر على نوعين : ١ - الفقر التكويني الموجود فى الانسان وسائر الكائنات حيث انها مفتقرة فى وجودها الى الله سبحانه وتعالى وهو مصداق قوله تعالى : أنتم الفقراء الى الله . سورة فاطر : ١٥ / ٣٥ .

وبهذا الفقر والانتساب الى الله يفتخر كل موجود .
وأما النوع الثانى : وهو انعدام المقتنيات اللازمة للانسان وهذا هو الفقر المذموم الذى لا بد لكل انسان العمل على رفعه عن نفسه وعن مجتمعه .

ومنها: ما يحاسب عليه من تبعاته .

حكى : أن هشام بن عبد الملك لما أدر كته الوفاة ، بكى عليه ولده ، فقال لهم : جادلكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بزور البكاء ؟ وترك لكم ما كسب ، وتركتم له ما أكتسب ؟ ما أسوء حال هشام ان لم يغفر الله له ، فأخذه محمود الوراق فقال :

تمتع بمالك قبل الممات	والا فلامال ان أنت متّ
شقيت به ثم خلفته	لغيرك بعداً وسحقاً ومقتا
فجادوا عليك بزور البكاء	وجدت لهم بالذي قد جمعنا
وأرهنّتهم كلمسا في يديك	ونخلّوك رهنا بما قد كسبتا

الرابع أن يجمعه لطلب المكاثرة به ، واستحلاء أجمعه فهذا أسوء الناس حالا ، لصيرورته وبالا عليه .

وفي مثله قال الله تعالى : «والذين يكتزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»^(١) .

على أنه في دار الدنيا دائماً في عذاب أليم وتعب مقيم لانه دائماً يجد من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا ، واستحلاء المال لا ينقضي ، وبذله في مواضعه لا يرتضي ، فهو أسوء حالا من الفقير بمراتب كثيرة .

قال الشاعر :

إذا كنت ذا مال ولم تك ذاندي	فانت اذن والمقتسرون سواء
على ان في الاموال يوماً تباعة	على اهلها والمقتسرون براء

وللشافعي (رضه):

ان الذي رزق اليسار ولم يصب حمداً ولا أجراً لغير موفق

فصل

واعلم ان من استولى عليه حبّ المال بعثه الى الحرص في طلبه والشح به ، والحرص والشحّ أصلاً كل ذمّ ، لان الشحّ يمنع من أداء الحقوق ويبعث على القطيعة والعقوق^(١).

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : البخل جامع لمساويء العيوب .

وناهيك بذلك ذمّاً .

واما الحرص ، فانه يسلب فضائل النفس ويبعث على التورط في الشبهات .

على ان الحريص لا يكتسب بحرصه زيادة على رزقه سوى الاذلال لنفسه والاسخاط لخالقه . .

قالت الحكماء : الحرص مفسدة للدين والمروّة .

وقال بعض البلغاء : المقادير الغالبة لاتنال بالمغالبة ، والارزاق المكتوبة لاتدرك بالحرص والمطالبة ، فدلّل للمقادير نفسك ، واعلم أنك غير نائل بالحرص الاّ حظّك .

ثم انه ليس للحرص غاية مطلوبة يقف عندها ، ولا نهاية محدودة يقتنع

(١) وسيأتى بحث مفصل عن الشح في الباب : ١٤ .

بها، لانه اذا وصل الى ما أمّل، أغراه ذلك على الزيادة ، وبعثه على الحرص
وزيادة الامل ، فلو صدّق الحريص نفسه واستنصح عقله ، علم أنّ من تمام
السعادة، وحسن التوفيق الرضا بالقضاء، والقناعة بالقسم .

قال رسول الله (ص): اقتصدوا في الطلب فان ما رزقتموه أشدّ طلباً لكم
منكم له، وما حرمتكموه فلن تنالوه ولو حرصتم .

باب أدب النفس

ما يجب أن يفعله المرء، وتكون عليه النفس من الآداب والصفات والأفعال والأقوال، أما أن يعود عليه نفعه في الدنيا والآخرة، كالصدق والسخاء، أو في الدنيا فقط كالمشورة وكتمان السر .

ولا يختص شيء بالآخرة، لأن كل شيء له نفع أخروي، فله نفع دنيوي، وأقله الحمد من الناس، والمدح منهم، والسلامة من ضرورهم .

وقد قدّمنا من الآداب ومحاسن الأفعال والأخلاق جملة وهأنا أذكرها ما يسعني ذكره مما بقي، فأقول وبالله التوفيق :

اعلم رضي الله عنك وعنّا: أن النفس مجبولة على شيم مهيمنة، وأخلاق مستردة، لا تستغني بذاتها عن التأديب، ولا تكتفي بالمرضي منها عن التهذيب فإن أغفل المرء تأديب نفسه، دخل في صورة الجهل لأن من الآداب اللازمة. ما هو مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة ، فهذا لا ينقاد إليه الطبع، ولا ينال إلا بتوقيف العقل، بل بالدربة^(١) والمعاطات ، لكن يكون العقل قيماً عليه وسلماً إليه، فالعقل لا يغني عن الأدب، البتة .

قال جماعة من الحكماء: العقل بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجر المثمر .

(١) التدريب والترويض .

وقال بعضهم: الادب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت .

وقال أردشير: الادب ممدوح بكل لسان، ويتزين به في كل مكان .

فالحاجة الى الادب أشد من الحاجة الى المطعم والمشرب .

وقال بعض البلغاء : الفضل بالعقل والادب ، لا بالاصل والنسب لان من

ساء أدبه ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل حسبه .

وقال الشاعر :

فما خلق الله مثل العقول ولا اكتسب الناس مثل الادب

وقال الاصمعي :

وانيك العقل مولوداً فلسنت أرى ذا العقل مستغنيا عن حادث الادب

اني رأيتهما كالماء مختلطاً بالترب يظهر عنه زهرة العشب

فصل

والتأديب يلزم من وجهين :

(أحدهما) ما يلزم الوالد لولده في صغره، وهو أن يأخذ ولده بمبادئ
الادب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستيناسه بمبادئها.
ومن أغفل تأديب ولده في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً .
فعن النبي ﷺ أنه قال : ما أنحل الوالد ولده نحلة أحسن من أدب
حسن يفيد إتياءه ، وجهل قبيح يكفّه عنه ويمنعه منه .
وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال وتفرق
البال .

فائدة .

ولابد لمعلم الولد من ملاطفته بكل وجه ، وأن يهدي اليه ألين القول .
أولاً، ثم ليّنه ، ثم غليظه ، ثم أغلظه .
وذلك بحسب صغر الولد وكبره، وقوّه نفسه وضعفها .
ولابد للوالد من امناح ولده بما يستلذه من مطعم ومشرب ويستحسنه من
ملبس، فيميل حينئذ الى الادب بكلّيته لان نفس الطفل لطيفة ، سريعة الميل
والنفور ، اذا حصل مقتضاه من ضرب أوفحش كلام .

وان كان لابد من الضرب وغليظ القول في بعض الموارد ، لاسيما اذا كان فائقاً مميزاً ، فانه ربما كان ذلك أردع له .
 فالحاصل: ان المعلم كالطبيب، أو كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايجوز له التعدي الى الاعلى الا بعد تعذر الادنى .
 (وثانيهما) أدب الانسان عند كبره، وهو أدبان :
 أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح .
 أما الاول: فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء ، واستحسنه الادباء ، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل ولا لهم على اختياره دليل في الغالب ، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، وهيئات اللباس ، ونحو ذلك .
 فاذا جاوز الانسان ما هم عليه من ذلك صار مجانباً للادب مستوجبا للذم، لان فراق المؤلف في العادة موجب لذلك .
 ولهذا قال الشاعر :

ان جئت أرضاً أهلها كلهم عور فغمض عينك الواحدة
 ثم ان هذه الاداب لاجل اختلافها بتنقل الاحوال، وتغير العادات لا يمكن استيعابها ، وانما يذكر كل انسان ويتعاطى ما بلغه الوسع من آداب زمانه واستحسنه العرف من عادات مكانه .

واما الثاني : نعني أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان على حالة لا يجوز في العقل خلافها، فهو مما لا يختلف العقلاء فيه ..
 وأول مقدماته ان لا يسبق المرء الى حسن الظن بنفسه، فيخفي عنه مذموم شيمه ومساوئ أخلاقه .

قال الله تعالى: «ان النفس لامارة بالسوء»^(١) .

(١) (سورة يوسف: ٥٣/١٢) .

وقال النبي ﷺ : أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، ثم أهلك ، ثم عيالك .
فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها ، وتحكيمها داع الى سلاطنتها وفسادها .

نبذة :

وقد منع بعضهم من سوء الظن بها فان النفس وان كان لها مكر يردي ، فلها نصح يهدي ، وكما أن حسن الظن بها يعمي عن مساوئها ، كذلك سوء الظن بها يعمي عن محاسنها .
ومن عمي عن محاسن نفسه ، فهو كمن عمي عن مساوئها ، فلم ينسف عنها قبيحاً ولم يهد إليها حسناً .
قال الجاحظ : يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظن بها مقتصداً .

وقال بعضهم : من ظلم نفسه ، كان لغيره أظلم .
والحق ان الواجب سوء الظن بها ، وعدم الرضا عنها في كل الحالات لانها «أمارة بالسوء» كما وصفها به خالقها^(١) . فهي بطبيعتها مائلة الى الظلم والمفاسد ومساوئ الاخلاق ، والعقل : هو الداعي الى المحاسن والمصالح كلها .
فاذا لم يسئ الظن بها ويزجرها عن كل ما استحسنته فأهملت بفعله - حتى يتدبره في حاله وماله - غلبت على العقل ، فأوقعت به في ورطات الفساد ، وعدلت به عن نهج السداد .

قالت الحكماء : من رضي عن نفسه ، سخط عليه الناس فاذا لم يحسن الظن

(١) حيث قال سبحانه : ان النفس لامارة بالسوء (سورة يوسف : ١٢ / ٥٣) .

بها ، ولم يرض عنها ، لم يطاوعها فيما تحب اذا كان غيّا ، ولم يصرف عنها
ماتكره اذا كان رشدا ، وحينئذ يملكها ، فسيستقيم أمره ، ويشتد أزره .

قال رسول الله ﷺ : الشديد من غلب نفسه .

وقال بعض البلغاء : من غلب نفسه تنهى في القوة ، ومن صبر على شهوته
تنهى في المروة .

وها انا انشر من الاداب فيما أتلسوه عليك من الابواب ، ما يسره الكريم
الوهاب ، ومنه أستمد التوفيق والهداية الى الصواب :

باب الكلام والصمت

ما الانسان لولا اللسان الا كالبهيمة المهملة، او كالصورة الممثلة، لان اللسان ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكتومات^(١) السرائر، الا أنه لا يمكن استرجاع بوارده، ولا يقدر على رد نوافره، فحق على العاقل أن يحترز في كلامه من زلله بالامساك عنه وبالاقلال منه.

فعن النبي ﷺ: رحم الله من قال خيراً فغنم او سكت فسلم.

وقال ﷺ: اللسان معيار، أطاشه الجهل، ورجحه العقل.

وقال بعض الحكماء: الزم الصمت تعدد حكيماً، جاهلاً كنت أو عليماً.

وقال بعض العلماء: حق على العاقل أن لا يتكلم الا بحجته او حاجته، و

أن لا يتفكر الا في عاقبته، أو في آخرته.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك شر

المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مؤونة الاعتذار.

وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك الا عن حق توضّحه، أو باطل

تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تشكرها.

وقال بعضهم: ما على وجه الارض أحق بطول السجن من اللسان حتى

قالوا: لو كان الكلام من درّ لكان السكوت أصلح:

(١) في نسخه المرعشي: مكتونات.

وقال كسرى: لم أندم على ما لم أقل قطّ ، وقد ندمت على ما قلت كثيراً .
 وقال قيصر : أنا على قول ما لم أقل أقدر منّي على ردّ ما قلت .
 وقال ملك الصين : اذا تكلمت بكلمة ملكتنني ، وان لم أتكلّم بها ملكتها .
 وقال ملك الهند : العجب ممّن يتكلّم بالكلمة ، ان رفعت ضرته ، وان
 لم ترفع لم تنفعه .
 فهذه أربع كلمات صدرت هن اربعة ملوك كأنّما رميت عن قوس
 واحد .

وقال الشاعر :

اذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزاً
 فأنت عن الإبلّاغ في القول أعجز

فصل

وللكلام شروط ، لايسلم المتكلم عن النقص والزلل الا باستيفائها :
الاول : أن يكون الكلام لداع : اما اجتلاب نفع ، او دفع ضرر ، او
أو كشف شبهة ، او اقامة حجة ، أو نحو ذلك .

لانّ ما لاداعي اليه هذيان وسمج .

حكى : أن أبا يوسف كان يجلس اليه شابّ يطيل الصمت فأعجب
أبايوسف منه ذلك ، فقال له يوماً : يا بن اخي تكلم .
قال : نعم ، متى يفطر الصائم ؟ .

فقال : اذا غربت الشمس .

قال : فان لم تغرب حتى ياتي نصف الليل ؟ !

فضحك ابو يوسف والحاضرون من ذلك ، وتعجبوا منه . ثم قال ابو
يوسف : ليتنا تركناك مستوراً ، ثم تمثل ببيت جدّ جرير :

وفي الصمت ستر للغبيّ وانما صحيفة لبّ المرء أن يتكلّم

فهذا أبان الكلام عن نقصه ، حيث لم يكن له اليه داع ، ولو صدر عن
داع وروية لسلم .

وقال النبي ﷺ : لسان العاقل من وراء قلبه ، ، فاذا أراد الكلام رجع الى
قلبه ، فان كان له تكلم ، وان كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه ،
يتكلم بكل ماعرض له .

وقال عليّ رضي الله عنه : المرء مخبوءٌ تحت لسانه .

وقال بعض البلغاء : احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك ، ويتلف نفسك فلا شيء أحقّ بطول السّجن من لسان يقصر عن الصّواب ويسرع الى الجواب .

وحسم بعض الاعلام الرخصة في الكلام فقال :

ان جالست العلماء فانصت لهم ، واذا جالست الجهال فانصت لهم ، فانّ في انصاتك للعلماء زيادة في العلم ، وفي انصاتك للجهال زيادة في الحلم .
الثاني : أن يأتي الكلام في موضعه ، لان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع وما لا ينفع هذيان ، فان قدم ما يقتضي التأخير كان عجلة ، وأن أخر ما يقتضي التعجيل كان عجزاً وتوانياً ، وكلاهما مذموم .
ولهذا يقال : لكل مقام مقال .

الثالث : أن يقتصر منه على قدر الحاجة لان ما زاد عنها هذر لانهاية له .
قال بعض الحكماء : من كثر كلامه كثر آثامه .
قال الشاعر :

وزن الكلام اذا نطقت فانتما يبدي عيوب ذوي العيوب المنطق

ثم ان مخالفة قدر الحاجة : اما التقصير أو تكثير ، وكلاهما شين ، وشين التكثير أشنع ، اذ هو هذر ويكون في الغالب اخوف .

قال النبي ﷺ : وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم ؟!

وقال بعضهم : الحصر خير من الهذر .

وقال جعفر بن يحيى : اذا كان الايجاز كافياً ، كان الاكثار عيباً واذا كان

(١) لان الحصر يضعف الحجة ، والهذر يتلف المهجة . احسن المحاسن ص ١٥٤ .

الاكثر واجباً ، كان الاقلال عجزاً .

وقال علي رضي الله عنه : اذا تمّ العقل نقص الكلام .
وقال بعض البلغاء : عيّ تسلّم به خير من نطق تندم عليه ، فاقصر من
الكلام على ما يقيم حجّتك ، وتبلغ حاجتك وإيتاك وفضوله ، فانّها تنزل
القدم ، وتورث الندم .

طريقة :

قال بعضهم : الكلام اذا زاد عن قدر الحاجة وكان صواباً لا يشوبه خطئ ، عذباً
فصيحاً لا يتطرق اليه زلل . فهو السحر الحلال .
ولهذا مدح بعضهم كاتباً فقال : ان أخذ طوماراً أملاه ، وان وجد شراً
كفاه .

قال ابو الفتح البستي :

تكلم وسدد ما استطعت فانّما كلامك حي والسكوت جماد

فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

وقيل لاياس : ما فيك عيب الاكثر الكلام .

فقال : أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟

فقالوا : بل صواباً .

فقال : الزيادة من الصواب خير .

وأقول : لاشك ان ما فضل عن قدر الحاجة والاحتمال فأدّى الى الاستثقال

او الملل - وان كان صواباً - فهو هذر بلا اشكال .

على أن مثل ذلك لا يصدر الا عن اعجاب ، ومن أعجب بكلامه استرسل
ومن استرسل في كلامه قل خلوه عن زلل أو غثار ، فمجانبته للبيت أجدر بغير

مرية .

الرابع: اختيار اللفظ الذي يتكلم به تهذيباً وفصاحة وبلاغة، ولا يمكن اختيار ذلك الا لمن أخذ نفسه بالبلاغة ، وكلّفها لزوم الفصاحة حتى صار متدرباً بها، منقاداً اليها، فلا يأتي بكلام مستكثر اللفظ ، ولا مختل المعنى .
قال بعضهم: خير الكلام ما حسن ايجازه، وكثر اعجازه، وناسب صدره أعجازه .

ولا بد من صحة المعاني بتجنب المشكل منها، وبصحة مقابلتها للالفاظ .
وكذا لا بد من الفصاحة، وذلك بمجانبة الغريب الوحشي، وتجنب اللفظ المستبدل، والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يتسقطه الخواص، ولا ينبو عن فهمه العوام، واما معاطاة الاعراب ، وتجنّب اللحن ، فانها من صفات الصواب .

والبلاغة أعلى رتبة وأشرف منزلة .

وليس لمن يلحن في كلامه مدخل في الادباء فضلاً عن ان يكون في عداد البلغاء والفصحاء .

فصل

وللكلام آداب ، ان أغفلها المتكلم عدل الناس عن نشر مناقبه الى ذكر مثالبه .

فمنها : أن يتكلم بما كان مألوفاً من كلام الوقت وعرف أهله ، فان لكل وقت في الكلام عادة تؤلف ، ولكل قوم عبارة تعرف ، فيكون ذلك أوقع في النفوس وأسبق الى الافهام .

وكذا لكل أهل علم في علمهم طريقة من التقرير والكلام ، هي أوضح عندهم مسلكاً ، وأسهل مأخذاً .

فاذا عدل عن ذلك ، استهجن كلامه ، واستثقل ، وان كان فصيحاً أو بليغاً .
ومنها : أن لا يتجاوز^(١) في مدح ، ولا يسرف في ذم ، وان كانت النزاهة عن الذم أجدر ، لان التجاوز في المدح ملق يصدر عن مهانة ، والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر ، وكلاهما شين .

هذا ان سلما عن الكذب ، على ان السلامة فيهما منه متعذرة أو مستحيلة .
ومنها : ان لا تبعثه الرغبة أو الرهبة على الاسترسال في وعد أو وعيد يعجز عنهما ، لانه يصير وعده نكساً ، ووعيده عجزاً .

ومنها : أن يحقق ما قاله بفعله ويصدق ما تكلم به بعمله ، فلئن يفعل مالم

(١) في نسخة المرعشي : لا يتجاوز .

يقول، أجمل من أن يقول ما لم يفعل .

قال بعض الحكماء: أحسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى كلام أي: يكتفي بالفعل عن القول .

ومنها: ان يراعي مخارج كلامه بحسب مقاصده فان كان ترغيباً قرنه باللين واللفظ، أو ترهيباً خلطه بالخشونة والعنف .
فان العكس خروج باللفظ عن موضعه .

قال أبو الاسود الدؤلي لابنه: يا بني، اذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك^(١) .

ومنها: أن لا يرفع بكلامه صوتاً مستكرها، ولا ينزعج له انزعاجاً مستهجناً وليحترس عن حركة يكون طيشاً ، وعن اشارة باليد تكون عيباً ، فان نقص الطيش أكثر من فضل البلاغة .

ومنها: أن يتجافى هجر^(٢) القول ومستقبح الكلام فيعدل الى الكناية فيما يستهجن صريحه، ويستقبح فصيحته، ليصون لسانه وأدبه عن القبيح .
فقد قيل في قوله تعالى: «واذا مروا باللغو مروا كراماً»^(٣) أنهم كانوا اذا ذكروا الفروج كنتوا عنها .

وكما يجب صون اللسان عن ذلك فكذا يجب صون السمع عنه، فلا يسمع خناً، ولا يصغي الى فحش ، فان سماع الفحش داع الى اظهاره .
قال بعض الهاشميين :

(١) اي يصدروك : (يخرجوك) وفي القرآن قراءة بعضهم: يومئذ يزدرون الناس اشتاتاً وسائر القراء قرأوا (يصدروك) .
(٢) الهجر (يضم الهاء): الفحش .
(٣) (سورة الفرقان: ٧٢/٢٥) .

وسمعتك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانتك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه
ومنها: أن يتجنب ما كان ظاهره فاحشاً، أو مؤدياً الى انكار، وان كان
عند التأمل والفحص سليماً، لانه بمثابة من وضع الدنس على ثوبه لغير غرض
ثم دفعه الى الغسل ، فكما أن الدنس ربما استصعب زواله أوبقي منه بقية ،
فكذلك ما وقع في خاطر ربما استصعب اخراجه أوبقي منه بقية .
ولهذا قال بعض الفصحاء : لاتكلم بما يسبق الى القلوب انكاره ، وان
كان عندك اعتذاره .

ومنها: ان يستبدل بأمثال العامة، أمثال العلماء والادباء، فان لكل صنف
من الناس أمثالا تشاكلهم، لان الامثال من هواجس الهمم وخطرات النفوس،
فذو الهمة الساقطة يتمثل بالامثال المسترذلة، وذو النفس الشريفة لا يرضى ذلك
بل يتمثل بالامثال العلية النفيسة ، لان الامثال مستخرجة من أحوال المتمثلين
وكل اناء بالذي فيه ينضح

وربما ألف العالم مثلاً عامياً لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة الارذال ،
فيسترسل به لدى الامائل، فيزدري .

كما حكى: ان الرشيد سأل الاصمعي عن أنساب بعض العرب ؟
فقال الاصمعي: على الخبر سقطت يا أمير المؤمنين .
فقال له الفضل بن الربيع : أسقط الله حسبك ، أتخاطب أمير المؤمنين
بمثل هذا ؟ !

فكان الفضل بن الربيع، مع قلة علمه ، أعلم بما يستعمل لدى الخلفاء من
الاصمعي الذي هو وحيد عصره وقريع دهره^(١) .

(١) القريع: الغالب في المقارعة .

فصل

ولضرب الامثال في الكلام موقع في الاسماع وتأثير عظيم في القلوب لا يبلغ الكلام المرسل مبلغها ، ولا يؤثر في النفس تأثيرها ، لان النفوس لها وامة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة .

ولذلك ضرب الله تعالى الامثال في كتابه العزيز فأوضح بها الحجج على خلقه، لانها في العقول مقبولة، وفي القلوب معقولة .

ومن ثم وشحننا كتابنا هذا بما تيسر منها ايضاً، لكن لها شروط أربعة :
احدها: صحة المناسبة بينها وبين المعنى المضروبة له ، ليقع التمثيل بها موقعه .

وثانيها : أن يكون العلم بها سابقاً ، ويكون المخاطب أو العقل عليها موافقاً .

وثالثها : أن يسرع وصولها الى الفهم ويتعجل تصورها في الوهم، من غير توقف في استخراجها، ولا كدّ فكر في استنباطها .

ورابعها : ان تناسب حال السامع ومقتضى عقله ، لتكون أبلغ تأثيراً وأحسن موقعاً .

فاذا جمعت الامثال المضروبة هذه الشروط كانت زينة الكلام وجلاء المعاني وتدبر الافهام .

فصل

[محاسن الاجوبة](١)

ومن محاسن الكلام وظرائفه الدالة على غزارة فطنة المتكلم وحنقه ،
ووفور رويته، سرعة الجواب، مع اصابة الصواب، وملائمة الخطاب، وذلك
في المحاضرات والمحاويرات الحالية .

واما ما ورد في كلام بعضهم من ذمّ تعجيل الجواب و المبادرة به ،
فذلك مختص بالامور المهمة والاراء الشائنة ، الدينية أو الدنيوية ، كما في
الفتيا وماشاكلها، من المسائل العلمية .

وكما في الاستشارة والفحص عن سديد الامور المهمة .
فسرعة الجواب في هذا النحو يدل على طيش المسئول ، وقلة تثبته و
تدبره وان اصاب ، بل المحمود في مثل ذلك التأني والتفكر ، والفحص عن
حقيقة الحال وسديد المقال، الموصل الى حسن المأل .

ولابدّ من مراجعة ما يخطر في البال ، من الرأي وتدبره ليغسل بالفكر
دنسه ، ويظهر زيفه ، ولهذا نهوا عن امتثال الراي البكر ، وهو : ما لم يجل
المكر فيه وتنقده بصائر العقلاء .

وأما في المحاضرات الحالية والمقامات المقالية ، فسرعة الجواب
فيها من أكبر الفضائل ، الدالة على استنارة النفس وقوة الحدس لاسيما

(١) العنوان زيادة في نسخة المرعشي .

إذا ناسبت الخطاب ، وكانت عين الصواب .

— كما حكى : أن ابليس لعنه الله ظهر لعيسى عليه السلام .

فقال : ألسنت تقول : أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟

فقال : بلى .

قال : فإرم بنفسك من هذا الجدار الشاهق ، فإن قدر الله لك السلامة

تسلم .

فقال له : ياملعون ، إن الله يختبر عبادَه وليس لهم أن يختبروه .

وليس هذا بغريب من أنبياء الله الذين أمدهم الله بوحيه وأيدهم بنصره .

— وقال معاوية لعقيل : إن فيكم لشبقاً ، يا بني هاشم .

فقال : هي منّا في الرجال ، ومنكم في النساء .

— وقال له معاوية يوماً ساخراً به : أين تجد عمّك أبا لهب ؟

فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يمينك تجده مفترشاً عمّك

حمالة الحطب ، فانظر أيّهما أسوأ حالاً ، الفاعل أم المفعول .

— ورأى بعضهم رجلاً يصلي صلاة خفيفة ، فقال : ما هذه الصلوة ؟

فقال : ليس فيها رياء .

— وترافع إلى بعض قضاة الشام شاب عراقي^(١) وشيخ شامي فرفع العراقي

صوته على الشامي .

فقال القاضي : كفّ عنه فإنه أكبر منك .

فقال : إن الله أكبر مني ومنه ، ثم تشارعا ، فرفع صوته عليه مرة أخرى

فقال القاضي : أيها الشاب اسكت .

فقال إذا أنا سكّت من يقوم بحجّتي ؟!

(١) هو أياس بن معاوية ، على ما في عيون الاخبار ج ١ ص ٧١ .

- فقال القاضي : تكلم فوالله ما تتكلم بخير .
- فقال الشاب : أنا اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمد رسول الله .
- فاتصل خبرهما بعبد الملك بن مروان فعزل القاضي ورتب الشاب مكانه^(١) .
- وقال المأمون ما أعيناني جواب أحد قط الا ثلاثة :
- أم الفضل . عزبتها في ابنها فقلت لها : لاتجزعي فاني ابنك مكانه .
- فقلت : كيف لا أجزع ، وقد بدلت به ابناً مثلك .
- ورجل أحضرته ، زعم أنه نبي الله موسى فقلت له : ان موسى أدخل يده في جيبه ، واخرجها بيضاء من غير سوء ، فافعل مثله .
- فقال : متى فعل ذلك ، أليس بعدما لقي فرعون ؟ ، فافعل كما فعل فرعون حتى افعل كما فعل موسى .
- وجماعة من أهل الكوفة ، شكوا عاملها .
- فقلت : ارضوا بواحد منكم أسمع كلامه ، فرضوا برجل ، فقال في العامل واكثر .
- فقلت : كذبت بل هو العدل العفيف .
- فقال : صدقت بسا أمير المؤمنين ، ولكن يجب ان تواسي بين رعيّتك في العدل فصرفته عنهم .
- وقال المتوكل : لابي العيناء : لو لا انك ضرير لنادمتك .
- فقال اعفني من نقش الخواتيم ، ورؤية الاهلّة ، وأنا أصلح للمنادمة .
- وقبل لابي العيناء يوماً : لاتعجل فان العجلة من الشيطان .

(٢) ذكره ابن قتيبة باختلاف بسيط وفيه : فقام القاضي فدخل على عبد الملك فاخبره بالخبر فقال : اقض حاجته واخرجه من الشام لا يفسد على الناس . عيون الاخبار ج ١ ص ٧١ .

- فقال : لو كان كذلك لما قال موسى : « وعجلت اليك رب لترضى » ^(١) .
- وسألم عليه رجل من ولد آدم فقال له : أدن مني وعانقني ، مما ظننت انه بقي من نسل ذلك الرجل أحد .
- وسقي في بيت بعضهم ، ثلاث شربات باردة واخرى حارة .
- فقال : كأن شربتكم يعثر بها حمى الربيع .
- وقال له رجل علوي : أتبغضي ، وقد أمرت بالصلوة عليّ في صلواتك ؟
- فقال أبو العيناء : انّي اقول «الطيبين الطاهرين» ، فتخرج أنت .
- وقال يوماً لصبيّ فطن : وددت ان لي ابناً مثلك .
- فقال الصبيّ : احمل أبي على اهلك تاتيک بولد مثلي ، فنجعل منه وقال : ما مرّ بي مثله قط .
- وقال له المتوكّل : ان فلاناً يضحك منك .
- فقال : « ان الذين أجزموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون » ^(٢) .
- وقال معاوية لمحمد بن الحنفية رضي الله عنه : ما انصفك أبوك حيث كان يرميك في الحروب ، ولا يفعل ذلك بالحسن والحسين .
- فقال : لانّي كنت يده ، وكانا عينيّه ، فكان يدفع بيده عن عينيّه .
- واجتمع رجل كوسج برجل ألحى فقال الألحى : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه والذي خبث لا يخرج الا نکدا » ^(٣) .

(١) (سورة طه : ٨٤/٢٠) .

(٢) اقتباس من اية وردت في (سورة المطففين : ٨٣ / ٢٩) .

(٣) اقتباس من اية وردت في (سورة الاعراف : ٥٨/٧) .

فقال الكوسج: «ولا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث»^(١).
ثم انه من اكبر ما يجب على المتكلم ويتأكد عليه . الصدق ومجانبة الكذب
فلتتكلم على طرف من ذلك :

(١) اقتباس من آية وردت في (سورة المائدة : ١٠٠ / ٥) وفيها : قل لا

باب الصدق والكذب

قال الله تعالى : « انّما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله »^(١) .
وعن النبي ﷺ : رحم الله امرأً أصلح من لسانه ، وقصّر من عنانه ، وألزم طريق الحق مقوله ، ولم يعود الخطل مفصله .

وعنه ﷺ وقد قيل له : أ يكون المؤمن جباناً ؟

قال : نعم .

قيل : أ يكون بخيلاً ؟

قال : نعم .

قيل : أ يكون كذاباً ؟

قال : لا .

وعن عبد الله بن عمر : جاء رجل الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما عمل أهل الجنة ؟

فقال : الصدق ، اذا صدق العبد برّ ، واذا برّ آمن ، واذا آمن دخل الجنة .

قال : يا رسول الله فما عمل أهل النار ؟

قال : الكذب ، اذا كذب العبد فجر ، واذا فجر كفر ، واذا كفر دخل النار .

(١) (سورة النحل : ١٠٥ / ١٦) .

وقالت عائشة (رض) : يا رسول الله بما يعرف المؤمن ؟

قال : بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه .

وفي منشور الحكم : الكذاب لص ، لان اللص يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك .

وقال بعض الحكماء : الصادق مهاب جليل ، والكاذب مهان ذليل .

وقال علي رضي الله عنه : اياك ومصاحبة الكذوب فانه يقرّب لك البعيد ويبعد لك القريب .

وبالجملة : فالكذب جماع لكل شر ، وأصل لكل ذم ، لسوء عواقبه ، وخبت نتائجه .

وقد قيل : من قلّ صدقه ، قلّ صديقه .

ثم ان دواعي الصدق لازمة .

اذ منها : العقل المؤكد بالشرع ، لان العقل يدعو الى فعل ما كان مستحسنًا ، ويكف عما يكون مستقبحًا .

ومنها : المروءة ، لانها تقبض المرء عن رذائل الافعال والاقوال ، وعن كل ما يعقب مهانة وذلة ، و تبعثه على محاسن الاقوال والافعال والعادات ، وعلى كل ما يكون مستحسنًا .

ومنها : حب الثناء والاشتهار بالصدق وبغض الذم والاشتهار بالخنا .

ودواعي الكذب عارضة ، : لانه يمنع منه العقل ، ويصد عنه الشرع .

فمنها : اجتلاب النفع ، واستدفاع الضرر ، فيرى ان الكذب أنفع ، فيرخص لنفسه فيه ، اغتراراً بالخدع ، وميلاً الى الطمع .

وربما كان الكذب مبعثاً لما يأمل ومقرباً مما يخاف لان القبيح لا يكون حسناً ، اذ لايجنى من الشوك العنب ، ولا من العوسج الرطب .

وعن النبي ﷺ تحرّوا الصدق ولو رأيتم فيه الهلكة ، فإن فيه النجاة ،
وتجنبوا الكذب ولو رأيتم فيه النجاة ، فإن فيه الهلكة .

ومنها : استيثار استعذاب كلامه ، وظرافته ، وهو لا يعرف صدقاً ،
فيستعمل الكذب ، وهذا النوع أسوأ حالا من الاول ، لانه يصدر عن مهانة
النفس ، ودناءة الهمّة ، .

قال الجاحظ : ما كذب أحد قط الا صغّر قدر نفسه عنده .

ومنها : أن يضع به قدر عدوّه ، حيث لا يجد فيه منقصة تشنيه ، فيسرى
ارسال الكذب فيه سهماً صائباً ، وهذا أسوأ حالا من الاولين .

ومنها : أن يكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّى ألغها ، فصار
الكذب له عادة ، وصارت نفسه اليه منقادة ، حتى لورام مجانبته عسر عليه ذلك
لانّ العادة طبع ثان ، فانّ هذا أسوأ حالا من الجميع ، لانه جمع بين
مهانة الدنيا وعذاب الآخرة .

وحيث قد قدّمنا أنّ دواعي الصدق لازمة ، ودواعي الكذب عارضة ،
فمن ثم جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة ، حتى تصير متواترة ، فتفيد العلم ،
ولم يجز ذلك في الاخبار الكاذبة ، لان اتفاق الناس انما هو لاتفاق الدواعي
ودواعي الصدق يصحّ اتفاق الناس عليها ، للزومها ، ونفعها ، بخلاف
الكذب .

لمعة :

ومن مضار الكذب ، فوق ما يترتب عليه من العذاب في الآخرة ، والذل
والمهانة في الدنيا ، أنه ربّما ينسب اليه الخبر ، اذا ظهر كذباً وان لم يكن
فاه به .

ومنها : انه لا يصدّق في حديثه ، وان تحرى الصدق .
ولهذا قيل : من عرف بالكذب ، لم يجز صدقه ، ومن عرف بالصدق
جاز كذبه .

وربما كذب هو نفسه ، بان يحكي ما كذب فيه مرة أخرى بعد زمان ،
فانه ربما يقول ثانياً حقاً ، خلاف ما قال اولاً ، او كذباً على غير الوجه الاول ،
وذلك لنسيانه ما قال اولاً ، لانه لما كان كذبا لم يستقر في حافظته ، حيث انه ليس
له حقيقة ، وقد أفصح عن هذين المعنيين فيما قال الشاعر :

يصدّق في شيء وان كان صادقاً	اذاعرف الكذاب بالكذب لم يكذب
وتلقاه اذا حذق اذا كان واثقاً	ومن آفة الكذاب نسيان كذبه

فصل

وقد وردت السنّة بالرخصة في الكذب في الحروب ، واصلاح ذات البين على وجه التورية ^(١) والتأويل دون التصريح كالذي حكى عن أبي بكر الصديق (رضه) : أنه كان يسير خلف رسول الله ﷺ حين هاجر معه فتلّقاه العرب ، وهم يعرفون أبا بكر ، ولا يعرفون رسول الله ﷺ فقالوا : يا ابا بكر من هذا ؟ .

فقال : يهديني السبيل .

فظنوا أنه يعني : هداية الطريق ، وانما أراد : سبيل الحق ، فصدق في قوله وبلغ مراده . .

قال ابن سيرين : الكلام أوسع من أن تصرح فيه بالكذب .

(١) التورية : هو ستر الشيء واظهار غيره كأنه مأخوذ من وراء الاناء كأنه يجعله

وراءه حيث لا يظهر .

فصل

ومن الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرفة ، ويزيد عليه في الأذى والمغرة ، وهو : الغيبة ، والشميمة ، والسعاية .

فأما الغيبة : فإنها خيانة ، وهتك ستر ، يحدثان عن حسد وغدر .
قال الله تعالى : «ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيا حب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً»^(١) .

وروي أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ، وجعلتا تغتابان الناس .
فأخبر النبي (ص) بذلك فقال : صامتا عما أحل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما .

وقال عدي بن حاتم : الغيبة رعي اللثام .
وقال رجل لابن سيرين : اني اغتبتك فاجعلني في حل .
فقال : لأحب أن أحل ما حرم الله .
نكتة : وربما أعذر المغتاب نفسه . بأنه يقول حقاً ، ويستشهد بما روي عن النبي ﷺ أنه قال : ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة : السلطان الجائر ، وشارب الخمر ، والمعلن بفسقه .

(١) (سورة الحجرات : ٤٩ / ١٢) .

فيجعل هذا ذريعة الى غيبة كل من صدر منه ذنب ، فيبعد من الصواب ،
ويجانب الاداب ، لانه ربما يهتك سترأ مصوناً .

وقد قيل في منشور الحكم : لا تبذ من العيوب ماستره علام الغيوب .
وروي عن النبي (عليه السلام) ، أنه سئل عن الغيبة ، فقال : ان تقول في أخيك
ما هو فيه ، فان كنت صادقاً فقد اغتبتته ، وان كنت كاذباً فقد بهتته .

فالعامل بالخبر الاول لا يجوز له مجاوزته بوجه من الوجوه .
واما النميمه : فهي تجمع مذمة الغيبة ، وتضم الى لومها أيضاً ، دناءة
وغدراً ، لانها تثول الى تقاطع المتواصلين ، وتباعد المتقاربين ، وتباغض
المتحابين .

فعن أسماء بنت زيد ، عن النبي (عليه السلام) أنه قال : الاخبركم
بشراركم ؟ !

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال : من شراركم المشاؤون بالنميمة بين الاحبة ، والباغون العيوب .
وعنه (عليه السلام) : ملعون ذوالوجهين ، ملعون ذواللسانين ملعون كل
شقار ملعون كل قتات ، ملعون كل منان .

الشقار : المحرّش بين الناس يلقي بينهم العداوة .
والقتات : النمام .

والمنان : من يصنع الخير ويمنّ به .

واما السعاية ، فهي شرّ الثلاثة ، لانها تجمع السي مذمة الغيبة ، ولوم
النميمة ، التغرير بالنفوس والاموال ، والقدح في المنازل والاحوال .

فعن النبي (عليه السلام) أنه قال : الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع .
فالقلاع : هو الساعي .

وقال بعضهم : الساعي أمّا أن يكون صادقاً ، فقد خان الامانة ، أو كاذباً ،
فقد خالف المروءة والديانة .
وقال بعضهم : النميمة دناءة ، والسعاية رداءة ، وهما رأس الغدر ، وأساس
الشر .

باب كتمان السر

كتمان الاسرار من أقوى أسباب النجاح ، وأدوم أحوال الصلاح ، وأدل شيء على سعة النفس ، وغزارة العقل .

(واعلم) أنه قل ما أبرم أمر وأذيع به الا انحلّ ابرامه ، وتعذّراته ، حتى كأنّه كان رصداً عليه ، يعرف ذلك من مارس الامور وجرّ بها .
فعن النبي « عليه السلام » : استعينوا على الحاجات بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود .

ولم يظهر لنا في ذلك سبب كاف ، او تعليل شاف ، الا أنا قد علمنا صدق ذلك بكثرة ما وقع لنا منه ، فيكون كتم السرّ من حزم ^(١) الامور .
قال علي رضي الله عنه : من كتم سره كان الخيار في يده .
وقال رضي الله عنه : سرّك أسيرك ، فاذا تكلمت به صرت أسيره .
أخذه بعض الشعراء وقال :

أسيرك سرّك ان صمّنته وأنست أسير له ان ظهر

فسرّ امرئين وشيك الظهور وسرّ الثلاثة لن يستتر

وقال بعضهم : كن على حفظ سرّك أحفظ منك على حقن دمك ، فكم من اظهار سرّ ، أراق دم صاحبه ، ومنع من نبيل مطالبه ، ولو كتمه كان من

(١) الحزم : ضبط الرجل امره ، واخذ بالثقة .

سطواته آمناً ، ومن عواقبه سالماً ، ولنجاح حوائجه راجياً .

ثم ان اظهار الرجل سرّ غيره أقبح من اظهار سرّ نفسه ، لانه يبوء
باحدى وصمتين : امّا الخيانة ان كان مؤثماً ، او النميمة ان كان مستودعاً .
وامّا الضرر : فربما تساوى فيه .

وفي اظهار السرّ دليل على ثلاثة أوجه مذمومه :

أحدها: ضيق الصدر، وقلة الصبر ، المفضيان الى الطيش، بل الحمق .
قال الشاعر :

اذا المرء أفشى سرّه بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق

اذا ضاق صدر المرء من سرّ نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

وثانيهما: الغفلة عن تحرز العقلاء، والسهو عن يقظة الاذكياء - ان كان

منهم - .

قال بعض الحكماء: ان فرد بسرّك ، ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً

فيخون .

وثالثهما: المخاطرة بالهجوم على الامر المحذور العواقب، المذموم

بكل وجه .

قال بعض الحكماء: سرّك من دمك فاذا تكلمت به فقد أرقته ، فليحذره

العاقل، ولينتبه لذلك الغافل .

فصل

ومن الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مساعدة صديق ، أو استشارة ناصح ، فليختبر العاقل أميناً جليلاً ان لم يجد الى كتمه سبيلاً ، وليحترس في اختيار من يأتمنه عليه كل الاحتراس ، فليس كل من كان على الاموال أميناً ، كان على الاسرار أميناً ، لان العفة عن الاموال أيسر من العفة عن اذاعة الاسرار ، بدليل أن المرء قد يظهر سره في غير محله بمبادرة لسانه ، ويحترز في ذلك على اليسير من ماله ، فلهذا كان أمناء الاسرار أشد تعذراً ، وأقل وجوداً ، من أمناء الاموال . ومن صفات أمين السر : أن يكون ذا عقل راجح ، ودين صالح ، ونصح مبرور ، وود موفور ، كتوماً بالطبع ، فان هذه الامور تمنع من الاذاعة ، وتوجب حفظ الامانة .

وليحذر صاحب السر أن يودعه من يتطّلع اليه ، ويؤثر الوقوف عليه ، فان طالب الوديعة خائن .

وقد قيل في منشور الحكم : لاتنكح خاطب شرك . وليحذر - أيضاً - من كثرة المستودعين ، فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الاشاعة ، وذلك لamarin : أحدهما : ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير متعذر ، فلا بد - اذا كثروا - وان يكون فيهم من أخل ببعضها .

وثانيهما : أن كل واحد منهم يجد الى نفي الاذاعة عن نفسه سبيلاً ، لانه

يحيل ذلك الى غيره .

وقد قيل : اذا كثر خزان السر زاد ضياعاً .

واعلم : أنه - وان سلم من اضاعته - لم يسلم من اذلالهم ، واستطالتهم عليه فان من ظفر بالسر - وخصوصاً في الامر الخطير - يصير له من فرط الاذلال ، وكثرة الاستطالة ، ما ان لم يحجزه عنه عقل ومروءة ، كان أشد من ذلّ الرق وخضوع التبعّد .

ولهذا قال بعض الحكماء : من أفشى سره كثر المتأمرون عليه .

خاتمة :

والواجب على المستودع أداء الامانة فيه ، بالتناسي عنه ، حتى لا يخطر له ببال ، ولا يدور له في خلد ، وأن يرى ذلك حرمة يرعاها ، كما حكى : أن رجلاً أسر الى صديق له حديثاً ، ثم قال له : أفهمت ؟

فقال : بل جهلت .

قال : أحفظت ؟

فقال : بل نسيت .

وحكى : أن عبد الله بن طاهر ، رحمه الله ، تذاكر عنده أصحابه الاسرار وكتمانها ، فأنشد :

ومستودع سرّاً تضمّنت سره فأودعته من مستقر الحشا قبراً

فأجابه ابنه عبيد الله :

ومال السر في قلبي كئيب كئيب

لاني أرى المدفون ينتظر النشرا

و لكنني أخفيه حتى كأنني

من الدهر يوماً ما أحطت به خبراً

باب الاستشارة

ان من الحزم لكل ذي لب ، أن لا يبرم أمراً ، الا بعد مشورة ذوي الرأي
الناصح ، ومراجعة ذوي العقل الراجح ، فان الله تعالى : أمر نبيه بالمشاورة ،
مع ما تكفل له به من ارشاده ، ووعدته من تأييده .

فقال تعالى : «وشاورهم في الامر»^(١) .

قال قتادة : أمر بمشاورتهم تألفاً لقلوبهم وتطبيباً لنفوسهم .

وقال الحسن : أمر بمشاورتهم ليستنّ به المسلمون ، ويتبعه المؤمنون .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : المشاورة حصن من الندامة ، وأمان من
الملامة .

وقال علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه» : نعم الموازنة المشاورة ، وبئس
الاستعداد الاستبداد .

وفي منشور الحكم : المشاورة راحة لك ، وتعب لغيرك .

وقال بعض البلغاء : المشاورة لقاح العقل ، وزاد الصواب ، وعين الهداية
وحزم التدبير .

وقال بعض الادباء : ماخاب من استخار ، ولاندم من استشار .

وقال بعضهم : حق على العاقل أن يضيف الى رأيه رأي العقلاء ، ويجمع

(١) سورة آل عمران : ١٥٩/٣ .

الى عقله عقول الاذكياء ، فان الرأي الفذّ ربما زلّ ، والعقل الفرد ربما ضلّ .
وقال الملك خاقان : اذا شاورت العاقل صار عقله لك .
ولهذا قيل لرجل من بعض قبائل العرب : ما أكثر الصواب فيكم ؟
فقال : نحن مائة رجل وفينا رجل عاقل . فاذا فعل أحد منا شيئاً شاوره فيه ،
فكأننا مائة عاقل .

فصل

لا بد في المستشار من خمس صفات :

أحدها : عقل كامل ، مع تجربة سابقة، فانه بكثرة التجارب يصح العقل والروية .

قال بعضهم لابنه : احذر مشاورة الجاهل، وان كان ناصحاً فانه يوشك أن يورثك بجهله .

وفي منشور الحكم : كل شيء يحتاج الى العقل ، والعقل يحتاج الى التجارب .

ولذلك قيل : الايام تهتك لك عن الاستار الكامنة .

وما أحسن قول أبي الاسود الدؤلي رحمه الله :

وما كل ذي نصيح بمؤتيك نصحه

ولا كل مؤت نصحه بليب

و لكن اذا ما استجمعا عند صاحب

فحق له من طاعة بنصيب

وثانيها : أن يكون ذا دين وتقى، فانه عماد كل صلاح ، وباب كل فلاح

لان صاحبه مأمون السريرة ، موفق العزيمة .

فمن رسول الله ﷺ أنه قال : من أراد أمراً فشاوُرْ أمراً مسلماً وفقه الله

لارشـد الامور .

وثالثـها : أن يكون ناصحاً ودوداً ، فان النصـح والمودة يصدقان الفكر .
قال بعض الحكماء : لاتشاور الا الحازم غير الحسود ، واللبيب غير الحقود
واياك ومشاورة النساء ، فان رأيهن الى أفن^(١) ، وعزمهن الى الوهن .

ورابعـها : أن يكون سليم الفكر من هم قاطع ، أو حزن فاجع أو مرض
واقع ، فان من عارض فكره شوائب الهموم والاحزان والامراض لم يسلم له
رأي ولم يستقم له خاطر .

وخامسـها : أن لا يكون له في الامر المستشار فيه غرض يراصده ، ولا
هوى يساعده ، فان الاغراض جاذبة ، والاهواء غالبة ، والرأي - اذا جاذبه
الغرض وغالبه الهوى - فسد .

فإذا استكملت هذه الخصال الخمس في امرئ كان أهلاً للمشورة .
فيحقّ على اللبيب أن لا يعدل عن استشارته ، اعتماداً على ما يتوهمه من فضل
رأيه أو رويته ، لان رأي غير ذي الحاجة أسلم من دواعي النفس ، فهو الى
الصواب أقرب ، لخلوص الفكر ، وخلو الخاطر ، من دواعي الهوى والشهوة .
قال لقمان لابنه : شاور من جرت الامور ، فانه يعطيك من رأيه ما قام
عليه بالغلاء ، وأنت تأخذه بالمجان .

نكتة :

وقد يصدّ ذا النوك والرأي الفاسد والعقل الضعيف عن الاستشارة ما يتصور
في نفسه ، من أنه اذا شاور ظهر للناس ضعف رأيه ، وفساد رؤيته ، حتى افتقر
بذلك الى رأي غيره ، ويعزب عنه ، أن نفس المشاورة حزم وصواب ، وأن

(١) الافن : الضعف .

تركها ، ترك للحزم والصواب .

وان تفطن لذلك ، فهو ممن رضي من نفسه بركوب الخطأ ، ليظهر للناس أنه على الصواب من رأيه وبصيرته ، ويذهل عن أن اظهر مثل هذا عين الضلال .

فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : لَتَّحُوا عقولكم بالمذاكرة ، واستعينوا على أموركم بالمشاورة .

وقال بعض الحكماء : من كمال عقلك ، استظهارك على عقلك .

فصل

وينبغي الاستكثار من مشاورة ذوي الالباب ، خصوصاً في الامر الخطير
فقل " ما يذهل الجماعة فيه عن الصواب .
ففي منشور الحكم : من أكثر من المشاورة ، لم يعدم عند الاصابة مادحاً ،
وعند الخطأ عاذراً .

فصل^(١)

واذا استشار جماعة، فذهب بعضهم : الى أن اجتماعهم على محض الرأي
واجالة الفكر أولى^(٢)، ليدكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره ، ونتجه فكره ،
حتى ان كان فيه قدح عورض ، وان توجه عليه رد نوقض ، فلا يبقى فيه مع
اجتماع القرائح خلل الا ظهر، ولا يتأتى فيه زلل الا اشتهر.
وذهب آخرون : الى أن الاولى افراد كل واحد بالمشورة ، ليحيل كل
واحد منهم فكرته في الرأي ، طمعاً في الخطوة^(٣) بالصواب، فان القرائح اذا
انفردت استكدت ها الفكر، واذا اجتمعت فوضت فيه .

(١) في نسخة المرعشي بدل هذا العنوان : لطيفة .

(٢) في نسخة المرعشي: أولاً .

(٣) الخطوة : الحصول على ما يريد .

ولكل من المذهبين وجه ، ولعل كل واحد في محله اللائق به أحسن ، وذلك بحسب اختلاف المستشار والمشيرين .

على أنه إذا امكن افرادهم أولا ، ثم جمعهم ، كان أولى بغير شك .

ثم انه ينبغي سلامة أهل الشورى من تنافس وحسد يمنعهم ذلك من تسليم الصواب لمن جاء به في حالة الاجتماع .

ثم بعد ذلك يعرض المستشار ما أشاروا به على نفسه مع مشاركتهم في الارتياح والاجتهاد .

فاذا تصفح أقاويلهم جميعهم ، وكشف عن أصولها وأسبابها ، وبحث عن نتائجها ومآلها ، استفاد بذلك ثلاث خصال :

احداهن : معرفة عقله وصحة رؤيته .

وثانيتين : معرفة عقل صاحبه ، وصوابية رأيه ، وقدر نصحه له .

وثالثتهن : وضوح ما استعجم من الرأي ، وانفتاح ما انغلق من الصواب .

قال بزرجمهر : الحازم اذا أشكل عليه الرأي فهو بمنزلة من ضاع له

جوهرة ، فجمع ماحول مسقطها من التراب ، ثم التمسها فوجدها ، كذلك

الحازم يجمع وجوه الرأي في الامر المشكل ، ثم يضرب بعضها في بعض ،

فيتخلص له الرأي الصواب منها .

فصل

وانما على المستشار النصيح والاجتهاد في اصابة الصواب، وليس عليه ضمان النجح لاسيما والمقادير غالبية، فلا ينبغي اتهامه اذا لم يتبين معه الصواب، اذا كان بالصفات المتقدمة، فان السيف قدينبو، والفارس قد يكبو، والحازم قد يصبو، «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير»^(١)

نصيحة :

واذا ظفر المرء برأي من خامل ليس أهلاً للمشورة وجب اغتنامه، فان الحكمة ضالة المؤمن، وقد يوجد في الاسقاط ما لا يوجد في الاسقاط^(٢) فلا يستهين به لاستيهانه صاحبه، فان الدرة لا يهينها مهانة غائصها، والضالة لا تترك لمهانة واجدها .

ولهذا قيل : أنظر الى ما قال ، ولا تنظر الى من قال .

(١) اقتباس من قوله تعالى : «قل لأملك لنفسي نفعا ولاضرأ الا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون» . سورة الاعراف : ١٨٨/٧ .

(٢) الاسقاط : جمع سقط، وهو وعاء كالجواني أو كالقفة يعبأ فيه الطيب من أدوات النساء .

اذ ليس يراد من الرأي الا الانتفاع به ، لاعلو قدر صاحبه .

هداية وحزم :

واذا تقرر له الرأي وجبت المبادرة في امضائه ، وانتهاز الفرصة ، لان الزمان غادر ، والايام كثيرة الغير ، والتواني - للثقة بصوارف الدهر - عجز وفشل .
 قيل لملك زال عنه ملكه : ما الذي سلبك ملكك؟
 فقال : تأخير عمل يوم الى غده .

ختم وارشاد :

يجب على من استشير ، وحلّ محل الناصح ، فصار مأمول النجح ، مرجو الصواب ، أن يؤدي حق هذه النعمة باخلاص السريرة ، ويكافئ على الاستسلام اليه ، ببذل النصيح بكل ما يمكنه .

فعن النبي ﷺ أنه قال : من حق المسلم على المسلم اذا استنصحه أن ينصحه ، فان لم يفعل فهو غادر خائن .

فاذا شح بالرأي لحسد او بغضب ، فذلك خطأ محض ، ونقض للدين والمروءة ، اذ لا يجوز لمن استشير أن يكتنم رأيا وقد استرشد ، ولا ان يخون وقد اؤتمن . وربما أبطرته المشاورة فأعجب بنفسه ورأيه فاحذر^(١) في الاشارة مسن غير ترو ، فأخطأ ، اذ ليس للمعجب رأي صحيح ولا رؤية سليمة .

تتمة ونصح :

ولا ينبغي للمرء أن يشير قبل أن يستشار ، الا فيما مسّت الحاجة اليه ،
ولزم عليه المبادرة فيه ، فانه يوشك أن يكون رأيه متّهماً ، أو مطرّحاً ، وكلاهما
وصر^(١) اذ لا يكون الراي غالباً مقبولا ، الا اذا كان عن رغبة وطلب ، وباعث
وسبب .

(١) كذا ويحتمل أن يكون وضر بالضاد أي: الدرن والوسخ (لسان العرب) .

باب الكبر والعجب^(١)

يجب على كل ذي لبّ مجانبتهما ، لانهما يسلبان الفضائل ، ويكسبان الرذائل ، فلا يصغي من استوليا عليه الى نصيح ، لانه يجلب نفسه عن رتبة المتعلمين ، فيقع في ورطات الجهل المركب ، وناهيك به ذمّا ، مع ما يكسبه الكبر من المقت لدى الخالق والمخلوقين .

قال تعالى: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق»^(٢)
وقال تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا»^(٣).

وقال النبي ﷺ: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر.
وفي حديث آخر: لا يدخل حضيرة الفردوس متكبر^(٤) .
وقال النبي ﷺ لعمة العباس رضي الله عنه: أنهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحجب منهما .

وقال الحكماء: الكبر قائد البغض.

(١) العجب: هو اعجاب المرء بنفسه وهو من دواعي الكبر.

(٢) سورة الاعراف: ١٤٦/٧ .

(٣) سورة القصص: ٨٣/٢٨ .

(٤) في نسخة المرعشي: متكبر .

وقالوا : التعزز بالتكبر ذل .

وقال بعض العلماء : التكبر على الملوك يعرض للحتوف، وعلى الاراذل

من صغر النفس ، وعلى الاكفاء جهل عظيم .

ورأى بعض الصالحاء المهلب وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء، فقال له:

يا عبد الله ماهذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟

فقال له المهلب : أما تعرفني ؟

فقال: بلى أعرفك ، أولئك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وحشوك

فيما بين ذلك بول وعذرة .

ونظم هذا المعنى بعضهم ، فقال :

عجبت من معجب بصورته وكان بالامس نطفة مذرة

وفي غد بعد حسن هيئته يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة

فصل

وأما الاعجاب: فيخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام^(١) ويزري عند الكرام، ويضع لدى الملك العلام.

فمن النبي ﷺ: العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وقال علي رضي الله عنه: الاعجاب ضد الصواب^(٢)، وآفة الالباب.

وقال بعضهم: ما رأيت أثلم للمحاسن من العجب.

فلو نظر المرء بصيرته الى مساوئ نفسه، وضعف قوته، وقلة علمه، وكثرة احتياجه الى الدنيا، من المطعم والمنكح والمركب ونحو ذلك، لخفض جناح نفسه واستبدل لنا من عتوه.

قال بعض الشعراء:

يامظهر الكبر اعجاباً بصورته قصّر هديت، فان التبر تريب^(٣)

هل في ابن آدم مثل الرأس مكربة؟ وهو بست^(٤) من الاقدار مضروب

أنف يسيل، وأذن ريحها سهك^(٥) والعين مرمصة^(٦)، والثغر ملعوب

يابن التراب وما كول التراب غداً اقصر فانك ما كول ومشروب

(١) في نسخة المرعشي: الثواب.

(٢) ورد في عيون الاخبار ج ٣ ص ٢٧٢ الشطر الثاني هكذا: انظر خلاصك ان

التن تريب، وبعده: لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشر الكبر شبان ولا شيب.

(٣) في عيون الاخبار ورد بخمس وهو خطأ.

(٤) اي كريهة الرائحة.

(٥) الرمص: وسخ ابيض جامد يجتمع في الموق.

فصل

وأحقّ الناس بمجانبة الكبير والاعجاب، من جلّ في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لانه قد يستقل بعالي همّته كل كثير، ويستصغر فيها كل كبير .
قال محمد بن علي رضي الله عنهما : لا ينبغي للشريف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً، فيكون به تائهاً .

وقال بعضهم: الشريف اذا ارتفع تواضع، والوضيع اذا ارتفع تكبر .
وقالوا: تواضعك في شرفك أحسن من شرفك .
وقالوا : التواضع أوّله تودّد، وآخره سؤدد .
وقالوا: من لم يتّضع عند نفسه، لم يرتفع عند غيره .
وقالوا: من تواضع لله رفعه الله .

فصل

وللكبر أسباب: أقواها : علو اليد، ونفوذ الامر، مع قلة مخالطة الاكفاء
حكى : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فأصابته رعدة .
فقال له النبي ﷺ: هوّن عليك، فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد !!
وانما قال ذلك حسماً لمواد الكبر، وقطعاً لذرائع الاعجاب، وكسراً لاشر
النفس، وتذليلاً لسطوة الاستعلاء .

هكذا .. هكذا ، والا فلا ، (صلوات الله عليه وسلامه) .
وحكى : أن قوماً مشوا خلف علي رضي الله عنه، فقال لهم: أبعادوا عني
خفق نعالكم ، فانها مفسدة لقلوب نوكي الرجال .
ولذلك فللاعجاب أسباب : منها : كثرة مديح المتملقين .
قال ابن المقفع : قابل المدح كمادح نفسه .
وقال بعض الحكماء: من رضي أن يمدح بما ليس فيه فقد مكّن الساعين منه .
قيل : أنزل الله تعالى في الكتب السالفة : عجبت لمن قيل فيه الخير ،
وليس فيه ، كيف يفرح ؟ وعجبت لمن قيل فيه الشر ، وليس فيه كيف
يغضب ؟

ولا يخفى أن للنفس ميلاً الى حب الثناء عنها وسماع المدح (فيها) ^(١) فإذا

(١) ليس في نسخة المرعشي .

سامحها في ذلك تشاغل عن الفضائل، وربما تأدى الى الرذائل، وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل .

فينبغي : للتبيب أن يضبط نفسه عنها ، ولا يغلبه حسن الظن بمادحه ، فيصدق مدحاً هو أعرف بحقيقته، ولتكن تهمة المادح اغلب عليه، فقل "مدح جميعه حق، وثناء كله صدق .

قال الشاعر :

يا تائهاً غره افراط مادحه لا يغلبن جهل من أطراك علمك بك
أنتى وقال بلا علم أحاط به وأنت أعلم بالمحصول من رتبك
وكذلك كره أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح تحرزاً من التجاوز فيه، وتنزهاً عن التملق به .

قال علي رضي الله عنه في وصف المتقين: اذا زكى أحدهم قال : اللهم انت أعلم بنفسى منى، وأنا أعلم بنفسى من غيرى، اللهم اجعلنى خيراً مما يحسبون، واغفر لى ما لا يعلمون، ولا تؤاخذنى بما يقولون^(١) .

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه ، امّا لتوهمه أن الناس قد غفلوا عن فضله، واما ليخدعهم بتدليس نفسه، فيعتقد أن قوله حق مسموع، واما ليتلذذ بسماع مدحه حيث لم يجد له مادحاً ، كمن يطرب نفسه بصوته، اذا لم يجد له مطرباً .

وعلى كل حال: فهو الجهل الصريح ، والنقص القبيح ، لانه يؤدي الى استسخار العقلاء به .

(١) فى نهج البلاغة : اذا زكى احدهم خاف مما يقال له ، فيقول : انما اعلم بنفسى من غيرى وربى اعلم بى منى بنفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون .
(الخطبة الصاعقة / رقم : ٩١)

فصل

فديحدث الوصول الى المنازل والولايات لقوم أخلاقاً مذمومة ، منها :
الكبر والعجب والجفوة والقسوة ، يظهرها سوء طباعهم .

وقد يحدث لآخرين فضائل محمودة ، كالتواضع والحلم وحسن الخلق
يبعث عليها زكي شيمهم .

وذلك لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ، لاسيما
اذا هجمت بغير تدريج .

قال بعض الحكماء: من تقلب الاحوال، تعرف أخلاق الرجال .
وقال الفضل بن سهل: من كانت ولايته فوق قدره تكبر فيها، ومن كانت
ولايته دون قدره تواضع لها .

خاتمة ونصح :

ينبغي للعاقل اللبيب أن يطلب من اخوان الصدق، وأصفياء القلوب، أن
ينبهوه على مساوئه التي صرفه حسن الظن بنفسه عنها .

فانهم أمكن فيه نظراً وأسلم منه في نفسه فكراً وتبصراً .

فعن النبي ﷺ: المؤمن مرآة المؤمن، اذا رأى فيه عيباً أصلحه .

ولهذا كان عمر بن الخطاب (رضه) يقول: رحم الله امرأً أهدى الناس

مساوئنا .

وفي منشور الحكم: من أظهر عيب نفسه فقد زكّاه .
 فإذا قطع المرء أسباب الكبير ، وحسم مواد العجب ، اعتاض بالكبر
 تواضعاً ، وبالعجب تودداً ، وذلك أكد أسباب الكرامة ، وأهدى شيء إلى
 النجاة والسلامة، وأبلغ شافع إلى القلوب، وأحسن مقرّب إلى علام الغيوب .
 قال ابن الزبير: التواضع مصايد الشرف^(١) .
 وفي منشور الحكم : من دام تواضعه كثر صديقه .
 بعضهم: من تواضع لله رفعه الله .

(١) كذا في النسختين وفي عيون الاخبار ج ٣ ص ٢٦٦ التواضع احد مصايد الشرف .

باب الحلم والغضب

الحلم : ضبط النفس عن هيجان القوة الغضبيّة .

وهو من أشرف الاخلاق وأحقها بذوي الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد .

روي ان جبرائيل نزل على محمد ﷺ فقال : يا محمد ، أتيتك بمسكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة «خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين»^(١).

فقال ﷺ : ما هذا يا جبرائيل ؟

فقال : لا أدري حتى أسأل العالم . . ثم عاد وقال : يا محمد ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .

وعنه ﷺ : ان الله يحب الحلم الحبي ، ويبغض الفاحش البذي .

وقال له رجل : يا رسول الله ، مرني بعمل ، وأقلل .

فقال : لا تغضب .

وقال ﷺ : اذا غضبت فاسكت .

وقال : من كنتم غيضاً ، ولو شاء ان يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً .

وقال علي رضي الله عنه : من حلم ساد ومن تفهم ازداد .

وقال بعض الادباء : من غرس شجر الحلم اجتنى ثمرة السلامة .

وقال بعض البلغاء : ماذب عن الاعراض كالصنفح والاعراض .

(١) وهذه اية من القرآن الكريم في (سورة الاعراف : ٧ / ١٩٩) .

فصل

وللحلم اسباب :

الف : الرحمة للجاهل :

ففي منشور الحكم: من أكد أسباب الحلم رحمة الجهال .

وفي وصية جعفر الصادق «رضي الله عنه» لبعض اصحابه : اذا شتمت فقل :

ان كنت صادقاً فغفر الله لي ، وان كنت كاذباً فغفر الله لك .

ب : الترفع عن السباب : وذلك من شرف النفس وعلو الهمة .

قيل : ان الله تعالى سمى يحيى : سيداً ، لحلمه^(١) .

وقالت الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم .

ج : القدرة على الانتصار : وذلك من سعة الصدر ، وحسن الثقة .

فعن النبي ﷺ : اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه جزاء للقدرة عليه .

وقال بعض الفصحاء : أحسن المكارم عفو المقتدر ، وجود المفتقر .

د : الاستهانة بالمعلوم عنه . كما حكى : ان رجلاً أكثر من سب الاحنف ،

وهو لا يجيبه ، فقال : والله مامنعه من جوابي الا هواني عليه .

(١) وانما سماه بذلك في قوله تعالى : فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب :

أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين .

(ال عمران : ٣ / ٣٩) .

قال عمر بن علي « رضي الله عنهما » :

سكت عن السفية فظن أنني عيت عن الجواب وما عييت
إذا نطق السفية فلا تجبه فأحسن من أجابته السكوت
ه : الاستحياء من جزاء الجواب : وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة.
قال بعض الحكماء : احتمال السفية أيسر من التحلي بصورته ، والأغضاء
عن الجاهل خير من مشاكلته .

و : التفضل على السباب : وهذا من نهاية الكرم ، وعلو الهمة ، وحب
التفضل والنآلف .

قيل للاسكندر : ان فلانا وفلاناً ينتقصانك ويثلبانك ، فلو عاقبتهما ؟
فقال : هما بعد العقوبة أعذر في نقصي وثلي .
وقال الاحنف بن قيس ^(١) : ما عاداني أحد الا أخذت في امره احدى
ثلاث خصال :

ان كان اعلى مني ، عرفت به قدره .
وان كان دوني ، رفعت قدرتي عنه .
وان كان مثلي ، تفضلت عليه .
ن : استكفاف السباب وقطع الجواب ، وهذا يكون من الحزم وحسن
التدبير .

قال الشعبي : ما ادركت أمي فأبترها ، ولكنني لا أسب أحداً فيسبها .
قال بعض الشعراء :

وفي الحلم ردع للسفيه عن الأذى وفي الخرق اغراء فلاتك مخرقا
فتندم اذ لا ينفعنك ندامة كما ندم المغبون لمّا تفرقا

(١) وهو من دهاة العرب .

ح : الخوف من العقوبة على الجواب . وهذا من ضعف النفس وربما أوحاه الرأي واقتضاه الحزم .

فقد قيل : الحلم حجاب الافات .

ط : الوفاء ليدسالة وحرمة لازمة ، وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد .
ففي منشور الحكم : اكبر الهمم أرهاها للذمم .

قال الشاعر :

ان الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذى الاجلاف
فترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم بجانب الانصاف

ي : المكر وتوقع الفرص الخفية ، وهذا من الدهاء .

ففي منشور الحكم : من ظهر غضبه ، قل كيده .

وقال بعض الادباء : غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله .

يا : قصد ايلامه وتزايد غضبه بالسكوت عنه ، فان السكوت واهمال الساب

في بعض الموارد ربما كان اوجع لقلبه واشد على نفسه .

قال بعض الحكماء : اذا سكنت عن الجاهل فقد اوسعت جواباً ، واوجعته

عقاباً .

وقال الشاعر :

والكف عن شتم اللئيم تكرماً أضرب له من شتمه حين يشتم

فهذه أسباب الحلم ، وبعضها أفضل من بعض ، فالاولى أن يدعو المرء

الى الحلم أفضل اسبابه ، فاذا عرى عن احد هذه الاسباب . كان ذلاً لا حلماً ،

لانا قد ذكرنا في حدّه : انه ضبط النفس عن هيجان الغضب ، فاذا فقد الغضب

بعد سماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس ، ومهانتها ، وقلة الحميّة ، وفقد

الشجاعة والغيرة ، والدفاع ، والاخذ بالثار .

وليس قولنا ذلك اغراء بتحكيم الغضب ، بل المراد أنه اذا صدر ما يغضب ، أوقع الحلم على أحد الوجوه التي ^(١) ذكرناها، فاذا لم يتأت شيء منها ، وأدى الحلم الى مفسدة ، وجب البطش اذا امكن .

قال المنصور : اذا كان الحلم مفسدة ، كان العفو معجزة .

وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم .

وقال ابن الزبير : ما قل سفهاء قوم الا ذلّوا .

وقال بعضهم : أكرموا سفهائكم ، فانهم يكفونكم العار والنار .

قال الشاعر :

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة وفي بعضها عزاً يسود فاعله

(١) هنا تنتهي نسخة مكتبة اية الله المرعشي .

فصل

الغضب : هجوم ما تكرهه النفس ممن دونها، وسبب الحزن يكون هجومه ممن فوقها .

والغضب يتحرك من داخل الجسد الى خارجه ، والحزن بالعكس ، ولذلك قديقتل الحزن ، ولا يقتل الغضب وماذا لا البروز الغضب ، وكمون الحزن .
فصار الحادث عن الغضب : السطوة والانتقام ، والحادث عن الحزن : المرض والاسقام . فهذا هو الفرق بينهما .

واعلم أن لتسكين الغضب أسباباً يستعان بها على الحلم :
منها : ذكر الله تعالى ، فيدعوه ذكره الى الخوف منه فيبعثه ذلك على الرقة والطاعة .

قال تعالى : « وأذكر ربك اذا نسيت » ^(١) .

قال عكرمة : اذا غضبت .

وقال تعالى : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله » ^(٢) .

وذكر أن في التوراة مكتوب : يابن آدم ، اذكرني حين تغضب ، اذكرك حين أغضب ، لا أمحقك فيمن أمحق .

(١) (سورة الكهف : ١٨ / ٢٤) .

(٢) (سورة الاعراف : ٢٠٠ / ٧) .

وقال بعض الحكماء: من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله. وكان بعض الملوك اذا غضب القي عنده مفاتيح قرب^(١) الملوك، فيزول غضبه .

ومنها : ان ينتقل عن الحالة التي هو فيها ، لان الغضب يزول بالتنقل من حال الى حال ، وهذا كان يستعمله المؤمن .

قالت الفرس : اذا غضب القائم فليجلس ، واذا غضب الجالس فليقم .
ومنها : ان يتذكر ما يثول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام .
قال بعض الادباء : اياك وغرة^(٢) الغضب ، فانها تفضي الى ذل العذر.
وقال بعض الحكماء : الغضب على من لا تملك عجز ، وعلى من تملك لؤم .

ومنها : أن يذكر ثواب العفو ، فيقهر نفسه على العفو رغبة في الجزاء وحذراً من استحقاق الذم والعقاب .

روي عن النبي ﷺ انه قال : ينادي مناد يوم القيامة : من له أجر على الله فليقم .

فيقوم العائفون عن الناس . ثم تلا «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»^(٣) .
وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز (رضه) كلاماً مغضباً ، فقال عمر : أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان ، فأنا لك منك اليوم ما تناله مني غداً ؟ انصرف رحمك الله .

(١) ترب : جمع تربة ، بمعنى : المقبرة .

(٢) كذا في الاصل ويحتمل كونه وعزة ، انظر عيون الاخبار ج ٣ / ٢٩١ ومجموعة

وراء ج ١ / ١٢٢ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ / ٤٠ .

ومنها : أن يتذكر انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس اليه ، فلا يحب تنفر الناس عنه ، فيرغب في التآلف وجميل الثناء .
 فعن النبي ﷺ قال : ما ازداد أحد بعفو إلا عزاً ، فاعفوا بعزكم الله .
 وهذا كان يستعمله معاوية بن أبي سفيان ^(١) .

(١) بلغ الامام على بن الحسين (عليه السلام) قول نافع بن جبير في معاوية ،
 حيث قال : (كان يسكته الحلم وينطقه العلم) .

فقال عليه السلام : كذب ، بل كان يسكته الحصر ، وينطقه البطر .

بلاغه الامام على بن الحسين ص ٢٧٨

باب الصبر والجزع

ومن حسن التوفيق الصبر في الملمات .
قال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا»^(١) .
أي اصبروا على ما فرض الله عليكم ، وصابروا عدوكم .
وقال رسول الله ﷺ : الصبر مطيعة لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .
وقال ابن عباس : أفضل العدة الصبر عند الشدة .
وفي منشور الحكم : من أحب البقاء فليوطن للمصائب قلباً صبوراً .
وقال الشاعر :

صبر النفس عند كل ملم ان في الصبر حيلة المحتال
لا تضيقن بالامور فقد تكشف غمّاؤها بغير احتيال
قال ابن المقفع : الصبر صبران ، فاللثام أصبر أجساماً والكرام أصبر
نفوساً ، وليس المراد بالصبر الممدوح قوة الجسد على الكد ، لانه من صفات
البهائم ، ولكن أن يكون عند المضائق محتملاً^(٢) .

(١) سورة آل عمران : ٢٠٠ / ٣ .

(٢) الظاهر ان في النقل سقطاً والاصل فيه : (... فان الصبر صبران ، صبر الرجل
على ما يكره ، وصبره عما يجب ، فالصبر على المكروه أكثرهما وأشبههما أن يكون صاحبه
مضطراً ، واعلم ان اللثام...) وأما الباقي فالظاهر انها منقولة بالمعنى راجع أصل النص في
الدرة اليتيمة ص ٤٦ .

فصل

والصبر على ستة أنحاء - والكل ممدوح - :

الاول : الصبر على امتثال أمر الله تعالى والانتفاء عما نهى عنه ، لان به تستقيم العبودية ، فيصلح الدين ، فيستحق الثواب الدائم .

قال تعالى : «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

فمن لم يصبر على ما يكسب ثواباً ويدفع عقاباً ، كان بعيداً من الرشاد ، حقيقاً بالفساد .

وهذا النوع من الصبر يكون لشدة الخوف والرجاء .

الثاني : الصبر على ما انقضت أيامه من رزية قد أجهده الحزن عليها ، أو حادثة قد استكدته الهم بها ، فان الصبر عنها يعقبه الراحة منها ، ويكسبه المثوبة بها .

فان صبر طائفاً ، والا احتمل همّاً لازماً ، وصبر كارهاً آثماً .

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي ويصبر تحت بلائي ، فليختر رباً سوائني .

وقال علي رضي الله عنه للاشعث بن قيس : انك ان صبرت ، جرى عليك القلم وأنت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور .
الثالث : الصبر على ما فات ادراكه ، فان الصبر عنه يعقب السلوة منه ،
والاسف بعد اليأس خرق .

فمن النبي ﷺ : من أعطي فشكر ، ومنع فصبر ، وظلم فاستغفر أولئك لهم الامن وهم مهتدون ^(١) .

وقال بعض الحكماء : اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله ، مثل السذي لم يخطر ببالك .

وقال بعضهم أيضاً : اذا كنت تجزع على ما فات من يدك ، فاجزع على ما لم يصل اليك .

الرابع : الصبر على ما يخشى حدوثه فلا يتعجل بهم " ما لم يأت ، فان كثيراً من الهموم حادث ، والاغلب من الخوف مدفوع .

فمن النبي ﷺ : بالصبر يتوقع الفرج ومن يدمن قرع الابواب يلج .

وقال بعضهم : لاتحملن على يومك هم غدك ، فحسب كل يوم همته .

الخامس : الصبر على ما يتوقعه من رغبة يرجوها أو نعمة يأملها .

فانه اذا أدهشه التوقع لها ، وأذهله التطلع اليها ، انسدت عليه سبل المطالب ، أما اذا كان مع الرغبة وقوراً ، وعند الطلب صبوراً ، ارتحلت عنه عماية الدهش ، فأبصر رشده ، وعرف قصده .

قال النبي صلى الله عليه : الصبر ضياء .

يعني - والله أعلم - : أنه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور .

(١) اقتباس من قوله تعالى : الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن

وهم مهتدون (سورة الانعام : ٨٢ / ٦) .

وكان مكتوباً في قصر اردشير: الصبر مفتاح الدرك .

قال محمد بن بشير:

ان الامور اذا انسدت مطالبها فالصبر يفتق منها كلما ارتجى (١)
لا تيأسنّ و ان طالّت مطالبة اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
خلق بذى الصبر أن تقضى حوائجه ومدمن القرع للابواب أن يلجا
السادس : الصبر على ما نزل من مكروه ، أو حلّ من مخوف ، فالصبر في
هذا يفتح وجوه الاراء ، ويستدفع به مكائد الاعداء ، فان قل الصبر ، اشتد الجزع
وعزب الرأي فصار المرء مرتع الهموم وفريسة الغموم .

قال الله تعالى : «واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور» (٢).

واعلم : أن الصبر يعقبه النصر ، والكرب يعقبه الفرج ، والعسر يعقبه
اليسر ، فالحوادث لا تكون مع التناهي الا منقوصة .

اذا تمّ شيء بدا نقصه توقّع زوالا اذا قيل تم
وأنشد بعضهم أيضاً :

خليلسي لا والله ما من ملامة تدوم على حي وان هي جلّت
فان نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثرا الشكوى اذا النعل زات

(١) : ارتجى : اغلق .

(٢) سورة لقمان : ١٧/٣١ .

فصل

ولتسهيل المصائب بالصبر، ليقُلَّ تأثيرها وضررها - ان قارنت ذا عزم
وحزم - أسباب :

منها : اشعار النفس ما يعلم من حلول الفناء ، وتقضي المسار والمضار
كلها ، وان لها أجلا منصراً ، اذ ليس للدنيا حال يدوم ولا المخلوق فيها بقاء
انما الدنيا هبات وعوار^(١) مستردة
شدة بعد رخاء شدة بعد رخاء

وقال ابن الرومي :

رأيت حياة المرء رهناً لموته وصحته رهناً كذلك للسقم
ومن كان في عيش يراعى زواله فذلك في بؤس وان كان في نعم
ومنها : أن يتصور انجلاء الشدائد ، وانكشاف الهموم ، وانها تتقرباً ووقات
لاتتصرم قبلها ، ولاتستديم بعدها ، ولاتقصر بجزع ، ولاتطول بصبر .

حكى : ان الرشيد حبس رجلاً ثم سأل عنه بعد زمان .

فقال للموكل به : قل له : ان كل يوم يمضي من نعمتك يمضي من بؤسي
مثله ، والامر قريب والحكم لله عز وجل^(٢) ..

(١) كذا ظاهراً ويحتمل كونه : عواد ، ومفرده بمعنى المعروف والصلة والمطف
والمنفعة .

(٢) عيون الاخبار ج ٦ ص ٣٧٥ ، والرجل هو امامنا الغريب موسى بن جعفر (ع)
وقد ذكر هذا بالمعنى في كتاب حياة الامام موسى بن جعفر ج ٢ ص ٥٠٠ .

ومنها : أن يتصور أن فيما وقاه الله من الرزايا ما هو أعظم من رزقته ،
وأشد من حادثته ، فيعلم أنه ممدوح بحسن الدفاع .

ولذلك قال النبي ﷺ : ان لله تعالى في كل محنة منحة .

ومنها : أن يتسلّى بذوي الغير ، ويتأسّى بأولي العبر من أهل الفضائل
المصابين قبله فيعلم أن طوارق الانسان من دلائل فضله ، ومحنه من شواهد
نبله ، لان البلاء موكل بالامثل فالامثل .

وماذا الا لان ذا الفضل محسود ، وبالأذى مقصود ، فهيهات أن تسلم له
نعمة ، أو تصفى له لذة .

محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى كالنار مخبرة بفضل العود
وقل " ما يكون محنة فاضل الا من جهة ناقص ، أو بلوى عالم الامن جهة
جاهل ، وذلك لاستحكام العداوة بينهما ، للحسد على التقدم ، فلانكاد نجد ذا
عقل في سرور متصل ، ولاذا لب في لذة كاملة .

قال علي رضي الله عنه : قلب العاقل بيت الاحزان .

إذا قل عقل المرء قلت همومه ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد
وقال الحكماء : من زاد في عقله ، نقص من رزقه .

وقال ابراهيم بن هلال الكاتب :

إذا جمعت بين امرأين صناعة وأحببت أن تدري الذي هو أحق
فحيث يكون النقص فالرزق واسع وحيث يكون الفضل فالرزق أضيق

فاذا ظفر ذو المصائب بأحد هذه الاسباب تخففت أحزانه ، وسهلت عليه
أشجانه ، فصار وشيك السلوة ، قليل الجزع ، وان غفل نفسه عن دواعي السلو
ومنعها أسباب الصبر ، تضاعفت عليه عدة الاسى ، وهموم الجزع ، واذاتمادت
به فربما أفضت به الى اتلاف النفس أو الدين ، والعياذ بالله ، أو الى الضعف

المبرح في الجسم .

حكى : انه قل من صبر على حادثة تزايدت ، وتماسك في نكبة تصاعدت ،
الا كان الانكشاف وشيكاً ، والفرج قريباً .

حكى : أن امرأة أيوب عليه السلام قالت له : لو دعوت الله تعالى أن يشفيك ؟
فقال لها : ويحك كنا في النعماء سبعين عاماً فهل لي نصبر على الضراء
مثلها .

فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً حتى عوفي .

خاتمة :

وأما الرضا فهو أرفع درجة من الصبر ، لان المرء قد يصبر وهو غير
راض ، ولا ينعكس .

فكل مافي الصبر من المحامد والممادح ، ففي الرضا مثله ، ويزيد عليه
حصول الرضا من الله تعالى ، باعتبار الرضا لقضائه وتسليم الامر اليه ، فان
ذلك من أرفع منازل الاتقياء وأسنى مدارك الاولياء .

قال الله تعالى : «رضي الله عنهم ورضوا عنه»^(١) .

وقال بعضهم :

ومن جال في روض الرضا عن الهه تنزه سرا ثم زالت متاعبه

باب السخاء و الشح

السخاء : بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة الى مستحقه ، بقدر الطاقة .
وربما أنكر هذا الحد من يحب أن ينسب الى الكرم ، وجعل تقدير العطية نوعاً من البخل ، وجعل الجود بذل الموجود ، وهذا تكلف يفضي اليه الجهل بحدود الفضائل .

ولو كان الجود بذل الموجود ، لم يبق للسرف موضع ، ولا للتبذير موقع .
وقد ورد الكتاب العزیز بذمهما ^(١) وجاءت السنة المطهرة بالنهي عنهما .
وحيث كان السخاء محدوداً ، فمن وقف على حده سمي كريماً ، ومن قصر كان شحيحاً ، ومن تجاوزه كان مبذراً .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم : أن السخاء من فعل شيم النفس وأدلها على علوها وشرفها ، حيث لا ترى له قدراً ، وعلى حزمها وحسن تدبيرها ، حيث تبذل ما

(١) قال تعالى في ذم الاسراف: «ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين» سورة الانعام : ١٤١/٦ وهناك آيات اخرى في ذم الاسراف في سورة الاعراف: ٣١/٧ سورة وغافر : ٤٣ ، ٣٤ ، ٢٨/٤٠ .

وقال تعالى في ذم التبذير:

«... ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا»
سورة الاسراء : ٢٦/١٧ ، ٢٧ .

يكسب به مدح العاجل، والثواب الاجل، وتكتسب به تألف القلوب وجلبهم على حبها، اذ هو من أكبر أسباب الالفة .

قال رسول الله صلى الله عليه : جبلت ^(١) القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها .

وقال ^(٢) النبي ﷺ : السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل : بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار .

وقال الله تعالى : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ^(٣) .
وقال النبي ﷺ ما من يوم غربت فيه الشمس الا وملك ان يناديان : اللهم أعط منقفاً خلفاً ، وممسكاً تلفاً .

و انزل الله تعالى في ذلك : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره الليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » ^(٤) .
جابر : قيل : يا رسول الله أيّ الايمان أفضل ؟ قال : الصبر والسماحة .
وعن النبي ﷺ : أقسم الله بعزته وعظمته ، لا يدخل الجنة بخيل ولا شحيح .

وقال ابن عباس : سادة الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء .
وفي منثور الحكم : الجود علوٌ موجود .
وقيل لبعضهم : انك قد سرفست في بذل المال، فقال : ان الله عودني أن يتفضل عليّ ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف ان قطعت العادة، أن

(١) جبلة الشيء : طبيعته ، والجبلة أيضاً : الخلقة (لسان العرب) .

(٢) سورة الحشر : ٩/٥٩ وسورة التغابن : ١٦/٦٤ .

(٣) سورة الليل : ٥/٩٢ - ١٠ .

يقطع عني المادة .

وكتب بخيل الى كريم يأمره بالابقاء على نفسه، ويخوفه من الفقر ،
فكتب اليه : «الشيطان يعدكم الفقر، ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة
منه وفضلا»^(١) .

(١) اقتباس من قوله تعالى في (سورة البقرة: ٢٦٨/٢) .

فصل

وحدّ الشحّ يعلم من حدّ السخاء، لأنّ الشيء يعرف بضدّه، وفيه من المذاق بقدر ما في ضده من المحامد .

قال الله تعالى : « ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شرّ لهم سيّطوّنّ قون ما بخلوا به يوم القيامة »^(١) .

وقال علي « رضي الله عنه » : البخل جامع لمساوئ العيوب .

وقال بعضهم : البخل والعجب غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله .

وقال بعضهم : بشّر مال البخل بحادث أو وارث .

وقال بعض الحكماء : البخل جلباب المسكينة .

وقال بعض الأدباء : البخل حارس نعمته، وخازن ورثته .

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

إذا كنت جمّاً عالماً لك ممسكا فأنت عليه خازن وأمين

تؤدّيه مذسوماً إلى غير حامد فيأكله صفوياً وأنت دفين

وحيث عرفت أنّ البخل جامع لمساوئ العيوب كما قال علي (رضي

الله عنه) فلنذكر منها أربعة ناهيك بها قبحاً، وهي : الحرص ، والشره ، وسوء

الظن، ومنع الحقوق .

(١) (سورة آل عمران: ١٨٠/٣) .

أما الحرص: فهو غريزة يبعث على شدة الكدح والاسراف في الطلب
لحبّ الجمع .

وأما الشره: فهو استقلال الكفاية والاستيثار لغير حاجة .

وهذا هو الفرق بين الحرص والشره .

قال النبي ﷺ : من لم يحزه من العيش ما يكفيه ، لم يجد - ما عاش - ما
يغنيه .

وقال بعض الحكماء: الشره من غرائز اللوم .

وأما سوء الظن: فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل، فإن كانت بالخاف كانت
شكاً يؤول الى ضلال، وإن كانت بالمخلوقين كانت استهانة يصير بها خوّاً إناً
وكانت دليلاً على خبث نفسه .

لأن ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه ، فإن وجد فيها خيراً ظنه
في غيره، وإن كان فيها شرّاً عدّه بالناس، ويرشح الجلد بما فيه .

قال المتنبي :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وأما قول الحكماء: من الحزم سوء الظن بالناس .

فقد قيل: المراد به قلّة الاسترسال اليهم والتعويل عليهم، لاعتقاد سوء
فيهم .

وأما منع الحقوق : فلا أن نفس البخيل لاتسمح بفراق محبوبها ، و
الانقياد الى ترك مطلوبها، فلانذعن لحق، ولاتجيب الى انصاف .

ولو ركن البخيل الى هذه الاوصاف المذمومة والشيم اللثيمة، لم يلق
معه خير معمول ولا صلاح مأمول .

فصل

واما السرف فهو بزيادة عن حد السخاء وهو بالذم جدير .

قال تعالى: «ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين»^(١) .

وقال النبي ﷺ: ما عال من اقتصد .

وقال بعض البلغاء: لا كثير مع اسراف ولا قليل مع احتراف^(٢) .

نكتة .

السرف والتبذير: قد يفترق معناهما، فالسرف: هو الجهل بمقادير الحقوق

فيزيد عليها، والتبذير: هو الجهل بمواقع الحقوق، فيبذل في غيرها .

وكلاهما مذموم ، وان كان ذم التبذير أعظم ، لان المسرف مخطيء

في الزيادة، والمبذر مخطيء في الجميع .

ومن جهل مواقع الحقوق وتقديرها - بماله - فاخطأها، كان كمن جهلها

- بفعاله - فتعداها .

وكما أنه بتبذيره يضيع الشيء في غير موضعه، فهو يعدل به عن موضعه،

لان المال أقل من أن يوضع في كل موضع من حق وغيره .

قال بعضهم: في مقابلة كل سرف حق مضيع .

(١) (سورة الانعام: ١٤١/٦) و (سورة الاعراف: ٣١/٧) .

(٢) الاحتراف: الاكتساب .

وقال سفيان الثوري : الحلال لا يحتمل السرف .

وقال بعض الحكماء : الخطأ في اعطاء ما لا ينبغي ، ومنع ما ينبغي واحد .

وأعلم : أنه ليس يتمّ السخاء ، حتى يسخو عما في يد غيره .

قال بعضهم : لا ينبل الرجل حتى يكون فيه العفة عن أموال الناس ، و

التجاوز عنهم .

وقال بعض الحكماء : السخاء سخاءان : فأشرفهما : سخاؤك عما في يد

غيرك .

وكتب كسرى الى ابنه هرمز : يا بني استقل الكثير مما تعطي ، واستكثر

القليل مما تأخذ ، فان قرّة عين الكرام في الاعطاء ، وسرور اللئام في الاخذ ،

ولا يعد الشحيح أميناً ، ولا الكذاب حراً ، فانه لا عفة مع الشح ، ولا مروءة مع

الكذب .

فصل

والبذل اما ابتداءً، واما عن طلب: والاول فضل .

سئل علي رضي الله عنه، عن السخاء ؟

فقال: ما كان ابتداءً ، وأما ما كان عن مسئلة فهو حياء وتكرم^(١) .

وقال بعضهم : أفضل النواتل ما وصل قبل السؤال^(٢) .

وهذا يكون لاحد أسباب :

الف: أن يرى خلّة يقدر على سدها، وفاقّة يتمكن من ازالتها، فلا يدعه

الكرم الا أن يكون زعيم ازالتها واصلاحها، رغبة في الاجر، أو حباً للشكر .

ب : أن يرى في ماله فضلا عن حاجته ، فيضعها حيث يكون له ذخراً

معدّاً .

قال الشاعر :

ولا ضاع مال أورث المجد أهله ولكن أموال البخيل تضيع

ج: أن يكون لتعريض تنبّه عليه بفطنته ، فحداه كرمه على البذل، كما

حكى: أن رجلاً سائر بعض الولاة، فقال له: ما أهزل برزونك؟!

(١) في الفرد والدرج ج ٢ ص ١١٧: وتذمم بدل وتكرم وهكذا في وسائل الشيعة

ج ٦ ص ٣٢٠ .

(٢) الفرد والدرج ج ٢ ص ٤١١ .

فقال: يده مع أيدينا .

فوصله بمال .

فهذا تعريض يبلغ ما لا يبلغه التصريح .

د: أن يكون ذلك جزاءً على صنعة، فيرى تأدية الشكر واجباً .

قال بعضهم : الاحسان رقّ والمكافأة عنق .

هـ: حب الرئاسة والترفع على الناس ، فيستعطف النفوس ويرغبها فيه

بالاسعاف .

قال بعضهم: بالاحسان يرتبط الانسان .

وقال بعض البلغاء: من بذل ماله أدرك آماله .

و: أن يستعطف به سطوة أعدائه ، اما لصيانة عرض، أو حراسة مجد ،

أو نفس .

ز: أن يرب^(١) به سالف صنعة أولاهها، ويراعي به قائم نعمة أسداها ،

كي لا ينسي ماأولى، لان مقطوع البر ضائع .

قال الشاعر :

بدأت بنعمى أوجبت لى حرمة عليك فعد بالفضل فالعود أحمد

ح: محبة البذل واللذة به، لجبل النفس على ذلك، فهي تشتاق اليه .

قال الشاعر^(٢) :

وما زرتكم عمداً ولكنّ ذا الهوى الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل

وهذا والخامس والسادس ، من أقسام العطاء لا السخاء وانما ذكرناها

(١) يرب : يزيد .

(٢) هو صالح بن عبدالقدوس وهذا البيت امير شعره الذى لم يقل مثله فى اللفظ

والمعنى (الايجازوالاعجاز ص ٥٤) .

لدخولها تحت البذل .

ط : أن يفعل البذل لانه سجيّة قد فطر عليها وطبع بها فلا يميّز بين مستحق ومحرّوم، ولا بين محمود ومذموم .
وقد اختلف في تسمية هذا سخاء فيحمد، أو لا فيذم .
ف قيل: هذا هو السخاء طبعاً، وهو أحق بالحمد .
وقالوا: التقدير والتمييز شطر البخل .
وقال الحسن بن سهل: اذا لم أعط الا مستحقاً فكأنما أعطيت غريباً .
وهو الذي قال: الشرف في السرف .
ف قيل له: لا خير في السرف .
فقال: لا سرف في الخير .

وقيل : هذا تبذير مذموم ، لان العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب .

لان المال يقل عن كل الحقوق ، فكيف عن بذله في كل محل ؟ - كما قد منّا - ^(١) فاذا أعطى غير المستحق، فقد منع المستحق، وما يناله من الذم بمنع المستحق أكثر مما يناله من المدح باعطاء غير المستحق، وحسبك ذمّاً لمن كانت فعالة تصدر من غير تمييز، وتوجد بغير علة .
ولاشك أن ما قدمناه في تعريف السخاء ^(٢) وما بعده يشهد بقوة هذا .

(١) في صفحة (٢٣٠) .

(٢) في صفحة (٢٢٥) .

فصل

واما اذا كان البذل عن سؤال فللسائل شروط ثلاثة :
ألف: أن يكون السؤال لحاجة موجبة، ليسقط عنه اللوم .
قال بعضهم: الضرورة توفّح الصورة .

قال بعض الشعراء :

ألا قاتل الله الضرورة انتّها تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق
وقال الشاعر^(١) :

ولولم يكن الاّ الاسنة مركب فلا رأي للمضطر الاّ ركوبها
أما اذا دعت الحاجة، ولم تكن موجبة ضرورية، فالنفس المسامحة تغلب
الحاجة، وتسمح في الطلب، لاستقامة الحال وانتظام الامر، والنفس الشريفة
الابية، تغلب الصيانة، وتراعي النزاهة .

قال الشاعر :

وليس الليث من جوع بعاد على جيف تحيط بها الكلاب
فكيف بالانسان الفاضل، الذي هو أكرم أنواع الحيوان نفساً، هل يحسن
أن يرى لوحشي البهائم عليه فضلاً و...^(٢) .
وأما اذا كان السؤال من غير حاجة، فهو صريح اللوم، ومحض الدناءة ،

(١) هو الكميت بن زيد (الايجاز والاعجاز ص ٤٣) .

(٢) كلمة غير مقرومة .

ومجمع العيوب .

ب - اختبار المسئول ، بأن يكون مرجو" الاجابة ، اما لحرمة السائل ،

أو كرم المسئول .

فان سأل لثيماً لايراعي حرمة، فهو المعلوم بابتذاله، المحروم بسؤاله .

قال بعض الحكماء: المخذول من كانت له الى اللثام حاجة .

وقال بعض البلغاء: أذل" من اللثيم سائله، وأقل" من البخيل نائله .

وقال الشاعر :

من كان يأمل أن يرى من ساقط أمراً سنياً

فلقد رجى أن يجتنبي من عوسج رطباً جنياً

ج: التلطف في الطلب واثباته به على الوجه اللائق به ، فربما انطلقت

الانفس وانشروحت بلطيف السؤال ، وامتنعت وانقبضت بجفاء السائل ،

وفظاظه سؤاله .

ولهذا قالت الحكماء: حسن الاستمناح سبب النجاح .

فصل

وأما ما يجب على المسئول فأمران :

ألف : ان يكتفي بالتعريض والتلويح ، ولا يلجس الى صريح السؤال
ليصون السائل عن ذلّ الطلب .

ب - أن يتلقى بالبشر والترحيب ، واللطافة والتقريب ليكون مشكوراً
ان أعطى ، معذوراً ان منع .
فقد قيل : البشر أحد البدلين .

حتى ان ابن دريد اللغوي رحمه الله قصد بعض الصدور في حاجة فلم
يقضها ، وظهر له منه ضجر ، فكتب اليه :

يا خير من وقف العفاة ببابه	مسترفدين نواله المبذولا
لا يدخلنك ضجر من سائل	فلخير دهرك أن ترى مسؤولا
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل	فبقاء عزك أن ترى مأمولا
يلقى الكريم فيستدل ببشره	ويرى العبوس على اللثيم دليلا
وأعلم بانك عن قليل صائر	خبراً فكن خبراً يروق جميلا

فصل

أحوال السائل والمستول أربعة :

ألف: أن يكون السائل مستوجبا^(١) والمستول متمكنا ، فالاجابة هنا تستحق كرما وتلزم مروءة .

ولا سبيل الى الرد الا لمن استولى عليه البخل ، وهان عليه الذم .

قيل لبخيل : لم حبست مالك ؟

فقال : للنوائب .

فقيل : قد نزلن بك .

ثم ان كان التأخير مضراً عاجلاً له وقطع مطلبه .

قالت الحكماء: من مروءة المطلوب اليه ان لا يلجئ الى الالاحاح عليه .

وان كان في الوقت مهلة ، وفي التأخير فسح ، فذهب بعضهم الى أن

الاولى تعجيل الوعد قولاً ، ثم يعقبه الانجاز فعلاً ، ليكون السائل مسروراً

بعاجل الوعد ، ثم بأجل الانجاز ، ويكون المستول مرهوناً بالكرم ، ملحقاً بالوفاء .

حكى : أن يحيى بن خالد سأل رجل حاجة ، فوعده بقضائها .

فقيل له : أنت ، وأنت قادر ؟

(١) مستوجباً: مستحقاً .

فقال: نعم ، ان الحاجة ان لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبها نجحها ، لم يجدها سروراً ، لان الوعد طعم والانجاز اطعام .
 وذهب بعضهم : الى أن تعجيل البذل فعلا من غير وعد أولى .
 قالوا: انما يقدم الوعد أحد رجلين :
 اما معوز ينتظر جدة^(١) أو شحيح يروض نفسه الى حينه^(٢) .
 وليس لوعده في غير هاتين الحالتين وجه .
 قالوا : وفي توقع السوعد من مرارة الانتظار مايكدره ، ويوهن عن شكره .

ب : أن يكون السائل غير مستوجب ، والمسئول غير متمكن .
 ففي الردّ هنا فسحة ، وفي المنع عذر ، الا أنه يلزمه أن يلين عند الرد
 اينما يقيه الدم ، ويظهر عذراً يدفع عنه اللوم اذ ليس كل مقل يعرف
 اقلاله .

ج : أن يكون السائل مستوجباً ، والمسئول غير متمكن .
 فيحمل النفس ما أمكن من يسير يسد خلة ، ويدفع مذمة ان أمكنه ذلك .
 ثم يظهر من أعذار المعوزين وتوجّع المتألمين ما يوضح به عذره .
 د : عكسه^(٣) .

فان خاف بالرد قدح عرض ، او قبح هجاء كان الى البذل أجدر ، صيانة لا
 جوداً .

فعن النبي ﷺ : ماوقي به العرض فهو صدقة .

(١) الجدة : الغنى .

(٢) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

(٣) اى عكس الحالة الثالثة وهو ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكناً .

وان أمن ذلك فمن الناس من أمر بالبذل ، لثلا يقابل الرجاء بالخيبة ، و
لثلا يعتاد الرد ويستسهل المنع .
ومنهم من اعتبر الاسباب وندب الى المنع ، ليقوى على الحقوق اذا
عرضت .

قال الشاعر :

لا تجد بالعطاء في غير حق ليس في منع غير ذي الحق بخل
انما الجود أن تجود على من هو للجود والندی منك أهل

خاتمة هذا الفصل :

وأما من وعد بالبذل فقد صار مرهونا ، فلا سبيل الى مراجعة نفسه بالرد
ولا اعتبار باستحقاق السائل وعدمه ، فاذا رد استوجب مقت الخلف ، وهجنة
الكذب .

واعلم : انه لا سبيل الى المطل بعد الوعد لما فيه من تكدر الصنيع ، و
تمحيق الشكر .

والعرب تقول : المطل احد المنعين ^(١) .

(١) كذا ، وورد في احسن المحاسن ص ١٥٨ : شر المنعين .

فصل

وللمعروف شروط لا يتم الا بها :

منها : ستره : لئلا يستقل به ، ولا يستزل باشاعته ^(١) .

قال بعض الحكماء : اذا اصطنعت المعروف فاستره ، واذا اصطنع اليك

فانشره .

على أن ستره من أقوى أسباب ظهوره ، لما جبلت عليه النفوس من اظهار

ما خفي .

قال سهل بن هارون ، في مدح بعضهم :

حفي اذا جئته يسوماً لتسأله أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها ان الجميل اذا أخفيتها ظهرها

ويجب استصغاره واستقلاله لئلا يكون مدلا به .

قال العباس رضي الله عنه : لا يتم المعروف الا بثلاثة خصال ، تعجيله ،

وستره ، وتصغيره .

ومنها : مجانبة الامتنان به ، وترك الاعجاب بفضله .

لما فيهما من احباط الاجر واسقاط الشكر .

قال النبي ﷺ : ايتاكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر ، وبمحق

(١) فالمعنى : لا يستخس به ولا ينتقص به .

الاجر ، ثم تلا : « لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والاذى »^(١) .

قال بعض الحكماء : المن مفسد^(٢) للصناعة .

وقال الشافعي (رضه) :

لا تحملن لمن يمين^(٣) من الانام عليك منة

واختر لنفسك حظَّها واصبر فان الصبر جنة

منن الرجال على القلـــــوب أشد من وقع الاسنة

هداية :

لا يمكنك أن توسع جميع الناس معروفاً فاعتمد بذلك أهل الفضل والدين
والحفاظ ليقع المعروف موقعه :

فَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَا تَضَعِ الصَّنِيعَةَ إِلَّا عِنْدَ ذِي حِسْبٍ أَوْ دِينَ.

وقال **الأنبيا** : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل صنائعه في أهل الحفاظ .

وقال بعض الحكماء : على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس .

نصيحة :

ينبغي أن لا يحقر القليل إذا كان الكثير معذراً ، لان فعل القليل من الخير أفضل من تركه .

قال عبد الله بن جعفر : لا تستحي من القليل ، فان البخل أقل منه .

وقال الشاعر :

اعمل الخير ما استطعت وان كان يسيرا فلن تحبط بركته

ومتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركاً لقله ؟

(١) سور البقرة : ٢/٢٦٤ .

(٢) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة ، ويحتمل كونها : يفسد الصنعية .

(٣) هذا الشطر غير مقروء في الاصل وهو مأخوذ من ديوان الشافعي ص ٨٧ .

فصل

وأما من أسدي اليه المعروف فقد صار في أسرهِ موثقاً وازمه - ان كان من أهل المكافأة - أن يكافيء عليه بمثله أو أزيد ، لان المعروف رقّ والمكافأة عتق .

وان لم يكن من أهلها وجب أن يقابل المعروف بنشره ، ويجازي عليه بما أمكن من شكره .

فعن النبي ﷺ : من أودع معروفاً فليُنشره فان نشره فقد شكره ، وان كتّمه فقد كفره .

وعنه ﷺ : أيما عبد صنع الى أخيه معروفاً وصنيعة ، فلم يجد لها الا الدعاء والثناء ، فقد كافأه ^(١) .

وقال بعضهم : الشكر قيد النعمة ، ومفتاح الزيادة ، وثمر الجنة ^(٢) .

وقال الرضا : ان قصرت يدك بالمكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

وقال عبد الحميد : من لم يشكر على الانعام . فأعده من الانعام .

وفي منشور الحكم : قيمة كل نعمة شكرها ^(٣) .

وقال الشاعر :

ولو كان يستعلي عن الشكر ماجد لعزة ملك ^(٤) أو علو مكان

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

(٢) في الابجاز والاعجاز ص ٥٤ : لعرة نفس .

لما أمر الله العباد بشكره فقال: اشكروني أيها الثقلان
وأما من ستر النعمة، ولم يشكرها، فقد كفرها، وارتكب مذموم الخلاق
وأسوء الطرائق .

قال النبي ﷺ : لا يشكر الله من لا يشكر الناس .
وقال بعض الأدباء : من لم يشكر النعمة ، استحق قطع النعمة .
وقال أيضاً ^(١) : من أنكر الصنعة ، استوجب قبح القطيعة .
هذا كله في النعم الحقة اليسيرة الفانية الصادرة من الامثال والاشباه .
فكيف بك أيها العاقل اللبيب - أرشدنا الله وإياك - بالنعم الجسمية ،
والعظيمه التي قد حباك بها مولاك ، التي لا يسع الدهر كله ، ولا تحتمل الطاقة
البشرية القيام بشكر أيسرها .
قال بعض . . . ^(٢) في مناجاته : الهي كيف أبلغ حق حمدك ، وكلما
قلت : « لك الحمد » ، وجب علي بذلك أن أقول : « لك الحمد » .
فهل يحسن بك أيها اللبيب أن تغفل عما تسعه طاقتك من الشكر ، بعد أن
علمت وجوب الشكر وأمرت به ^(٣) ، ووعدت عليه بالزيادة ^(٤) ؟ !
وهل ^(٥) أنت خائف من قطع النعمة وتبديلها والعياذ بالله ! ؟
فان من يكن ^(٦) رشيداً عاقلاً ، فلا يغفل عن ذلك ، الا اذا استحوذ عليه
الشيطان، و(أودى به في لجة) ^(٧) الفسق والعصيان .

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

(٢) الكلمة غير مقروءة في نسخه الاصل .

(٣) في قوله تعالى : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون »

(سورة البقرة : ١٥٢/٢)

(٤) في قوله تعالى : « لئن شكرتم لازيدنكم » (سورة ابراهيم : ٧/١٤) .

(٥ ، ٦ ، ٧) كذا الظاهر والمعارات غير واضحة في نسخة الاصل .

باب حسن الخلق

من تمام سعادة المرء ، وأدل الاشياء على شرف نفسه ، حسن الخلق .
لانه اذا حسنت أخلاق المرء ، كثر مصافوه ، وقل معادوه ، فتسهلت له الامور
الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب .

على أن الحسن الخلق من نفسه في راحة ، والناس منه في سلامة ، والسيء
الخلق نفسه منه في عناء ، والناس منه في بلاء .

وعن النبي ﷺ : حسن الخلق وحسن الجوار ، يعمران الديار ، ويزيدان
في الاعمار .

وعنه ﷺ : ان الله ارتضى لكم الاسلام ديناً ، فأكرموه بحسن الخلق
والسخاء ، فانه لا يكمل الا بهما .

وعنه عليه السلام : أثقل ما يوضع في الميزان ، الخلق الحسن .

وقال رجل : يا رسول الله ما الدين ؟

فقال : الخلق الحسن .

فقال : يا رسول الله فما الشؤم ؟

فقال : سوء الخلق .

وقال صلى الله عليه : انكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم ببسط

الوجه ، وحسن الخلق .

وسئل ﷺ : أيّما الاعمال أفضل ؟

فقال : حسن الخلق .

واذ قد سمعت ما تلوناه ، فحسن الخلق عبارة عن : سهولة العريكة ^(١) ،
ولين الجانب ^(٢) ، وطلاقة الوجه ، وقلّة النفرة ^(٣) وطيب الكلمة .
واذا عرف ذلك ، فليعلم أنّ لهذه الاوصاف حدوداً مقدرة ، ومواضع
مستحقة .

ففي أمثالهم : لاتكن حلواً فيأكلوك ، ولامرّاً فترمى .
وقال الشاعر :

أصفو وأكدر أحيانا لمختبري وليس مستحسناً صفو بلا كدر
وليس يريد الكدر الذي هو البذاء وسوء الخلق ، فان ذلك ذم لا يستحسن
وعيب لا يرتضى ، وانّما يريد الكف والانقباض في موضعه اللائق به .
واذا كان لمحاسن الاخلاق حدوداً مقدرة ، ومواضع مستحقة ، فان تجاوز
بها الحد صار ملقاً ، وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقاً ، والملق ذل ،
والنفاق لؤم .

(١) : الطبيعة . وفلان لين العريكة : اى سلس .

(٢) : يقال : فلان لين الجانب اى : هادى لطيف .

(٣) النفرة : هو الخروج عن الاعتدال والتأثر السريع والشديد لمتغيرات الاحوال
يقال نفر القوم : اذا أرضوا وصدوا .

فصل

ربما تغيّر حسن الخلق فيصير اللين خشونة ، والطلاقة عبوساً ، وكذلك أسباب :

منها : الولاية ، والكلام فيها على نحو ما تقدم في الكبير والعجب (١) .
ومنها : العزل عنها ، وذلك : إما لشدة أسف ، أو لقلّة صبر .
ومنها : الغنى ، ولذلك قيل : من نال استطال .
قال الشاعر :

لقد كشف الاثراء منك خلائقاً من اللّوم كانت تحت ثوب من الفقر
ومنها : الفقر ، فقد يتغير به الخلق ، اما للأنفة من ذل الاستكانة ، أو للأسف
على فائت الغنى .

ولذلك قال النبي ﷺ : كاد الفقر أن يكون كفراً (٢) .
ومنها : الهموم التي تذهل اللب ، وتشغل القلب ، فلا يتسع الاحتمال ،
وما يقوى على صبر .

ومنها : الامراض التي يتغير بها الطبع ، كما يتغير بها الجسم ، فلا تبقى
الاخلاق على الاعتدال ، ولا يقدر معها على الاحتمال .

ومنها : علو السن ، وحدوث الهموم ، المؤثرين في الجسد والنفس ،
فكما يضعف الجسد عما كان يحتمله بطبعه من الافعال ، كذلك تضعف النفس
عما كانت تصبر عليه من المخالفة في الاعمال والاقوال .

(١) الباب ١١ الفصل الرابع ص ٢٠٨ .

(٢) راجع هامش ص ١٥٥ .

باب الحياء

ان الخير والشر معان كامنة تعرف بسمات ظاهرة دالة عليها، فسمه الخير :
الدعة والحياء ، وسمه الشر : القحّة والبذاء .

فعن النبي ﷺ : الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من
الجفاء ، والجفاء في النار .

وقال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه .
وليس لمن سلب الحياء عنه صاد^(١) عن القبيح ، ولا راد عن الفحش ،
فيقدم على ما يشاء ويفعل كلما يهواه .

ولذلك جاء : اذا لم تستح فاصنع ما شئت .
وفي مثله يقول الشاعر :

اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقد قال بعضهم في معنى ذلك^(١) غير ما قاله الاصوليون ، فقال: المعنى
اذا عرضت أفعالك التي هممت بفعلها ، فلم تستح منها، فاعمل منها ما شئت.
الا أن ما عليه الاصوليون أشبه ، لان الكلام خرج منه ﷺ مخرج الذم ،
لامخرج الامر ، ولا يخلو من شيء، اذ ربما لايسلم ذلك.

(١) كذا ظاهر الكلمة .

فصل

والحياء يكون على ثلاثة أنحاء :

الاول: حياء الانسان من الله تعالى ، والباعث عليه العقل الصريح ، والنظر الصحيح ، حيث يرى الله تعالى أحق بان يستحي منه لعظمة عزته ، وجزيل نعمته .

ولذلك قال رسول الله (ص) : قلة الحياء كفر .

وهذا الحياء يدعو الى امثال ما أمر الله تعالى به ، والكف عما زجر عنه فيحصل السعادة الابدية .

قال النبي ﷺ : الحياء نظام ^(١) الايمان ، فاذا انحل نظام الشيء تبسّد مافيه وتفرق .

وقال ﷺ : استحيوا من الله عز وجل حق الحياء .

قيل : يا رسول الله ، وكيف نستحي من الله حق الحياء ؟

فقال ﷺ من حفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ورفض زينة الحياة الدنيا ، وذكر الموت والبلوى ، فقد استحي من الله حق الحياء ^(٢) .

وعن علقمة أنه قال : يا رسول الله ، عظمي .

فقال ﷺ : استحي من الله استحيائك من ذي هيبة من قومك .

(١) النظام : هوفى الاصل الخيط الذين ينظم به اللؤلؤ ونحوه .

(٢) الجامع الصغير ج ١ ص ٣٩ - ٤٠ .

الثاني : حياؤه من الناس ، وهو يبعث على كف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح .

روي عنه عليه السلام ، أنه قال : من تقوى الله تقوى الناس .
وروي أن حذيفة بن اليمان (أنى) ^(١) الجمعة ، فوجد الناس قد انصرفوا منها ، فتكّبت الطريق ^(٢) وقال : لاخير فيمن لا يستحي من الناس .
وهذا النوع يكون من كمال المروءة وحب الشاء .
قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها الا الحياء

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلّب في الامور كما يشاء

الثالث : حياؤه من نفسه ، وهو يبعث على العفة وصيانة الخلوات .
والباعث عليه علو الهمة ، وشرف جوهر النفس .

قال بعض الحكماء : من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه قدر .

وقال الشاعر يفتخر بشرف نفسه :

فسرّني كاعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

فمن كمل حياؤه من الوجوه الثلاثة ، فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه أسباب الشر .

وان احتل منها شيء لحقه من النقص باخلاله أضعاف ما يلحقه من الفضل بكماله .

اللهم ألبسنا ثياب التقى ، وأحمنا عن موبقات الردى ، واجعل سعينا فيما تهوى ، انك أنت اللطيف الخبير .

(١) كذا ظاهراً وفي نسخة الاصل بياض .

(٢) تنكب الطريق : عدل عن الطريق وتجنبه وأقبل نحو غيره .

باب المصاحبة والاصدقاء

اعلم ان صحبة العقلاء والاخيار الافاضل ، ومجالستهم ، ومحادثتهم ،
تثمر الزيادة في العقل والعلم والعمل ، ومحاسن الاخلاق والاداب ، ومعرفة
مواقع الخطاب .

لان اللبيب اذا رأى ما هم عليه من ذلك بعثه عقله وهمته على أن يقتدي بهم
في أقوالهم وأفعالهم وآدابهم ، ولا يرضى أن يقصر عنهم لما يعلمه كل أحد
من قبح النقص .

بل قد تبعته الحمية على الزيادة عليهم فيكون ذلك سبباً لسعادته وباعثاً على
أستزادته .

فقد قال النبي (ص): المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل .
وقال الشاعر :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا	مضافاً لأرباب الصدور تصدّراً
[وايّاك أن ترضى صحابة ناقص	فنتحط قدراً من علاك وتحقراً] ^(١)
فرفع «أبو من» ثم خفض «زمل»	يصدق قولني مغرباً ومحدّراً ^(٢)

(١) هذا البيت ليس في نسخة الاصل .

(٢) في نسخة الاصل : منبأً ومخبراً ، وما أثبتناه هو الصحيح على ما في جامع —

وقال النبي ﷺ : مثل المجلس السوء كصاحب الكير، ان لم يحرق ثوبك
أذاك بدخانته ، ومثل المجلس الصالح كالعطار، ان لم يصبك من عطره أصبت
من ريحه .

— الشواهد، وقائل هذه الابيات هو الشيخ أمين الدين العروضي المحلى كما فى كتاب
(جامع الشواهد) .

وهو يبين ان مرافقة الاشراف وأهل الرفعة والشأن يوجب ارتفاع شأن الانسان، فى
حين ان مصاحبة السوقة والسفلة يوجب استرزال الانسان وانتقاص قدره .
ويقول : فى الاخر الابيات : ان التأمل فى هذين المثالين يبين قولى
حال كونى مغرباً (من الاغراء : وهو بقوله : عليك بارباب الصدور) .
وحال كونى محذراً (من التحذير: وهو بقوله : واياك أن توضى صحابة ناقص).
وأما المثالان فأولهما : حالة الرفع فى «أبو من» ، فى نحو قولك : علمت أبو
من زيد ، فكلمة (أبو) مرفوعة ، مع ان محلها نصب ، بناءً على المفعولية لـ
(علمت) ، وحاله الرفع هذه ليس الا من جهة اضافتها الى (من) الذى يقتضى التصدر
فى الكلام .

وأما المثال الثانى هو : «مزمّل» فى قول امرئ القيس فى معلقته :
كأن أباناً فى عرائن وبله كبير أناس فى بجاد مزمّل
وهو يريد تشبيه جبل (أبان) عندما يبدأ المطر بالنزول عليه برجل عظيم كسى
بكساء مخطط (فان البجاد : هو الكساء المخطط) والمزمّل : الملفوف بالثوب و نحوه
ومنه قوله تعالى : يا أيها المزمّل قم الليل الا قليلا (سورة المزمّل : ١/٧٣).
فكلمة (مزمّل) فى هذا البيت نعت لـ (كبير) ، وحيث ان المنعوت مرفوع فلا بد
أن يتبعه النعت فى الاعراب .
فى حين انه - فى البيت - ورد مخفوطاً ، وليس ذلك الا امجاورته كلمة (بجاد)
المجورور بحرف الجر .

وقد استشهد ابن هشام بهذا البيت فى موضعين من كتاب (معنى اللبيب) ، فى أواخر
الباب الرابع وفى القاعدة الثانية من الباب الثامن : (أن الشئ قد يعطى حكم شئ آخر
إذا جاوره) .

وقال بعض البلغاء : خير الاختيار صحبة الاخيار ، وشر الاختيار مودة
الاشرار .

وما ذاك الا لتاثير المصاحبة في اكتساب الاخلاق ، فتصلح أخلاق المرء
بمصاحبة اهل الصلاح ، كما قدمناه ، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد .
قال الشاعر :

إذا اجتمع البخس ^(١) اللثيم بمعشر كرام السجاياء ضرهم باجتماعه
كما البحر ^(٢) تاتيه المياه جميعها عذاباً فيودنها ^(٣) بمرّ طباعه
فكما ينبغي مصاحبة أهل الصلاح رجاء الفلاح ، كذا يجب مجانبة أهل
العصيان خوف النكبان .
قال الشاعر :

يخاف على الف من (... ..) ^(٤) صحاح اذا ما خاط الالف اجرب
فهلا يخاف المرء من ألف اجرب يخالطه وهو الصحيح المجرب ؟
وحينئذ ينبغي أن يصحب من فيه خمس خصال: الفضل ، والعلم ، وحسن
الخلق ، والتقوى ، والصنع السليم الذي يصدر عنه الانصاف .
فمصاحبة مثل هذا ، لو لم يحصل منها الا الحياء منه - المانع من معصية
الله - لكفى .

كيف ، ومجالسة العقلاء ومحادثتهم من الذّ اللذات النفسانية عند العقلاء .

(١) البخس : الناقص القدر .

(٢) في هامش نسخة الاصل : (ما) في قوله : (كما البحر) زائدة ، و (البحر)
مجرور بالكاف ، ويجوز أن يكون اسماً مقصوداً عن مد للضرورة الشعرية ، فيكون (البحر)
مجروراً بالاضافة .

(٣) كذا ظاهراً ويحتمل كونه : فيودنها .

(٤) كلمتان ممسوحتان في نسخة الاصل ..

فقد قيل في قوله تعالى: «على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين»^(١)
 أي : يقابل بعضهم بعضاً ، فيتصاحبون ويتحدثون، فيكون ذلك من أكبر
 اللذات في الجنة .

وقال المأمون: لولا عزّة السلطان لما منعت أحد من الدخول عليّ أبداً ،
 لحبي محادثة الرجال .

وقال بعضهم : أنا بالصديق أنس مني بالاخ .

فقال له ابن المقفع صدقت ، لان الصديق نسيب الروح ، والاخ نسيب
 الجسم .

فصل

وحيث كانت مصاحبة الاخيار بهذا القدر من الفضل ، فاعلم : أنها لاتتم الا بعد حسن المداراة ، والصفح عن الهفوات ، وفتح باب العذر والتأويل للزلات لان الانسان مغمور بالنقص - الا من عصمه الله تعالى - لما تدعوه اليه نفسه ، ويهوي به اليه هواه .

ثم - ولو فرض استقامته من كل الوجوه - فارادات الناس وآراؤهم تختلف كاختلاف صورهم ، فربما يفعل ما هو حسن في نفس الامر ، ويسبق الى وهمك قبحه ، فتبادره باللوم وأنت أحق به منه .

ولهذا قيل : رب ملوم لا ذنب له ، ولا ثم أحق باللوم .

وقال بعضهم ، رب سامع بخبري لم يسمع بعذري ، فان صدر منه مالم تجد له تاويلا ، فاعلم أن ذلك لقصورك عن معرفة التاويل .

فقد روي عن النبي ﷺ هذا المعنى في قوله : التمسوا للاخوانكم العذر في زلاتهم ، فان لم تجدوا لهم العذر في ذلك ، فاعتقدوا أن ذلك منكم لقصوركم عن معرفة العذر .

وقال الشاعر :

وليس صديقي من اذا قلت كلمة	تصور في آثار موقعها أمرا
ولكنه من لو قطعت بنائه	تصبره قصدا لمصلحة أخرى

وحكي : أن بنت عبد الله بن مطيع قالت لزوجها ، طلحة بن عبد الله بن عوف ، وكان أجود قریش مارأيت الامر^(١) من اخوانك .

فقال لها : ولم ؟

قالت : رأيتهم اذا أبسرت لزومك ، واذا أعسرت تركوك .

فقال لها : هذا - والله - من كرمهم يأتوننا في حال القوة لنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم .

فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل ، فجعل قبيحهم حسناً ، وهذا محض الكرم ، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا هفوات اخوانهم .

قال الشاعر :

اذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً

أديساً لبيباً فاضلاً فطناً حراً

اذا ما بدت من صاحب لك زلة

فكن أنت محتالاً لزلته عذراً

(أحب)^(٢) الذي ينفي الفواحش سمعه

كأن به عن كل فاحشة وقراً

والداعي الى هذا التأويل ، التغافل الحادث عن الفطنة ، والتألف الصادر

عن الوفاء .

قال بعض الحكماء : وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل .

وقال أبو تمام :

ليس الغبي بسيّد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال بعضهم : من شدد نَفَرَ ، ومن تراخى تألّف ، والشرف في التغافل .

(١) الامر : الاكثر مرادة .

(٢) كذا ظاهر الكلمة ، وهي غير واضحة في نسخة الاصل .

فصل

فان تحققت عدم وجود التأويل ، وأنه صادر عن عمد وقصد اضرار ،
فافتح عند ذلك باب العفو والتجاوز ، لان المرء غير معصوم ، وانسب ذلك الى
ما يصدر من باقي الناس ، فانك تجده قليلا .
بل انسبه الى ما يصدر منك من الزلات والهفوات فربما تجده أصغر وأقل
خطراً مما قد فعله .
فان لم يرتكب المرء في أصدقائه هذا النهج الذي أوضحناه ، فلا صديق
له البتة .

قال بعض بلغاء الشعراء^(١) :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق السدي لا تعاتبه

وان أنت لم تشرب مراراً على الأذى^(٢)

ظلمت وأي الناس تصفو مشاربته

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلاً أن تعدّ معائبه

(١) هو بشار بن برد على ما في (الإيجاز والاعجاز ص ٤٥) .

(٢) في نسخه الأصل القذى والتصحيح من المستطرف ج ١ ص ١٢٠ .

وقال بعض أشراف الاشراف في الصاحب:

كذب عليه اذا أرضاك ظاهره

شهادة الصادقين : السمع والبصر

فان سمعت فقل ما كان عن أذن

وان رأيت فقل ما كان عن بصر

ان كنت لا ترتضي الا أخا ثقة

فاخلق لنفسك اخوانا على (قدر)^(١)

(١) بياض في نسخه الاصل .

فصل

ومن محاسن ما يترتب على هذا : التفضل والاغضاء لتألف الاعداء ، بحيث يشنيهم عن البغض أو الازية ، وهذا يكون مع ما ذكرناه بصنوف اخرى من الدور والملاطفة ، ويختلف ذلك بحسب اختلاف الرجال والاحوال . وهو من أكبر الحزم ، وأدل دليل على كمال العقل ، لأن من أغفل تألف الاعداء - مع وفور النعمة وظهور الحسد - ربما توالى عليه مكرهم وحيلهم وبادره سفههم بالازية .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس . وقال بعض البلغاء : من استصلح عدوه زاد في عدده ، ومن استفسد صديقه نقص من عدده .

وقال الشافعي :

أني أحيتي عدوِّي عند رؤيته	لادفع الشرعني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه	كانما قد حشى قلبي محبات

وقال بعض الحكماء : تكثروا من الاخوان فانكم لاتدرون ممن تنتفعون منهم .

(١) هكذا ورد في ديوان الشافعي ص ٢٨ وفي نسخة جعل العجز من البيت الثاني

للاول ، والعجز من البيت الاول للثاني .

وقال سليمان بن داود عليه السلام لابنه : لاتستكثر أن يكون لك ألف صديق ،
فألف قليل ، ولاتستقل أن يكون لك عدو واحد فالواحد كثير .
فأخذه ابن الرومي ، فقال :

تكثر من الاخوان ما استطعت انهم	بطون اذا استجدتهم وظهور
وليس كثيراً ألف خل وصاحب	وانّ عدواً واحداً لكثير

فصل

وحيث قد ندب الى تألف الاعداء وملاطفتهم، فلا يجوز أن يكون المرء اليهم راكنا، وبهم واثقا .

بل يجب أن يكون منهم على حذر تام، فان العداوة اذا استحکمت كانت طبعاً لا يستحيل ولا يزول، وانما يستكف - بالتألف - أضرارها أو اظهارها، كالنار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد انضاجها ، وان كان احراقها بالطبع لا يزول ، وجوهرها لا يتغير .

قال ابن نباتة :

وامزح له ان المزاح وفاق	واذا عجزت عن العدو فداره
تعطي النضاج وطبعها الاحراق	النار بالماء الذي هو ضدها

باب المزاح والضحك

اما المزاح فهو ازاحة عن الحقوق، ومخرج الى القطيعة والعقوق، يصم المازح، ويؤذي الممازح .

فوصمة المازح أنه يذهب عنه المهابة والبهاء، ويجرّى عليه غوغاء السفهاء .

وأما أذية الممازح فلأنه معقوق^(١) بقول كذب، أو فعل ممضّ "ان أمسك عنه أحزن قلبه، وان قابل عليه خان أدبه .

فحق على العاقل أن يتّقي، وينزه نفسه عن وصمة مساويه .

فعن النبي ﷺ: المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى .

وقال عمر بن عبدالعزيز: المزاح سباب، إلا أن صاحبه يضحك .

وقيل: إنما سمي مزاحاً، لأنه يزيح عن الحق .

وقال بعضهم: لو كان المزاح فحلاً لم ينتج إلا شراً .

وقال بعض الأدباء: من كثر مزاحه زالت هيئته .

وقال بعض البلغاء: من قلّ عقله كثرت هزله .

على أنه قل ما يخلو من المزح من كان سهل الاخلاق لطيف النفس .

فالعاقل يتوخى من مزحه إحدى خصلتين لاثالث لهما :

أما: استيناس المخاطبين، والتودد الى المخاطبين .

(١) مملوء، يقال عقت الدلو: اذا طلعت من البئر مملوءة .

وهذا لا يكون مستملاً إلا بالاعتصام^(١) ثم بما أنس من جميل القول و مستحسن الفعل .

قال بعضهم لابنه : اعتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجريء السفهاء والتقصير فيه يفض عنك المؤانسين ، ويوحش منك المصاحبين .

واما: أن يتقي به ما حدث من هم ، وأضر من تعب أو غم .
فقد قيل: لا بد للمصدور أن ينفث .

قال أبو الفتح البستي :

أفد طبعك المكذور بالجد راحة براح^(٢) وعلله بشيء من المزح
ولكن اذا أعطيته ذاك فليكن بمقدار ماتعطي الطعام من الملح
وقد كان النبي صلوات الله عليه يمزح على أحد هذين الوجهين .
وقال عليه السلام: اني لامزح ، ولا أقول الا حقاً .

فمن مزاحه: أن عجوزاً من الانصار قالت: ادع لي بالمغفرة .
فقال لها : أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز ؟ !

فصرخت، فقال لها: اما قرأت قوله تعالى: «انا أنشأناهن انشاءً، فجعلناهن أبكاراً، عرباً أتراباً»^(٣) .

ومنه : أنه دخل يوماً على عائشة (رضه) ، فوجدها نائمة ، فربط قرنها بالسريبر، ثم حركها، فقصدت القيام فلم تقدر، وهو عليه السلام يضحك .
ولذلك كان الخلفاء الراشدون بعده، وكثير من أصحابه يمزحون .

(١): اي الافلال في المزح .

(٢) كذا الظاهر ، ويحتمل ان يكون ماورد في النسخة: يصح .

(٣) في (سورة الواقعة: ٥٦ / ٣٥ - ٣٧) .

حكى : ان رجلاً أتى علي بن أبي طالب ، وقال : يا أمير المؤمنين، اني احتلمت على امي .

فقال : أقيموه في الشمس ، واضربوا ظله الحد .

وكان صهيب بن سنان مزاحاً ، فقال له النبي ﷺ : أنا كل تمرأ وبك رمد؟!

فقال : يا رسول الله انما أمضغ على الناحية الاخرى .

وانما ساغ لصهيب أن يعرض لرسول الله بالمزح في جوابه، لان استخباره

تضمن المزح فأجابه بما يوافقه، والافليس لاحد أن يجعل جواب رسول الله مزحاً.

وقال النبي ﷺ : مزاح المؤمن عبادة ، وضحكه تسبيح .

وقال : المؤمن دعب لعب ، والمنافق عبس قطب .

وكان الناس يحيدون عن مجلس الثوري لكثرة مزاحه .

وقال الاحنف : من ترك مذاكرة أخيه فقد فارقه .

وقال يحيى بن أكرم : المزاح لسان المحبة ، ورسول المودة، وسبب

الراحة ، وثمره التصافي ، ونزهة التلاقي .

وحيث قد مزح النبي ﷺ ، فالمزاح سنة .

وقد سمعت ماتلوناه من اقتداء الامثال به ﷺ ، وجهة حسنه .

فما تقدم فيه من الذم^(١) : محمول على ماشيب بكذب، لقبح الكذب في نفسه ،

أو على الافراط فيه ، ومجاوزة القدر المستملح ، فانه هجنة ومذمة، لانه خلاعة،

ومفض الى كثرة الضحك ، وهي تميت القلب وتسقط المهابة .

أو محمول على المداومة عليه، فانها اشتغال باللعب والهزل، وهما مذمومان.

أو على ما كان منه في غير محله ، ومع غير أهله كممازحة الاعداء فانها

تجعل للعدو طريقاً الى الاستخفاف ، واظهار المساوئ .

(١) في أول هذا الباب ص ٢٦٢ .

فصل

وأما الضحك : فاعتياده شاغل عن النظر في الامور المهمة ومذهل عن التفكير في النوائب الملمة .

وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا لمن وسم به خطر ومقدار .
قال رسول الله ﷺ : اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها »^(١) أن الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك .
وفي منشور الحكم : ضحك المؤمن من غفلة قلبه .

ونظر بعضهم الى قوم يضحكون ، فقال : ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين ، وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين .

وعلى كل حال ، فالقول في الضحك كالقول في المزاح : ان تجافاه^(٢) الانسان بالكلية ، تنفّر الناس عنه واستوحشوا منه ، وان ألفه وأفرط فيه كان حاله ما وصفنا .

فليكن بذل الضحك بمقداره المستحسن على سبيل البشر والاياس .
على انه الاكثار منه في المرة النادرة لا ينكر ، اذا كان لطاريء استغفل القلب عن دفعه .

فان رسول الله ﷺ وهو أملك الخلق لنفسه ، ضحك حتى بدت نواجذه .

(١) سورة الكهف : ٤٩ / ١٨ .

(٢) تجافاه : ابتعد عنه .

باب الحسد و المنافسة

حقيقة الحسد : شدة الاسى على الخير أن يكون للناس الافاضل .
وحقيقة المنافسة : طلب التشبّه بالافاضل وحصول مثل مالهم من غير ادخال ضرر على الفاضل ، وقد يعبر عنها بالتغبيط ، وهي محمودة في الجملة ، لانها داعية الى اكتساب الفضائل ، ولان الباعث عليها علو الهمة ، وفضيلة النفس .

روي عن النبي ﷺ أنه قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد .
أما الحسد فهو خلق ذميم ، لاضراره بالبدن وفساده للدين حتى أمر الله نبيه بالاستعاذة من شره فقال تعالى : «ومن شر حاسد اذا حسد»^(١) .
وقال بعض السلف : الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء - يعني : حسد ابليس لعنه الله - وأول ذنب عصي به في الارض - يعني : حسد قابيل - .

وقال بعض الحكماء : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود ، نفس دائم ، وهم لازم ، وقلب هائم .

وقال بعضهم : يكفيك من الحسود أنه يفتن في وقت سرورك .
وفي منشور الحكم : عقوبة الحاسد من نفسه .

وقال ابن المعتز :

اصبر على كيد الحسود فان صبرك قاتله
يكفيك منه أنه حيّ تذوب مفاصله

ودواعي الحسد :

اما : بغض المحسود ، فيأسي عليه لفضيلة تحمد له ، وهذا النوع أضر الحسد ، الا أنه لا يكون عاماً ، فهو قد لا يبغض كل الناس .

واما : بان يظهر للمحسود فضل يعجز عنه الحاسد ، فيكره تقدمه فيه ، واختصاصه به ، فيثير ^(١) بذلك حسداً .

وهذا أدنى من الاول ، لانه يمتزج به ضرب من المنافسة ، ولكنها مع عجز فمن ثم صارت حسداً ، ولانه يختص بمن علا ، لا بمن سفل .

واما : أن يكون في الحاسد شح بالفضائل ، وبخل بالنعم ، وليست موكولة اليه فيمنع منها ، فيسخط من الله تعالى في قضائه ، ويحسد ما منح من عطائه ، وان كانت نعم الله عنده أكثر .

وهذا أغم أنواع الحسد ، وأخبثها ، اذ ليس لصاحبه راحة ، ولا لرضاه غاية .

(١) كذا ظاهراً ، والكلمة غير واضحة .

فصل

ينبغي لمن مالت نفسه الى الحسد حسم مادته ، والتخلص منه ، ليسلم من ضرره وخبث عاقبته ووزره .

ويستعين على ذلك باتباع الدين ، والرجوع الى الله تعالى ، فيقهر نفسه على ذميمة خلقها ، ويقطع ^(١) عن لثيم طبعها ، وان كان نقل الطباع عسراً ، لكن يكون بالرياضة والتدريب ، والتخلق بالتهذيب .
قال أبو تمام :

ولم أجد الاخلاق الا تخلقاً ولم أجد الافضال الا تفضلاً
أو بالرجوع الى العقل الذي يستقيح نتائج الحسد ، فيغلب عقله على نفسه ، فتصير مقهورة ، فيذعن لرشدها .

أو بأن يستسلم للقضاء والقدر ، فلا يرى أن يغالب قضاء الله تعالى فيرجع مغلوباً ، ولا أن يعارضه فيرد محزوناً .
فان أظفرته السعادة بأحد هذه الاسباب ، أرشد الى الصواب ، واستبدل بالنقص فضلاً .

وان صدته الشقوة ، فانقاد للطبع اللثيم ، وغلب عليه الخلق الذميمة ، فظهر حسده واشتد كمده ، فقد باء بثلاث حسرات :

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

أحدها : سقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ، ولا يأمل لسقامه شفاء .
وثانيها : انخفاض المنزلة ، وانحطاط الرتبة ، لانحراف الناس عنه ،
ومقتهم له .

فقد قيل : الحسود لا يسود .

وثالثها : سخط الله تعالى في معارضته ، واحتطاب الاوزار في مخالفته
اذ ليس يرى قضاء الله عدلا .

ولذلك قال النبي ﷺ : ان الحسد لياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .
وقال ابن المعتز : الحاسد المغتاز على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه
طالب لما لا يجده .

وقد قيل : حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها .

فالعاقل بالبعد عن الحاسد حقيق ، وكنتم النعمة عنه من أكبر التوفيق .
قال عبد الحميد : أسد يقارب ، خير من حسود يراقب .

باب الطيرة والفأل

لا شيء أضر بالرأي ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ، ومن ظن أن خوار بقرة ، أو نعيب غراب يرد قضاءً ، أو يدفع مقدوراً ، فقد جهل .
فعن النبي ﷺ أنه قال : لا عدوة ولا هامة ولا طيرة ولا صفر .
أما العدوى : فما يظنه الناس من تعدي الأمراض والعلل .
قبل (١) يارسول الله : انا نرى النقبة من الجرب في مشفر البعير يتعدى الى جميعه .

فقال ﷺ : فما أعدى الاول ؟ .
وأما الهامة : فهو ما كانت العرب في الجاهلية يعتقدون من أن القتل إذا ظل دمه فلم يدرك بثأره صاحته هامة في القبر : اسقوني .
وأما الصفر : فهو كالحيّة يكون في الجوف يصيب الماشية والناس ، وهو أعدى عندهم من الجرب .

ثم أنه قد كانت العرب إذا أرادت سفراً ، نظرت أول طائر تلقاه ، فإن طار يمنة سارت وتيمّنت ، وإن طار شمالاً رجعت وتشاومت .
فنهى النبي عن ذلك وقال : طرق (٢) الطير على وكناتها .

(١) في نسخة الاصل : فليل .

(٢) هكذا ظاهراً وفي الاصل غير واضح .

قال لييد :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ومع ذلك قل ما يخلو من الطيرة أحد ، لا سيما من عارضته المقادير في ارادته وصدده القضاء عن طلباته ، فيجعل الطيرة عذر خبيته ، ويغفل عن ارادة الله تعالى ومشيته .

فاذا تطير مرة أخرى أحجم ويثس من الظفر ، وظن أن القياس فيه الطيرة ، ثم يصير ذلك له عادة فلا ينجح له قصد ، ولا يتم له سعد .

وأما من ساعدته المقادير فهو قليل التطير ، ثقة باقباله ، وتعويلا على سعادته فلا يصدده خوف ولا يؤوب الاظافراً ، لان الغنم بالاقدام ، والخيبة مع الاحجام . فالطيرة من سمات الادبار ، واطراحها من امارات الاقبال ، فيلزم من بلي بها أن يصرف نفسه عن وساوس النوكى ، ولا يجعل للشيطان سلطاناً في نقض عزائمه ، ويعلم أن قضاء الله تعالى غالب ، وأن الحركة سبب جذب ، ولیمض في عزائمه ، واثقاً بالله تعالى ان اعطي ، وراضياً ان منع .

فعن رسول الله ﷺ : في الانسان ثلاثة من أخلاق الجاهلية : الطيرة ، والظن والحسد ، فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ومخرجه من الحسد أن لا يبغي .

وعنه ﷺ : كفارة الطيرة التوكل على الله .

وفي منشور الحكم : الخيرة في ترك الطيرة .

روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله انا نزلنا داراً فكثرت فيها عددنا ، وكثرت فيها أموالنا ، ثم تحولنا عنها الى اخرى ، قلت فيها أموالنا ، وقل فيها عددنا .

فقال النبي ﷺ : ذروها ، وهي ذميمة .
وليس هذا منه ﷺ على وجه الطيرة ، ولكن على طريق التبرك ^(١) بما
فارق ، وترك ما استوحش منه الى ما أنس به .

(١) كذا ظاهراً والكلمة غير واضحة .

فصل

وأما الفأل: ففيه تقوية على العزم وباعث على الجِدِّ ومعوَنة على الظفر .
فقد تفأل النبي ﷺ في غزواته وحروبه .
فينبغي لمن تفأل أن يتأوّلَه بأحسن تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن طريقاً
إلى نفسه .

فقد قال رسول الله ﷺ: البلاء موكّل بالمنطق .
حكى: أن يوسف الصديق ﷺ شكى إلى الله تعالى السجن .
فأوحى الله تعالى إليه : يا يوسف ، أنت حبست نفسك حيث قلت: « رب
السجن أحب إليّ » ^(١) ولو قلت : « العافية أحب » لعوفيت .
وحكى: أن المؤمل الشاعر لما قال :
... ^(٢) المؤمل يوم الحيرة ^(٣) النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر
عمي ، فأناه آت في منامه ، وقال له : هذا ما طلبته .

(١) ورد قوله هذا في (سورة يوسف: ٣٣/١٢) .

(٢) كلمة غير مقروءة .

(٣) كذا ظاهراً، والكلمة غير واضحة .

باب الامل والتسويق والرجاء والمنى

قال رسول الله ﷺ ، لعبد الله بن عمر (رضه) : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخدم حياتك لموتك ، ومن صحبتك لسقمك ، فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً .

وقال ﷺ أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟

قالوا: نعم يا رسول الله .

فقال: قصرّوا الامل ، واستحيوا من الله حق الحياء .

وقال سلمان رضي الله عنه: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتنني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفل عنه ، وضاحك بملء فيه ، ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض عنه .

وقال بعضهم: الزهد في الدنيا قصر الامل ، لا لبس العباءة^(١) .

وقيل في بعض الكتب : يابن آدم ، فرحت ببلوغ أملك ؟ وانما بلغته بانقضاء أجلك ، ثم سوف بعملك ، كأن منفعتك لغيرك .

وقال مسعر: كم من مستقبل يوماً وليس بمستكمل له ، ومنتظر غداً وليس من أجله ، ولورأيتم الاجل ومسيره لا بغضتم الامل وغروره .

(١) كذا ظاهراً ، والعبادة غير واضحة .

نبذة :

وقد يكون الامل باعثاً على العمل الديني، وهو المقرون بالرغبة، وهو من أكبر المصالح وأجلّها إذ به جاء الامر من قبل الله « عزوجل » وصدع الشرع على لسان نبيّه .

الا أنه لما كان وعد الله محقق الوفاء به ، كان نوعاً آخر من الامل ، وأشبه بالتحقيق، بل كان تحقيقاً، لولا أن الموافقة غير معلومة .

وقد يكون الامل باعثاً على العمل الدنيوي، وقدّمنا من الكلام فيه طرفاً كسافياً ان شاء الله تعالى ^(١) .

(١) تقدم الكلام في الامل في الباب ٥ : الدنيا / الفصل : ٥ ص ١٣٦ .

فصل

وأما التسويف : فإن كان في فعل المعاصي قبل حضور وقتها أعني : ما تتحدث به النفس وتضمّره فلا يخفى قبحه ، لانه ربما أفضى الى الفعل . فحقّ على ذي الحجى أن يردع نفسه عنه بوعد الله تعالى ووعيدة ، و يخوّفهما ويحدّرها من قبح عواقبه .

وتوهمه بعرض كثير للبطّالين ، فليشغل اللبيب فكره فيما ينفعه ، والا ففي المباحات ، والظاهر أنه لا وزر فيه ، والله تعالى أعلم . وان كان التسويف في فعل المعصية عند حضور وقتها - بمعنى تركها الان ، مع العزم على فعلها فيما بعد - فهو محمود ، من حيث أنه قد ترك به المعصية الان فربما لا يتيسر له فعله فيما بعد ، أو ربما يسبقه بالتوبة .

ومن ثم قال علي رضي الله عنه : تأخير الاساءة من الاقبال . وان كان التسويف مؤدياً الى التواني فيما ينفع عاجلاً أو آجلاً ، فهو العجز الناشيء عن غلبة النفس وقهرها على الاحجام عما ينفع ، فيجعل التسويف ذريعة الى الترك ، وخديعة للعقل ، فان انخدع ، تأدى صاحبه الى الفشل والوهن والتأسف .

فحق على العاقل أن يكذب نفسه فيما أمّله ، ويبادر العمل فيما أمهلت ، وأن لا ينخدع فيما خدعته .

وقال بعض البلغاء : الامل كالسرّاب غرّ من رآه، وخاب من رجاه .

تبصرة :

وقد يكون التسويف في فعل التوبة ، لاجل المبادرة الى الحوبة .
وهذان أعظم المصائب ، وأكبر النوائب ، لانه قد باع السعادة بالشقاوة .
رجاء أن يشتريها فيما بعد فمن أخسر صفقة من هذا الامن ؟!
لانه قد يأتيه الموت بغتة ، وان لم يأتيه بغتة . فانه ربما سوف مرة أخرى أو مرات
لان نفسه قد غلبت عليه ، واستولى عليه مقود الشهوة ، فردع نفسه وشهوته
بعد ذلك شديد جداً ، بل ربما لا تتأتى له بعد ذلك توبة اصلا ، مؤاخذه له .
قال أبو حازم : نحن لانريد أن نموت حتى نتوب ، ولا نتوب حتى
نموت .

وقال بعض البلغاء : الامهال رائد الابهمال .

وقال محمد بن بشير :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً
فان تك بالامس اقترفت^(١) اساءة
ولا ترخ فعل الخير منك الى غد
ويومك هذا بالفعال شهيد
فثنّ باحسان وأنت حميد
لعل غداً يأتي وأنت فقيـد

مجموعه (۷۵۱) و (۷۵۲) شامل ۱۰۰۰ برگ است. این مجموعه شامل ۱۰۰۰ برگ است. (۷)

1890-1891

[illegible]

(١) في نسخة الاصل : أقرحت أساقفة. اما في نسخة المخطوطات : ٥-٥

فصل

وأما الرجاء :فان كان فيما عند الله فهو المحمود،لانه «عز وجل»أكرم وأعظم من أن يخيب راجياً ، وربما كان باعثاً على العمل ، وهو قريب الشبه مما قدمناه في الامل ^(١).

وأما اذا كان باعثاً على ترك العمل وارتكاب المعاصي ، فهو من أقبح القبائح ، لان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته فالراجي على هذا النحو ، غرّه بالله الغرور ^(٢).

وان كان الرجاء لما يناله من حظوظ الدنيا من المطامع ، اما من الناس أو من سعيه ، فهو أيضاً مذموم، لانّ الاغلب على الرجاء المعقود أن بالطمع ينحلّ باليأس .

قال علي رضي الله عنه : كلما لا ترجوا خير مما ترجوا ^(٣).

وقد وجدنا صدق هذا الكلام - وجوداً - كالعيان ، حتّى صار الرجاء قاطعاً للرجاء ، لكثرة ما رأينا من تعقب الخلف والفشل بعده ، وحصول ما لم يطمح اليه الرجاء على أسهل الوجوه .

(١) فى أول هذا الباب ص : ٢٧٥.

(٢) اشارة الى قوله تعالى : ولا يفرنكم بالله الغرور (الحديد: ١٤/٥٧ ، راجع

تفسيره فى ص ٤٨.

(٣) كذا فى نسخة الاصل والمروى عنه (ع) فى لثالى الاخبار ج ٢ ص ٣٩

وص ٥٠ : كن لما لا ترجوا أرحم منك لما ترجوا .

فصل

وأما المني : فهي بضائع النوكى ، وتثبيط عن الآخرة والأولى ، قلّ أن يهذي بها إلا دنى النفس سخيّ العقل .

قال بعض الشعراء :

ان خانك الدهر فكن عائداً بالبيض والظلماء والعيس

ولا تكن رب المني ، فالمني رؤوس أموال المفاليس

الا أنه ربما يتسلى بالاماني ، وان قل صدقها ، لكن يعتاض بها سلوة من

هم ، ومسرّة من غم .

قال أبو العتاهية :

حرك مناك اذا اغتــــــــــــممت فانهن مراوح

وقال الشاعر:

و تمنيت مالا و بت مغتبطا ان المنى رأس أموال المغاليس

باب الموت

فهو من حكم الله تعالى وألطافه ، والا لضاقت الارض بنوع الانسان ،
ولاسرفوا في الفساد والطغيان .

قال النبي ﷺ : تحفة المؤمن الموت .

وجه ذلك : أن المؤمن في دار الدنيا في سجن ، لعنائه بريضة نفسه على
ترك ما تدعوه اليه من الشهوات ، التي قد ألفتها النفس ، باعتبار ملابتها هذا
الجسم ، المتحلل ، المتخلخل ، الشديد الحاجة ، وفي بلاء السعي في اصلاحه
وفي عذاب من مدافعة ما يوسوس له الشيطان ، وينصب له من مكائده ، والموت
مخلص لنفسه النورانية من هذه الجثة الظلمانية ، وملحق نفسه برفائها فتستأنس
بهم .

والى ذلك الاشارة في قوله تعالى : «يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى
ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»^(١).

قيل للنبي ﷺ : من أكيس الناس ؟

فقال ﷺ : أكثرهم ذكراً للموت ، وأشد هم استعداداً له ، أولئك الاكياس
ذهبوا بشرف الدنيا ، واکرام الآخرة .

وقال ﷺ : أكثروا ذكر هادم اللذات .

وقال عيسى عليه السلام : كما تنامون كذلك تموتون ، وكما تنتبهون كذلك تبعثون .

وقال بعضهم : عجبت لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح ؟ وعجبت لمن يعلم أن النار حق ، كيف يضحك ؟ وعجبت لمن يرى قلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ؟

وحكى : أن بشر بن منصور لما حضرته الوفاة ، فرح .

ف قيل له : أتفرح بالموت ؟ !

فقال : أتجعلون قدومي على خالق أرجوه ، كمقامي مع مخلوق أخافه ؟

وحكى : أن عمر بن عبدالعزيز (رضه) كان يجمع عنده جماعة ويتذاكرون

الموت والقيامة ، فيتباكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال الحسن : فضح الموت الدنيا ، ما ترك لذي لب فيها فرحاً .

وقال بعضهم : شيثان قطعاً عني ارادة الدنيا : ذكر الموت ، والوقوف

بين يدي الله عز وجل .

وقال بعضهم : ان بقائك ^(١) الى فناء ، وفناءك الى بقاء ، فخذ من فنائك

— الذي لا يبقى — ، لبقائك — الذي لا يفنى — .

وقال الرشيد لابن السماك : عظمي وأوجز .

فقال : اعلم انك [لست] ^(٢) أول خليفة يموت .

فاستيقظ أيها الراقد لعمل آخرتك ، واغتنم بقية أجلك بخير عملك ، فان

من قصر أمه ، واستقل أجله ، حسن عمله .

قال عمر لابي الدرداء (رضه) : عظمي .

فقال : يا عمر ! ما لك عظمي ؟ قال : يا أبا الدرداء ! ما لك عظمي ؟ قال : يا عمر ! ما لك عظمي ؟

(١) في نسخة الأصل : بقاءك .

(٢) ليس في النسخة وإنما أضفناه للسياق . الكلام : قال ليعلم له أملاً (٧)

فقال : ارض بالقسوت ، وخف القوت ، واصل صومك الدنيا وفطرك الموت .

وقال الجاحظ في كتاب البيان : وجد مكتوباً على حجر :
«يا بن آدم ، لو رأيت يسير ما بقي من أجلك ، لزهدت في طويل ما ترجوا
من أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ، ولقصرت من حرصك وحيلك ،
وانما يلقاك بغتة ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وتبرأ منك
القريب ، وانصرف عنك الحبيب»^(١).

وقال بعضهم :

الليل يعمل والتهار كلاهما إذا التغافل فيك فاعمل فيهما^(٢)
وهما جميعاً يغنيانك فاجتهد بصنائع الخيرات أن تغنيهما

وقال ابن المعتز :

نسير الى الاجال^(٣) في كل ساعة وأيامنا - تطوى - وهنّ مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنّه اذا ما تخطّته الامانيّ - باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبي فكيف به و الشيب للرأس شامل
ترحل من الدنيا بزد من التقى فعمرك أيام تعد قلائل

وقال بعض الصلحاء : لنا من كل ميت عظة بحاله ، وعبرة بمآله .

وقال بعضهم : اعمل عمل المرتحل فان حادى الموت يحدوك ليوم ليس بعدوك .

(١) قد ذكر الاستاذ المحقق الكبير السيد محمد حسين الجلالى اختلاف النسخ في هذا النص عند تعرضه لمصادر الكتاب (راجع التقديم) .

(٢) كان ابن سمعون الواعظ يقول : لم أسمع فى المواعظ أبلغ وأوجز من قول من قال : ان الليل والتهار يعملان فيك فاعمل فيهما ، الايجاز والاعجاز ص ٣٥ .

(٣) كذا ظاهر العبارة وهى فى نسخة الاصل غير واضحة .

وحكى : أن سليمان بن عبد الملك نظر يوماً في المرأة، فقال: أنا الملك الشاب .

فقالت جارية له :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب قد علمناه غير أنك فان
ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء : كان الملك أمس أنطق منه
اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس .

وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس :

الموت باب وكل الناس يدخله ياليت شعري بعد الباب ما الدار
فأجابه :

الدار جنة عدن ان عملت بما يرضي الاله، وان خالفت فالنار
هما محلاّن مالناس غيرهما فانظر لنفسك أيّ السدار تختار
وسمع بعضهم صراحاً على ميت فقال : العجب من قوم مسافرين يكون
على مسافر قد بلغ منزله .

فصل

في القبر

حكى : أن الربيع حفر في داره قبراً ، وكان اذا وجد في قلبه قسوة ، جاء فاضطجع فيه ، ثم يمكث فيه ما شاء ، ثم يقول : «رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً»^(١).

ثم يرد على نفسه فيقول : قد رجعتك ، فاعمل .
فيجد في نفسه بذلك قوّة ونشاطاً على الطاعة .
وقيل لبعض الزهاد : ما بلغ العظاات ؟
فقال : النظر الى محلة الاموات .

ووجد مكتوباً على قبر : قهرنا ، ثم قهرنا ، ثم صرنا للناظرين عبر .
ووجد على آخر : من أمّل البقاء ، وقد رأى مصارعنا ، فهو مغرور .
وحيث كان الانتهاء الى هنا فها أنا ذا قد قطعت الكلام حامداً لله تعالى ،
شاكراً له على أنعمه الجسام ، مصلياً على محمد النبي وآله ، وأصحابه الائمة
الاعلام .

(١) اقتباس من قوله تعالى : « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلني أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا، انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » .
(سورة المؤمنون : ٩٩/٢٣ - ١٠٠)

سائلا من كرم الله تعالى أن ينفع به المسترشدين والطلاب ، وأن يجازيني عليه الجزاء الاوفى يوم الحساب .

مستمداً من تفضل الناظر فيه ، أن يكون نظره بعين الاغضاء لا الاستقصاء فليسدل ثوب السر ، وليفتح باب العذر ، والا فليجعل جزاء كدحي في تأليفه وترصيفه قريحتي وفكري ، المجاوزة عن تهافتي فيه ووزري ، فاني :

قد تنبعت فيه جهدي ولكن ليس من هفوة الجنان أمان
 ولقد قال صاحب الفضل قدماً ليس يخلو من هفوة انسان

مع علمي بأنني لم أصل الى مثل هذا التأليف الا بمعونة العزيز اللطيف .

فرغ من مشقة مشقه ، مؤلفه ، فقير رحمة ربه الغني ، حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني ، أدخله الله في مرضيه ، و جعل مستقبله خيراً من ماضيه ، لثلاث خلت من شهر شعبان المعظم ، من شهور سنة خمس وأربعين وتسعمائة هجرية نبوية ، على من شرفت به أفضل الصلاة وأكمل السلام ، آمين .

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

١٠٠ ١٠٠ ١٠٠

استدراك

ص ٣٧ الهامش (١) يضاف عليه :

فقد ذكر فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ مضمون ما ذكره المؤلف ، في كتابه : (ملخص أفكار المتقدمين والمتأخرين) ، راجع الكتاب طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ ، ص ٧٢ .

ص ٤٠ سطر ٩/ كلمة : وأقول ، تجعل بين قوسين ، هكذا : (وأقول :).
هذا وقد فاتنا اضافة (وآله) في أغلب الموارد التي وردت الصلاة فيها على الرسول ﷺ خالية من ذكر (الال) .

فقد وردت : نصوص كثيرة تؤكد على ضرورة ذلك في الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وتنتهي عن الصلاة البتراء .

الفهارس

١ - فهرس الايات

الاية	السورة ورقم الاية	الصفحة
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ..	البقرة : ٤٤/٢	٩٧
فاذكروني أذكركم واشكروا لي . .	البقرة : ١٥٢/٢	٢٤٤
ان الذين يكتُمون ما أنزلنا . . .	البقرة : ١٥٩/٢	١٠٠
والذين آمنوا أشد حبا لله ..	البقرة : ١٦٥/٢	٥٤
واتقون يا أولي الالباب .	البقرة : ١٩٧/٢	٥٢
مثل الذين ينفقون أموالهم . .	البقرة : ٢٦١/٢	١٤٨
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن . . .	البقرة : ٢٦٤/٢	٢٤٢
الشیطان يعدكم الفقر . . .	البقرة : ٢٦٨/٢	٢٢٧
يؤتي الحكمة من يشاء . . .	البقرة : ٢٦٩/٢	١١٠
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله . . .	البقرة : ٢٧٨/٢	٥٢
زين للناس حب الشهوات . .	آل عمران : ١٤/٣	١٢٩
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي ..	آل عمران : ٣٩/٣	٢١١
واذكروا نعمت الله عليكم ..	آل عمران : ١٠٣/٣	١٤٠
وشاورهم في الامر . .	آل عمران : ١٥٩/٣	١٩٢

- واذ أخذ الله ميثاق الذين .. آل عمران : ١٧٨ / ٣ ١٠٠
- ولا يحسبنّ الذين ييخلون ... آل عمران : ١٨٠ / ٣ ٢٢٨
- ياأيها الذين آمنوا اصبروا .. آل عمران : ٢٠٠ / ٣ ٢١٧ / ١٣٠
- ياأيها الناس اتقوا ربكم . النساء : ١ / ٤ ٥٢
- مذبذبين بين ذلك .. النساء : ١٤٣ / ٤ ٩٠
- اذجعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا . المائدة : ٢٠ / ٥ ١٥٠
- ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله .. المائدة : ٣٥ / ٥ ٥٢
- قل لا يستوي الخبيث والطيب .. المائدة : ١٠٠ / ٥ ١٧٩
- رضي الله عنهم ورضوا عنه .. المائدة : ١١٩ / ٥ ٢٢٤
- الذين آمنوا ولم يلبسوا .. الانعام : ٨٢ / ٦ ٢٢٠
- ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين الاعراف : ٣١ / ٧ ٢٣٠ / ٢٢٥
- والبلد الطيب يخرج نباته ... الاعراف : ٥٨ / ٧ ١٧٨
- ولو كنت اعلم الغيب ... الاعراف : ١٨٨ / ٧ ١٩٩
- سأصرف عن آياتي الذين .. الاعراف : ١٤٦ / ٧ ٢٠٢
- واما ينزعنك من الشيطان نزغ .. الاعراف : ٢٠٠ / ٧ ٢١٥
- والذين يكتزون الذهب ... التوبة : ٣٤ / ٩ ١٥٦
- اني أراكم بخير . هود : ٨٤ / ١١ ١٥٣
- قالرب السجن احب الي . يوسف : ٣٣ / ١٢ ٢٧٣
- ان النفس لامارة بالسوء . يوسف : ٥٣ / ١٢ ١٦٣ / ١٦٢
- وفوق كل ذي علم عليم . يوسف : ٧٦ / ١٢ ٩٢
- والذين يصلون ما أمر الله به .. الرعد : ٢١ / ١٣ ١٤٢
- لئن شكرتم لازيدنكم . ابراهيم : ٧ / ١٤ ٢٤٤

١٢٨	النحل: ٧١/١٦	والله فضل بعضكم على بعض ..
١٢٣	النحل: ٩٧/١٦	فلنحيينّه حياة طيبة ..
١٨٠	النحل: ١٠٥/١٦	انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
٢٣٥	الاسراء: ٢٦-٢٧/١٧	ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا ..
٦٢	الاسراء: ٧٢/١٧	ومن كان في هذه أعمى فهو في ..
٣٤	الاسراء: ٧٩/١٧	ومن الليل فتهجد به نافلة لك
٦٨	الاسراء: ٨٥/١٧	وما أوتيتم من العلم الا قليلا
٥٧	الاسراء: ١١٠/١٧	ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
٢١٥	الكهف: ٢٤/١٨	واذكر ربك اذا نسيت
١٤٥	الكهف: ٤٦/١٨	والباقيات الصالحات خير عند ربك ..
٢٦٥	الكهف: ٤٩/١٨	مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ..
٩٦	الكهف: ٦٦/١٨	هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت ..
٨٠/٥٧	الكهف: ١٠٣/١٨	قل هل ننبئكم بالانحسرين أعمالا ..
٥٦	الكهف: ١٢٠/١٨	فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل ..
١٧٨	طه: ٨٤/٢٠	وعجلت اليك رب لترضى ..
٣٣	الحج: ٣١/٢٢	ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء ..
٢٨٤	المؤمنون: ٩٩-١٠٠/٢٣	ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحا
١٥٣	النور: ٢٣/٢٤	فكتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ..
١٧٢	الفرقان: ٧٢/٢٥	واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما ..
٢٠٢	الفصص: ٨٣/٢٨	تلك الدار الآخرة نجعلها للذين ...
٦٤	العنكبوت: ٤٣/٢٩	وما يعقلها الا العالمون ..
١٤٧	الروم: ٧/٣٠	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ..

١٤٢	الروم: ٢١/٣٠	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا.
٢٢١	لقمان: ١٧/٣١	واصبر على ما أصابك ان ذلك..
٥٢	لقمان: ٣٣/٣١	يا أيها الناس اتقوا ربكم
١٥٥	فاطر: ١٥/٣٥	أنتم الفقراء الى الله
٦٥	فاطر: ٢٨/٣٥	انما يخشى الله من عباده العلماء
٦٤	الزمر: ٩/٣٩	قل هل يستوي الذين يعلمون والذين..
٢١٩	الزمر: ١٠/٣٩	انما يوفى الصابرون أجرهم..
١٤٧	السجدة: ١٠/٤١	وقدر فيها أقواتها.
٤٨	الجاثية: ٢٣/٤٥	أفرأيت من اتخذ الهه هواه.
١٠٩	الاحقاف: ٤/٤٦	أو أنارة من علم.
٥٢	الحجرات: ١٠/٤٩	واتقوا الله لعلكم ترحمون.
١٨٥	الحجرات: ١٢/٤٩	ولا يغتب بعضكم بعضاً.
٥٢	الحجرات: ١٣/٤٩	ان أكرمكم عند الله أتقاكم .
٣٥٤	الواقعة: ١٥/٥٦	على سرر موضونة متكئين عليها..
٢٦٣	الواقعة: ٣٧-٣٥/٥٦	انا أنشأناهن "انشاء" ...
٢٨٧/٤٨	الحديد: ١٤/٥٧	ولكنكم فتنتم أنفسكم...
٨٠	الجمعة: ٥/٦٣	مثل الذين حملوا التوراة..
١٠٨	القلم: ١/٦٨	ن والقلم وما يسطرون.
٣٥٢	المزمل: ١/٧٣	يا أيها المزمل قم الليل ..
٤٩	النازعات: ٤٠/٧٩	وأما من خاف مقام ربه ..
١٧٨	المطففين: ٢٩/٨٣	ان الذين اجروا كانوا من..
١٣٦	الاعلى: ٣/٨٧	والذي قدر فهدى

- يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي .. الفجر: ٢٧/٨٩ - ٣٠ ٢٨٠
- فأما من أعطى واتقى ... الليل: ٥/٩٣ - ١٠ ٢٢٦
- فاذا فرغت فانصب ... الانشراح: ٧/٩٤ - ٨ ١٢٧
- الذي علم بالقلم العلق: ٩٦/٤ ١٠٨
- ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى .. العلق: ٩٦/٧ ١٣٦/٦٥
- وما امروا الا ليعبدوا الله .. البينة: ٩٨/٥ ٥٤
- فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .. الزلزلة: ٧/٩٩ - ٨ ٦٢
- وانته لحبّ الخير لشديد .. العاديات: ١٠٠/٨ ١٥٣
- ومن شر حاسد اذا حسد .. الفلق: ١١٣/٥ ٢٦٦

٢- فهرس الاحاديث

الحديث	الصفحة	المروى عنه
أبعدوا عني خفق نعالكم ..	٢٠٦	علي عليه السلام
أثقل ما يوضع في الميزان المخلق الحسن.	٢٤٥	النبي ﷺ
الاحمق ابغض خلق الله اليه.	٤٥	النبي ﷺ
الاحمق كالفخار لا يرفع ولا يشعب.	٤٥	النبي ﷺ
أخوف ما أخاف على امتي الرياء.	٥٧	النبي ﷺ
إذا أراد الله بعبده خيراً ..	٢٤٢	النبي ﷺ
إذا استرذل الله عبداً حظر عليه العلم .	٧١	النبي ﷺ
إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء ..	٢٧٤	النبي ﷺ
إذا ترك العالم لأدري أصيبت مقاتله .	٩٤	ابن عباس
إذا تم العقل نقص الكلام .	١٦٩	علي عليه السلام
إذا زكي أحدهم قال: اللهم انت اعلم بنفسي ..	٢٠٧	علي عليه السلام
إذا شتمت فقل: ان كنت صادقاً فغفر الله لي...	٢١١	الصادق عليه السلام
إذا صدق العبد بر وإذا بر آمن .	١٨٠	النبي ﷺ

النبي ﷺ	٢١٠	إذا غضبت فاسكت.
النبي ﷺ	٢١١	إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو جزاءاً...
الرضا عليه السلام	٢٤٣	إذا قصرت يدك بالمكافأة ..
النبي ﷺ	١٨٠	إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر ...
النبي ﷺ	٢٤٨	إذا لم تسنحي فاصنع ماشئت .
النبي ﷺ	١٤٠	الارحام اذا تماسست تعاطفت .
النبي ﷺ	٤١	ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً ..
النبي ﷺ	٢٤٩	استحي من الله استحيائك من ذي هيبة.
النبي ﷺ	٢٤٩	استحيوا من الله حق الحياء .
النبي ﷺ	١٨٨	استعينوا على الحاجات بالكتمان . .
علي عليه السلام	١٣٤	اشتد غضبي على من ظلم ..
النبي ﷺ	١٣٣	أشد الناس عذاباً من جار في حكمه . .
علي عليه السلام	٢٠٤	الاعجاب ضد الثواب ..
النبي ﷺ	١٦٣	أعدى عدوك نفسك.
النبي ﷺ	١٤٣	أعظم النساء بركة أحسنهن وجهاً ..
النبي ﷺ	٢٤٥	أفضل الاعمال حسن الخلق
النبي ﷺ	٦٥	أفضل الاعمال العلم بالله والفقه في دينه . .
النبي ﷺ	٢٢٦	أفضل الايمان الصبر والسماحة . .
ابن عباس	٢١٨	أفضل العدة الصبر عند الشدة ..
النبي ﷺ	١٥٨	اقتصدوا في الطلب ..
النبي ﷺ	٢٢٦	أقسم الله بعزته وعظمته أن لا يدخل الجنة بخيل . .

أكثرنا ذكر هادم الذات	٢٨٠	النبي ﷺ
أكبر الناس أكثرهم ذكراً للموت ..	٢٨٠	النبي ﷺ
التمسوا لآخوانكم العذر في زلاتهم	٢٥٥	النبي ﷺ
اللهم احبني فقيراً وتوفني فقيراً ..	١٥٥	النبي ﷺ
اللهم اغنني بالافتقار اليك ..	١٥٥	النبي ﷺ
الامل رحمة من الله تعالى لامتي.	١٣٦	النبي ﷺ
ان أحساب هذه الدنيا المال	١٥٣	النبي ﷺ
ان الحسد لياكل الحسنات ..	٢٦٩	النبي ﷺ
اللسان معيار اطاشه الجهل ورجحه العقل.	١٦٥	النبي ﷺ
ان الله ارتضى لكم الاسلام ديناً فاكرموه ..	٢٤٥	النبي ﷺ
ان الله تعالى يوصيكم بامهاتكم ...	٢٤١	النبي ﷺ
ان الله يحب الحليم الحيي ..	٢١٠	النبي ﷺ
ان الله وسع أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء .	٧١	الصادق عليه السلام
ان الله يختبر عباده وليس لهم ان يختبروه .	١٦٧	عيسى عليه السلام
ان اولياء الله: الذين نظروا الى باطن الدنيا.	١١٧	عيسى عليه السلام
ان لله في كل محنة منحة .	٢٢٣	النبي ﷺ
انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة .	١٥٢	النبي ﷺ
انك ان صبرت جرى عليك القلم وأنت أجور ..	٢٢٠	علي عليه السلام
انكم لن تسعوا الناس باموالكم ..	٢٤٥	النبي ﷺ
انهاك عن الشرك بالله والكبر (قاله لعمته العباس).	٢٠٢	النبي ﷺ
انهاكم عن عقوق الامهات .	١٤١	النبي ﷺ
اني عليم احب كل عليم (مما وحي الله الى ابراهيم)	٦٤	النبي ﷺ
اني لامزح ولا أقول الا حقاً	٢٦٣	النبي ﷺ

أول ما خلق الله العقل	٤٢	الباقر عليه السلام
اياك وكثرة الضحك فانه يميم القلب	٢٦٥	النبي عليه السلام
اياك ومصاحبة الكذوب فانه يقرب لك البعيد	١٨١	علي عليه السلام
اياكم والامتنان بالمعروف فانه يبطل الشكر.	٢٤١	النبي عليه السلام
أيما عبد صنع الى أخيه معروفاً أو صنيعه .	٢٤٣	النبي عليه السلام
بشئ الاستعداد الاستعداد .	١٩٢	علي عليه السلام
البخل جامع لمساوي العيوب .	٢٢٨/١٥٧	علي عليه السلام
البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة	٢٢٦	النبي عليه السلام
البذاء من الجفاء والجفاء في النار .	٢٤٨	النبي عليه السلام
البلاء موكل بالمنطق	٢٧٣	النبي عليه السلام
بالصبر يتوقع الفرج	٢٢٠	النبي عليه السلام
تأخير الاساءة من الاقبال .	٢٧٦	علي عليه السلام
تحروا الصدق ولورأيتم فيه الهلكة.	١٨٢	النبي عليه السلام
تحفة المؤمن الموت .	٢٨٠	النبي عليه السلام
تسعة أعشار الرزق في التجارة .	١٤٨	النبي عليه السلام
تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده .	١٠١	النبي عليه السلام
تعلموا ماشئتم أن تتعلموا .	٩٧	النبي عليه السلام
تعلموا وعلموا فان أجر العالم والمتعلم سواء .	١٠١	النبي عليه السلام
تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل .	١١٧	عيسى عليه السلام
التفكر في الخير يدعوا الى العمل به .	٦٣	ابن عباس
ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة .	١٨٥	النبي عليه السلام
جالس العلماء وزاحمهم بر كبتيك .	٦٥	لقمان عليه السلام

النبي ﷺ	٢٢٦	جبلت القلوب على حب من احسن اليها .
النبي ﷺ	١٨٦	الجنة لا يدخلها ديتوث ولا قلاتع .
علي عليه السلام	٦١	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا .
النبي ﷺ	٥٠	حبك للشيء يعمي ويصم .
النبي ﷺ	٢٤٥	حسن الخلق. (قاله فى جواب من سأله: ما الدين ؟)
النبي ﷺ	٢٤٥	حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار .
النبي ﷺ	٨٨	حسن السؤال نصف العلم .
النبي ﷺ	١٥٠	الحلال بيتن والحرام بيتن فدع مايريك .
النبي ﷺ	٢٤٨	الحياء من الايمان والايمان فى الجنة
النبي ﷺ	٢٤٩	الحياء نظام الايمان .
النبي ﷺ	٦٩	خيار امتي علماؤها .
النبي ﷺ	٨٥	خيار شبانكم المتشبهون بشيوخكم .
علي عليه السلام	٩٥	خمس خذوهن عني .
النبي ﷺ	١٤٨	خير المال عين ساهرة لعين نائمة .
علي عليه السلام	١١٨	الدنيا أولها عناء وآخرها فناء .
لقمان عليه السلام	١١٨	الدنيا بحر عميق قد غرق فيه ناس كثير .
علي عليه السلام	١٢٥	الدنيا دار صدق لمن صدقها .
عيسى عليه السلام	١١٧	الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها .
النبي ﷺ	٢٥٩	رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس .
جبرئيل عليه السلام	٢١٠	ربك يأمر أن تصل من قطعك .
علي عليه السلام	٤٩	رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر .
النبي ﷺ	١٨٠	رحم الله امرأأ أصلح من لسانه .

علي عليه السلام	٩٦	رحم الله امرأ عرف قدره .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٦٥	رحم الله من قال خيراً فغنم .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٤٨	الرزق في خبايا الارض - يعني الزرع -
النبي صلى الله عليه وسلم	٢٧١	ذروها وهي ذميمة (قاله لمن تشائم من داره) .
ابن عباس	٢٢٦	سادة الناس في الدنيا الاسخياء .
علي عليه السلام	٢٣٢	السمخاء: ما كان ابتداء .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٦	السخي قريب من الله، قريب من الجنة .
علي عليه السلام	١١٨	سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٣٠	السلطان ظل الله في الارض .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢٤٥	سوء المخلوق . (قاله في جواب من سأله: ما الشرك؟)
لقمان عليه السلام	١٩٥	شاور من جرب الامور .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٦٤	الشديد من غلب نفسه .
النبي صلى الله عليه وسلم	٨٥	شرار شيوخكم المتشبهون بشبّانكم .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٨٥	صامتا عما أحل لهما وأفطرتا على ما حرم .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢٢٠	الصبر ضياء .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢١٩	الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢١٨	الصبر مطية لا تكبو .
النبي صلى الله عليه وسلم	١٤٢	صلة الرحم منماة للعدد مثرة للمال .
عليه السلام	٢٦٥	ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجده .
علي عليه السلام	٩١	ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك .
النبي صلى الله عليه وسلم	٢٧٠	طرق الطير على وكناتها .
النبي صلى الله عليه وسلم	٦٨	طلب العلم فريضة على كل مسلم .

- العالم من علم ان ما علم فيما لا يعلم قليل . ٩٤ علي عليه السلام
- عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح . ٢٠٦ الكتب السالفة
- وعجبت لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف .. ٢٠٦ الكتب السالفة
- العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار .. ٢٥٦/٢٠٤/٩١ النبي صلى الله عليه وآله
- العقل نور يقع في القلب . ٤٣ النبي صلى الله عليه وآله
- العلم أفضل خلف والعمل به أكمل شرف ٦٥ علي عليه السلام
- العلم خزائن مفتاحه المسئلة . ٨٧ النبي صلى الله عليه وآله
- علة العلم (قاله في جواب من قال: ما ينفي عني الجهل) ٩٧ النبي صلى الله عليه وآله
- علي " بخلفائي .. الذين يحيون سنتي . ٦٩ النبي صلى الله عليه وآله
- الغيبة: أن تقول في أخيك ما هو فيه . ١٨٦ النبي صلى الله عليه وآله
- فضل العالم على العابد كفضلي ... ٦٥ النبي صلى الله عليه وآله
- الفقر فخري وفخر الانبياء من قبلي . ١٥٥ النبي صلى الله عليه وآله
- فما أعدى الاول؟ (قاله في جواب من قال بالعدوى) ٢٧٠ النبي صلى الله عليه وآله
- في الانسان ثلاثة من اخلاق الجاهلية . ٢٧١ النبي صلى الله عليه وآله
- قصرُوا الأمل واستحيوا من الله حق الحياء . ٢٧٤ النبي صلى الله عليه وآله
- قلب العاقل بيت الاحزان ٢٢٣ علي عليه السلام
- قلة الحياء كفر . ٢٤٩ النبي صلى الله عليه وآله
- كاد الفقر أن يكون كفرا . ٢٤٧/١٥٥/١٥١ النبي صلى الله عليه وآله
- كفارة الطيرة التوكل على الله . ٢٧١ النبي صلى الله عليه وآله
- كلكم خير منه (أي ممن ألقى كلمته على الناس) ١٥١ النبي صلى الله عليه وآله
- كلما لآثر جوا خبر مما تر جوا . ٢٧٨ علي عليه السلام

كل معروف صدقة .	١٤٥	النبي ﷺ
كما تنامون كذلك تموتون وكما تنبّهون.	٢٨١	عيسى عليه السلام
لا أدري (قاله في جواب من سأل أي البقاع خير)	٩٤	النبي ﷺ
لا تكن على حالة الا رضيت بمادونها .	١٢٣	النبي ﷺ
لا تضع الصنعة ألا عند ذي حسب أو دين .	٢٤٢	النبي ﷺ
لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق .	٢٦٠	سليمان عليه السلام
لا تمنعوا العلم أهله فان في ذلك فساد دينكم .	١٠٠	النبي ﷺ
لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا .	١٠٣	النبي ﷺ
لا داء أعبى من الجهل .	٧٢	علي عليه السلام
لا تغضب (قاله في جواب من قال مرني بعمل)	٢١٠	النبي ﷺ
لا عدوة ولا هامة ولا طيرة ولا صفر .	٢٧٠	النبي ﷺ
لا يتم المعروف الا بثلاث .	٢٤١	ابن عباس
لا يدخل الجنة من كان في قلبه الكبر .	٢٠٢	النبي ﷺ
لا يدخل حضيرة الفردوس مستكبر .	٢٠٢	النبي ﷺ
لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن .	١١٧	عيسى عليه السلام
لا يشكر الله من لا يشكر الناس .	٢٤٤	النبي ﷺ
لا يكون المؤمن كذابا .	١٨٠	النبي ﷺ
لا ينبغي للشريف أن يرى للدنيا خطراً .	٢٠٥	الباقر عليه السلام
لسان العاقل من وراء قلبه .	١٦٧	النبي ﷺ
لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .	٦٤	النبي ﷺ
لقحوا عقولكم بالمذاكرة .	١٩٦	النبي ﷺ
للقلوب شهوة واقبال وفترة وادبار .	٨٢	ابن مسعود

النبي ﷺ	٦٩	لكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه .
ابن عباس	٩٦	لو كان أحد مكثفياً من العلم لاكتفي منه موسى .
عيسى عليه السلام	٩٦	ليس بنافعك أن تعلم ما لم تعمل .
النبي ﷺ	١٢٧	ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة .
النبي ﷺ	١٢٧	ليس طلب المعاش من طلب الدنيا (قاله الله لابراهيم) .
النبي ﷺ	٨٤	ليس من أخلاق المؤمن الملق .
النبي ﷺ	١٣٩	المؤمن آلف مألوف و . .
النبي ﷺ	٢٦٤	المؤمن دعب لعب و المنافق عبس قطب . . .
النبي ﷺ	٢٠٨	المؤمن مرآة المؤمن ..
لقمان عليه السلام	٦١	المؤمن من أبصر الفاقة ..
النبي ﷺ	٢٦٦	المؤمن يغبط والمنافق يحسد .
علي عليه السلام	١٠٠	ما أخذ الله العهد على أهل الجهل . .
النبي ﷺ	٢١٧	ما ازداد أحد بعفو الا عزاً . .
النبي ﷺ	١٦١	ما أنحل الوالد ولده نحلة أحسن من أدب . .
النبي ﷺ	١٥٠	ماسد جوعتك (قاله لمن سأله ما يكفيني من الدنيا)
النبي ﷺ	٢٣٠	ماعال من اقتصد .
النبي ﷺ	٦٩	ما عبد الله بشيء أفضل من فقهه في الدين .
علي عليه السلام	٥٣	ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك .
النبي ﷺ	١٣١	مامن أمير على عشرة الا ويأتي مغلولاً . .
النبي ﷺ	١٢٣	مامن عبد الا بينه وبين رزقه حجاب .
النبي ﷺ	٢٢٦	مامن يوم .. الا وملكين يناديان ..
النبي ﷺ	٢٣٩	ماوقي به العرض فهو صدقه .

ماهلك امرىء عرف قدره .	٩٦	علي عليه السلام
مثل الجليس السوء .. والجليس الصالح ..	٢٥٢	النبي صلى الله عليه وسلم
المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .	٢٥١	النبي صلى الله عليه وسلم
المرء مخبوء تحت لسانه .	١٦٨	علي عليه السلام
المزاح استدراج من الشيطان ..	٢٦٢	النبي صلى الله عليه وسلم
مزاح المؤمن عبادة ..	٢٦٤	النبي صلى الله عليه وسلم
مزاح النبي ..	٢٦٤	علي عليه السلام
المسافر وماله على قلّة .	١٤٩	النبي صلى الله عليه وسلم
المشاورة حصن من الندامة ..	١٩٢	النبي صلى الله عليه وسلم
المعروف كاسمه ..	١٤٥	النبي صلى الله عليه وسلم
مكارم الاخلاق في الدنيا والاخرة ثلاث ..	٢١٠	جبرائيل عليه السلام
ملعون ذوالوجهين ..	١٨٦	النبي صلى الله عليه وسلم
من أراد الله به خيراً حال بينه وبين شهواته .	١٥٣	النبي صلى الله عليه وسلم
من أراد أمراً فشاور وفقه الله ..	١٩٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من ازداد في العلم رشدأ ولم يزد زهداً ..	٧٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من اعطي فضل ماله فهو خير له ..	١٥٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من اعطي فشكر و .. اولئك لهم الامن .	٢٢٠	النبي صلى الله عليه وسلم
من أودع معروفاً فليشره ..	٢٤٣	النبي صلى الله عليه وسلم
من تشبه بقوم فهو منهم .	٨٥	النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم علماً لغير الله .. فليتبوأ النار .	٧٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من تعلم العلم للتكبر مات جاهلاً ..	٧٤	النبي صلى الله عليه وسلم
من تفكر أبصر .	٦٣	علي عليه السلام

من تقوى الله تقوى الناس .	٢٥٠	علي عليه السلام
من حاسب نفسه ربح . .	٦١	علي عليه السلام
من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .	١١٥	علي عليه السلام
من حق المسلم أن ينصح . .	٢٠٠	النبي صلى الله عليه وآله
من حلم ساد ومن تفهّم ازداد .	٢١٠	علي عليه السلام
من ظن ان للعلم غايصة فقد بخسه حظّه .	٦٨	النبي صلى الله عليه وآله
من شراركم المشاؤون بالنميمة ..	١٨٦	النبي صلى الله عليه وآله
من فتحت عليه باب من الخير فلينتهزه . .	١٤٦	النبي صلى الله عليه وآله
من كانت له بيت وخادم فهو ملك . .	١٥٠	النبي صلى الله عليه وآله
من كنتم سره كان الخيار بيده .	١٨٨	علي عليه السلام
من كنتم علماً لخسة ألجمه الله . .	١٠٠	النبي صلى الله عليه وآله
من كنتم غيظاً .. ملائكة الله قلبه ايماناً .	٢١٠	النبي صلى الله عليه وآله
من لم يجزه من العيش ما يكفيه . . لم يجد ما يكفيه .	٢٢٩	النبي صلى الله عليه وآله
من لم يرض بقضائي .. فليختر رباً سواي .	٢١٨	حديث قدسي
من ليس له زوجة فهو من اخوان الشياطين .	١٤٤	النبي صلى الله عليه وآله
من مشى مع ظالم ليعينه .. فقد خرج عن الاسلام	١٣٣	النبي صلى الله عليه وآله
من وقّر عالماً فقد وقّر ربه .	٨٤	النبي صلى الله عليه وآله
من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها .	١١٧	النبي صلى الله عليه وآله
من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين .	٦٩	النبي صلى الله عليه وآله
من هو مان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا .	٦٥	ابن مسعود
نعم المطية الدنيا فارتحلوا بها . .	١٢٥	النبي صلى الله عليه وآله
نعم الموازنة المشاورة ..	١٩٢	علي عليه السلام

النبي ﷺ	١١٥	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ..
النبي ﷺ	١٠٢	واضع العلم في غير أهله ..
النبي ﷺ	١٦٨	وهل يكبّ الناس في النار على مناخرهم الا... .
النبي ﷺ	٨٧	هلا سألوا اذا لم يعلموا .
النبي ﷺ	٨٠	همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الرعاية .
النبي ﷺ	٢٠٦	هون عليك فانما أنا ابن امرأة ..
ابن عباس	٤٨	الهوى اله يعبد من دون الله .
النبي ﷺ	٥٠	الهوى عمى .
التوراة	١٤٩	يا بن آدم أحدث سفراً أحدث لك رزقاً .
التوراة	٢١٥	يا بن آدم أذكرني حين تغضب أذكرك... .
بعض الكتب	٢٧٤	يا بن آدم فرحت ببلوغ أملك ؟..
عيسى عليه السلام	٩٥	يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت ..
النبي ﷺ	٩٩	يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ..
النبي ﷺ	١٣٤	يسلط الله الحزن على أهل النار ..
النبي ﷺ	١٨١	يعرف المؤمن بوقاره وليس كلامه
عيسى عليه السلام	١١٧	يقول الله للدنيا من خدمني فاخدميه ..
النبي ﷺ	٢١٦	ينادى مناد يوم القيامة من له أجر على الله فليقم .

٣- فهرس المصطلحات

أ

١٦٢	التأديب من المعلم	١٥٩	أدب النفس
٣٣٠	التبذير	٥٧	الاخلاص
١٤٨	التجارة	٩١	أخلاق العلماء
٢٥٧	التجاوز عن الاصدقاء	١٩٧، ١٩٥، ١٩٢	الاستشارة
٣٧٦	التسويق	٣٠٤	الاعجاب ::::: العجب
٥٢	تقوى الله	٣٥٩	الاغضاء لتألف الاعداء
٩٥	تكبر العالم	١١٤	الالغاز
٩١	التواضع	١٣٩	الالفة الجامعة
١٨٤	التورية	١٤٤	الالفة - الرغبة فيها -

ج

٢١٨	الجزع	٢٧٤	الامل
٢٥٢	الجلس الصالح والسيئ	١٣٦	الامل الفسيح
١٤٣	الجمال	١٩٠	أمين السر
٢٦١	الحذر من الاعداء	٩٩	الانقطاع الى العلم أو العمل

ح

٢٢٩، ١٥٧، ١٥٥	الحرص	١٠٠	البخل بالعلم
١٣٥	الحزن	٢٢٨، ١٥٧	البخل .. الشح
٣٦٦	الحسد	٢٣٢	البذل قبل السؤال
٣٤٦ - ٣٤٥	حسن الخاق	١٤٤	البر من أسباب الالفة
٢٥٥	حسن المداراة	١٧٠	المبلاغة
٨٠	الحفظ من غير تصور المعنى		ت
٨٤	حق المعلم	١٦١	التأديب من الوالد

- | | |
|-------------------------|---------------|
| الحلم وأسبابه | ٢١٠ - ٢١١ |
| الحمق | ٤٥ |
| الحياء | ٢٤٨ - ٢٤٩ |
| خ | |
| الخشونة | ٢٤٧ |
| الخصب في الدار | ١٣٥ |
| الخط وشروطه | ١١٠ - ١١٢ |
| د | |
| الدنيا | ١١٧ |
| الدهاء | ٤٠ |
| دواعي العبادة | ٥٣ - ٥٥ |
| الدين وتأثيره في الحياة | ١٢٩ |
| الدين من أسباب الآفة | ١٣٩ |
| ر | |
| الرجاء | ٢٧٨ |
| الرضا | ٢٢٤ |
| الرضا باليسير | ١٢٥ |
| الرموز | ١١٦ |
| الرياء | ٥٦ |
| ز | |
| الزهد | ١٢١ |
| الزراعة | ١٤٨ |
| س | |
| السائل - عن العلم - | ٢٣٥ - ٢٣٨ |
| السخاء | ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢ |
| سرعة الجواب | ١٧٥ |
| السرف | ٢٣٠ |
| السعاية | ١٨٦ |
| السلطان القاهر | ١٢٩ |
| السؤال | ٨٧ |
| سوء الظن | ١٦٣، ٢٢٩ |
| ش | |
| الشح | ١٥٧، ٢٢٨ |
| الشره | ٢٢٩ |
| الشريف | ٢٠٥ |
| شكر النعمة | ٢٤٣ |
| الشهوات | ١٥٢ |
| الشهوة | ٥١ |
| ص | |
| الصبر وأنحائه | ٢١٨ - ٢١٩ |
| الصدق | ١٨٠ |
| الصمت | ١٦٥ |
| الصناعة | ١٤٩ |
| ط | |
| طاعة الله | ٥٣ |

ف	طالب العلم ٨٣
٢٧٣ الفأل	٧٠ طلب العلم - موانعه -
١٧٠ الفصاحة	٢٧٠ الطيرة
١٥٤ ، ١٥١ الفقر	ض
٦٩ الفقه	٢٦٥ الضحك
ق	ع
٢٨٤ القبر	٢٤٧ العيوس
١٢٣ القناعة	٩٢ ، ٩١ الاعجاب ::::
ك	١٣١ العدل
٢٠٢ ، ٢٠٦ الكبر وأسبابه	٢٧٠ العدوى
١٠١ الكتابة والكتب	٤٢ العقل
٧٩ الكتب - الكلام عنها -	٣٧ - لماذا سمي عقلا
١٨٨ كتمان السر	٤٣ العقل - رأس كل صلاح -
١٨١ الكذب ودواعيه	٣٨ ، ٣٧ العقل المكتسب
١٨٢ الكذب - مضارة -	٣٨ ، ٣٦ العقل الغريزي
١٤٧ الكسب والمكاسب	٦٤ العلم وفضله
٢٤٤ كفر النعمة	٦٨ العلوم - كلها شريفة -
١٦٥ الكلام	٧٥ العلوم - ترتيب طلبها -
١٧١ - آداب الكلام	٩٧ العمل بالعلم
١٦٧ - شروط الكلام	غ
١٥٠ الكفاية - في المعيشة -	٢١٥ الغضب
م	١٥٤ الغنى
١٤٧ المادة - التي بها الحياة -	١٨٥ الغيبة
١٤٣ ، ١٥٣ المال	

٢٢٩	منع الحقوق	١٠٢	المتعلّم
٢٨٠	الموت	١٧٤، ١٧٣	المثل والامثال
ن		٦١	محاسبة النفس
١٤٠	النسب - من أسباب الالفه -	١٧٥	محاسن الاجوبة
٧٧	النسيان	٣٦٢	المزاح والضحك
١٤٤	نظم أمر الدين	١٩٤	المستشار وصفاته
١٣٨	النفس المطيعة	٢٣٨، ٢٣٧	المسؤول - عن المال -
١٨٦	النميّة	١٩٩	المشير وشروطه
٧٤	نيّة طالب العلم	٢٥١	المصاحبة والاصدقاء
هـ		١٤٢	المصاهرة - من أسباب الالفه -
١٦٨	الهذر - في الكلام -	٢٤١	المعروف وشروطه
١٦٨	الهذيان - في الكلام -	١٠٤	المعلم وما يجب عليه
٤٧	الهوى - قد يخفي مكره -	٤٠	المكر
و		٨٤	الملق - في طلب العلم -
٢٠٨	الولاية والحكم	٢٨٨	المنى والامل
		٢٦٦	المنافسة

٤ - فهرس أقوال العرب وأمثالهم السائرة

الفكرة مرآة تريك حسناتك من	الاب رب ، والولد كمد ، والعم
٦٣ سيئاتك	غم ، والخال وبال . . ١٤١
لاتكن حلواً فياً كلوك و لامراً	إذا كثر خزان السرزاد ضياعاً ١٩١
٢٤٦ فترمى	انظر الى ما قال ولا تنظر الى من
لاخير في علم لايعبر معك الوادي	قال ١٩٩
ولايعمر بك النادي ٧٩	البشر احد البذلين ١٣٦
لسان الجاهل مفتاح حتفه ٧٢	الجاهل صغير وان كان شيخاً ،
مالك لك ، اوللوارث أوللنايبة ١٥٥	والعالم كبير وان كان صغيراً ٧٢
المذاكرة صيقل العقل ٧٨	الجنون على فنون ٤٤
ألمشايع اشجار الوقار و منابع	جهل الخط الزمانة الخفية ١٠٩
الاخبار لايطيش لهم سهم ٣٨٠٠	حسن الخط أحد الفصاحتين ١١٠
ألمطل أحد المنعين ٢٤٠	حرف في قلبك خير من ألف في
من بسطه الادلال قبضه الملل ١٤٣	كتبك ٧٩
من تواضع بعلمه رفعه الله ٩١	العقل وزير ناصح والهوى وكيل
من قل توقية كثرت مساوئه ١٥٠	فاضح ٥٠
من قل ذل ١٣٩	علم لايعبر معك الى الحمام لايرفعك
من ودك لامر انقضى وداده	على الانام ٧٩
بانقضائه ١٤٣	عليكم بآراء الشيوخ ، فانهم ان
الهوى كالنار اذا استحكمت ايقادها	فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على
عسر اخمادها ٤٨	عيونهم وجوه العبر ٣٨
الهيبة مقرونة بالخيبة ٧٠	الفكرة قلب العقل ٦٣

٥ - فهرس القوافي

صدر البيت	قافيته	الصفحة	صدر البيت	قافيته	الصفحة
إذا كنت	سواء	١٥٦	ج		
إذا لم	ماتشاء	٢٤٨	ان الامور	ارتتجا	٢٢١
ورب	الحياء	٢٥٠	ح		
	ب		حرك	مراوح	٢٧٩
يامظهر	تريب	٢٠٤	(وكل اناء بالذي فيه ينضح)	١٧٣	
يخاف	أجرب	٢٥٣	د		
ومن جال	متاعبه	٢٢٤	تكلم	جماد	١٦٩
إذا كنت	لاتعاتبه	٢٥٧	إذا قل	يرمد	٢٢٣
وليس	الكلاب	٢٣٥	بدأت	أحمد	٢٢٣
ولو لم يكن ر كوبها	٢٣٥		مضى	شهيد	٢٧٧
وان يك	الادب	١٦٠	ولي جلساء ومشهدا	١٠٧	
وما كل	بليب	١٩٤	انما الدنيا	مستردة	٢٢٢
ما وهب	أدبه	٤٣	ان جئت	الواحدة	١٦٢
فما خلق	الادب	١٦٠	محن الفتى	العود	٢٢٣
	ت		ر		
هذب	بيت	٦٥	منك المؤمل بصر	٢٧٣	
سكت	ماعييت	٢١٢	يد المعروف	شكور	١٤٥
تمتع	متا	٢٥٩	ذربني	الفقير	١٥٤
خليلي	جلت	٢٢١	الموت	الدار	٢٨٣
اني	محببات	٢٥٩	تكثّر	ظهور	٢٦٠

ط	الدار جنة فالنار	٢٨٣
أعذر ضبطه ١١٠	هل أنت دساكره ١١٩	
ع	إذا شئت حرّاً ٢٥٦	
إذا لم لا ينفع ٧٩	عليك تصدّراً ٢٥١	
ولا ضاع تضییع ٢٣٢	حفيّ اعتذراً ٢٤١	
لعمرك صانع ٢٧١	ومستودع قبراً ١٩١	
وانك أجمعا ١٥٣	وما السر الحشراً ١٩١	
صاد الصديق الطعماً ١١٦	وليس صديقي أمراً ٢٥٥	
منعت مامناً ١١٦	أبنيّ المبصر ٤٤	
إذا اجتمع باجتماعه ٢٥٣	إذا ما المال السعير ٦٦	
ف	فسل الفقيه نذير ٨٨	
ان الوفاء الاجلاف ٢١٣	أصفو بلا كدر ٢٤٦	
آباؤنا التلف ٨٥	لقد كشف الفقر ٢٤٧	
ق	كذب عليه البصر ٢٥٨	
وزن الكلام المنطق ١٦٨	هي الدار الغير ١١٨	
إذا المرء أحرق ١٨٩	أسيرك ان ظهر ١٨٨	
إذا جمعت احرق ٢٢٣	قهراً عبر ٢٨٤	
وإذا عجزت وفاق ٢٦١	ز	
وفي الحلم مخرقاً ٢١٢	إذا كنت أعجز ١٦٦	
إذا عرف صادقاً ١٨٣	س	
ان الذي موفّق ١٥٦	من يفعل الناس ١٤٥	
الا قاتل الخلائق ٢٣٥	ان خانك العيس ٢٧٩	
لا تحقرن راقه ٨٥	وتمنيت المغاليس ٢٧٩	

١٥١	المال ينفذ آثامه	ل	
١٦٧	وفي الصمت يتكلما	٢٣٣	وما زرتكم الرجل
٨٤	ان المعلم بكرما	٢٤٠	لا تجد بخل
٧٨	اذا لم ماتعلما	٢٨٢	نسبر مراحل
٥٧	صلى الصائم	٢١٤	أرى الحلم فاعله
٩٨	وعامل الظلم	٢٦٧	اصبر قاتله
٢٢٢	رأيت للسقم	٢٣٧	ياخير المبذولا
٢٢٩	اذا ساء توهم	٢٦٨	ولم أجد تفضلا
١٠٣	ومن منح ظلم	٩٢	من رام اقبالا
٢٢١	اذا تمّ تمّ	٣٨	اذا طال عقلا
	ن	٧٣	لا فراغا بالامال
٤٩	ان الهوى هوان	٧٧	ذريني السهل
١٢٤	جرى قلم السكون	١١٣	انما الزعفران الرجال
١٤٥	لبن	١٣٦	ما أحسن الرجل
١٤٦	اذا هبت سكون	٢١٨	صبر المحتال
٢٢٨	اذا كنت وأمين	٢٤٢	اعمل الخير بكله
٢٨٥	قد تبعت أمان	م	
٣٩	رأيت العقل السنين	٨٦	وان عناء اعلم
٩٣	يامن تلبس المساكين	٦٨	يا أيها الرجل التعليم
١٤٣	ان النساء الرياحين	١١٩	نهارك لازم
١٤٤	ان النساء الشياطين	١٢٦	لا يسلم الدم
٢٤٣	ولو كان مكان	١٢٩/١٢٦	والظلم لا يظلم
٢٨٣	أنت نعم للانسان	٢١٣	والكف يشتم

٧٣	نروح	لاتنقضي	٨٦	رمانی	اعلمه
٩١	وازنت	لاتفي	٥		
١١٤	رجل مات وخلّى أبيه		٦٨	سنه	ما حوى
١٢٤	قنع النفس يكفيها		٢٠٣	مذره	عجبت
١٥٤	ان بين	لقدرى	٢٨٢	فيهما	الليل يعمل
٢٣٦	من كان	سنيا	١٧٣	النطق به	وسمعك
٢٥٠	فسري	نهارى	٥		
٢٥٦	ليس الغبي	المتغابي	٤٥	يداويها	لكل داء
			٥٠	راضيا	ولست

٦- فهرس الكتب ومصادر التحقيق

- البيان والتبيين : لعمر و بن بحر الجاحظ (ت/ ٢٥٥ هـ) ط مصر/ ١٣٦٨ هـ .
بهجة المجالس : لابن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ط الدار المصرية .
الجامع الصغير : للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ طبع عبد الحميد أحمد حنفي/ مصر .
خمس رسائل : ويحتوي على منتخبات عدة كتب ومنها: الايجاز والاعجاز لابي منصور الثعالبي ، وأحسن المحاسن لابي الحسن الرخجي/ طبع هذا الكتاب في مطبعة الجوائب في الاستانة سنة ١٣٠١ هـ .
الدرة اليتيمة: لعبد الله بن المقفع المتوفى نحو ١٤٣ هـ طبع دار النجاح- بيروت ١٩٧٤ م .
سفينة البحار : (فهرس « بحار الانوار » للعلامة المجلسي) وضعه الشيخ عباس القمي/ طبع ايران .
عيون الاخبار: لابن قتيبة الدينوري المتوفى / ٢٧٦ هـ طبع مصر/ ١٩٦٣ م .
الغرر والدرر : للامدي في ستة أجزاء طبع جامعة طهران سنة ١٣٦٠ هـ .
المستطرف : لمحمد بن أحمد الابشهي المحلي المتوفى سنة ٨٥٠ هـ طبع دار احياء التراث العربي- بيروت سنة ١٣٧١ هـ .
المحاسن والمساوى* : للشيخ ابراهيم البيهقي من علماء القرن الثالث الهجري طبع دار صادر سنة ١٣٩٠ هـ .
المخلصة : لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ابن المؤلف) المتوفى سنة ١٠٠٣ هـ طبع الميمنية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .
نهج البلاغة : من كلام الامام علي عليه السلام جمع الشريف الرضي طبع مصر .

فهرس المحتويات

٣	الاهداء
٥	المؤلف والكتاب
٢٢	مقدمة المحقق
٣٣	مقدمة المؤلف
٣٦	الباب الاول: باب العقل
٤٠	الفصل الاول: في الدهاء والمكر
٤٢	الفصل الثاني: العقل أشرف المخلوقات
٤٥	الفصل الثالث: في الحمق
٤٧	الفصل الرابع: ما يصاد العقل
٥٠	الفصل الخامس: قديخفى الهوى مكره
٥٢	الفصل السادس: تقوى الله تعالى
٥٣	الفصل السابع: طاعة الله
٥٦	الفصل الثامن: في الرياء
٦١	الفصل التاسع: محاسبة النفس

- ٦٤ الباب الثاني : باب العلم
- ٦٤ الفصل الاول: العلم أشرف ما رغب فيه
- ٦٧ الفصل الثاني : لا يجهل فضل العلم الا أهل الجهل
- ٦٨ الفصل الثالث: العلوم كلها شريفة
- ٧٠ الفصل الرابع: في موانع الطلب
- ٧٤ الفصل الخامس: وثوق الطالب بالله
- ٧٥ الفصل السادس: ترتيب العلوم
- ٧٧ الفصل السابع: في النسيان
- ٧٩ الفصل الثامن: استئصال الطالب
- ٨١ الفصل التاسع: أحوال النفس
- ٨٣ الفصل العاشر: شروط كمال الراغب
- ٨٤ الفصل الحادي عشر: آداب المتعلمين
- ٨٧ الفصل الثاني عشر: في التقليد
- ٨٩ الفصل الثالث عشر: من يأخذ عنه الطالب
- ٩١ الفصل الرابع عشر: آداب العلماء
- ٩٢ الفصل الخامس عشر: علة اعجاب العلماء
- ٩٣ الفصل السادس عشر: علة اخرى للتكبر
- ٩٤ الفصل السابع عشر: الفتيا بغير علم
- ٩٥ الفصل الثامن عشر: كثرة العلم وقلته
- ٩٧ الفصل التاسع عشر: العمل بالعلم
- ١٠٠ الفصل المتمم للعشرين : بذل العلم والبخل به
- ١٠٢ الفصل الواحد والعشرون: المتعلم ضربان

- ١٠٤ الفصل الثاني والعشرون: دراسة العالم
- ١٠٥ خاتمة الباب الثاني: الطالب للعلم - من السلاطين -
- ١٠٧ الباب الثالث: الكتابة
- ١١٢ الفصل الاول: عوارض الخط
- ١١٤ الباب الرابع: الالغاز والرموز
- ١١٦ الفصل الاول: في الرمز
- ١١٧ الباب الخامس: الدنيا
- ١٢١ الفصل الاول: الزهد
- ١٢٣ الفصل الثاني: القناعة
- ١٢٥ الفصل الثالث: رياضة النفس
- ١٢٦ الفصل الرابع: من حكمة الله أنه خلق الناس محتاجين
- ١٢٨ الفصل الخامس: ما ينظم به أمر الدنيا
- ١٣٣ فصل: أنواع العدل
- ١٣٨ الفصل السادس: ما يصلح به حال الانسان
- ١٣٨ فصل: النفس المطيعة
- ١٣٩ فصل: الالفه الجامعة
- ١٤٧ فصل: المادة الكافية
- ١٥٠ الفصل السابع: حال الانسان في المكسب
- ١٥٧ الفصل الثامن: حب المال والحرص والشح
- ١٥٩ الباب السادس: في أدب النفس
- ١٦١ الفصل الاول: التأديب
- ١٦٥ الباب السابع: الكلام والصمت

١٦٧	الفصل الاول: شروط الكلام
١٧١	الفصل الثاني: آداب الكلام
١٧٤	الفصل الثالث: ضرب الامثال
١٧٥	الفصل الرابع: محاسن الاجوبة
١٨٠	الباب الثامن: الصدق والكذب
١٨٤	الفصل الاول: الكذب المرخص به
١٨٥	الفصل الثاني: الصدق الذي يقوم مقام الكذب
١٨٨	الباب التاسع: كتمان السر
١٩٠	الفصل الاول: أمين السر
١٩٢	الباب العاشر: الاستشارة
١٩٤	الفصل الاول: صفات المستشار
١٩٧	الفصل الثاني: الاكثار من المشاورة
١٩٧	الفصل الثالث: اذا اختلف المشيرون
١٩٩	الفصل الرابع: على المستشار النصيح
٢٠٢	الباب الحادي عشر: الكبر والعجب
٢٠٤	الفصل الاول: العجب
٢٠٥	الفصل الثاني: أحق الناس بمجانبة الكبر
٢٠٦	الفصل الثالث: أسباب الكبر
٢٠٨	الفصل الرابع: الوصول الى المناصب قديحدث الكبر
٢١٠	الباب الثاني عشر: الحلم والغضب
٢١١	الفصل الاول: أسباب الحلم
٢٥١	الفصل الثاني: الغضب

٢١٨	الباب الثالث عشر: الصبر والجزع
٢١٩	الفصل الاول: أنواع الصبر
٢٢٢	الفصل الثاني: أسباب تسهيل المصائب
٢٢٥	الباب الرابع عشر: السخاء والشح
٢٢٨	الفصل الاول: الشح وعبوبه
٢٣٠	الفصل الثاني: السرف والتبذير
٢٣٢	الفصل الثالث: أسباب البذل
٢٣٥	الفصل الرابع: شروط السائل
٢٣٧	الفصل الخامس: ما يجب على المسئول
٢٣٨	الفصل السادس: أحوال السائل والمسئول
٢٤١	الفصل السابع: شروط المعروف
٢٤٣	الفصل الثامن: من أسدي اليه المعروف فعليه أن ينشره
٢٤٥	الباب الخامس عشر: حسن الخلق
٢٤٧	الفصل الاول: ما يؤدي الى الخشونة والعبوس
٢٤٨	الباب السادس عشر: الحياء
٢٤٩	الفصل الاول: أقسام الحياء
٢٥١	الباب السابع عشر: المصاحبة والاصدقاء
٢٥٥	الفصل الاول: حسن الإدارة
٢٥٧	الفصل الثاني: العفو
٢٥٩	الفصل الثالث: تألف الاعداء
٢٦١	الفصل الرابع: الحذر من الاعداء
٢٦٢	الباب الثامن عشر: المزاح والضحك

- ٢٦٥ الفصل الاول: الضحك
- ٢٦٦ الباب التاسع عشر: الحسد والماقسة
- ٢٦٨ الفصل الاول: كيفية التخلص من الحسد وذكر مضار الحسد
- ٢٧٠ الباب المتمم للعشرين: الطيرة والفأل
- ٢٧٣ الفصل الاول: العأل
- ٢٧٤ الباب الحادي والعشرون: الامل والتسويق والرجاء والمنى
- ٢٧٦ الفصل الاول: التسويق
- ٢٧٨ الفصل الثاني: الرجاء
- ٢٧٩ الفصل الثالث: المنى
- ٢٨٠ الباب الثاني والعشرون: الموت
- ٢٨٤ الفصل الاول: القبر
- ٢٨٦ استدرارك
- ٢٨٧ الفهارس/ ١ - فهرس الايات
- ٢٩٣ ٢ - فهرس الاحاديث
- ٣٠٤ ٣- فهرس المصطلحات
- ٣٠٩ ٤- فهرس القوافي
- ٣١٣ ٥- فهرس الكتب ومراجع التحقيق
- ٣١٤ ٦- فهرس المحتويات

تصويبات

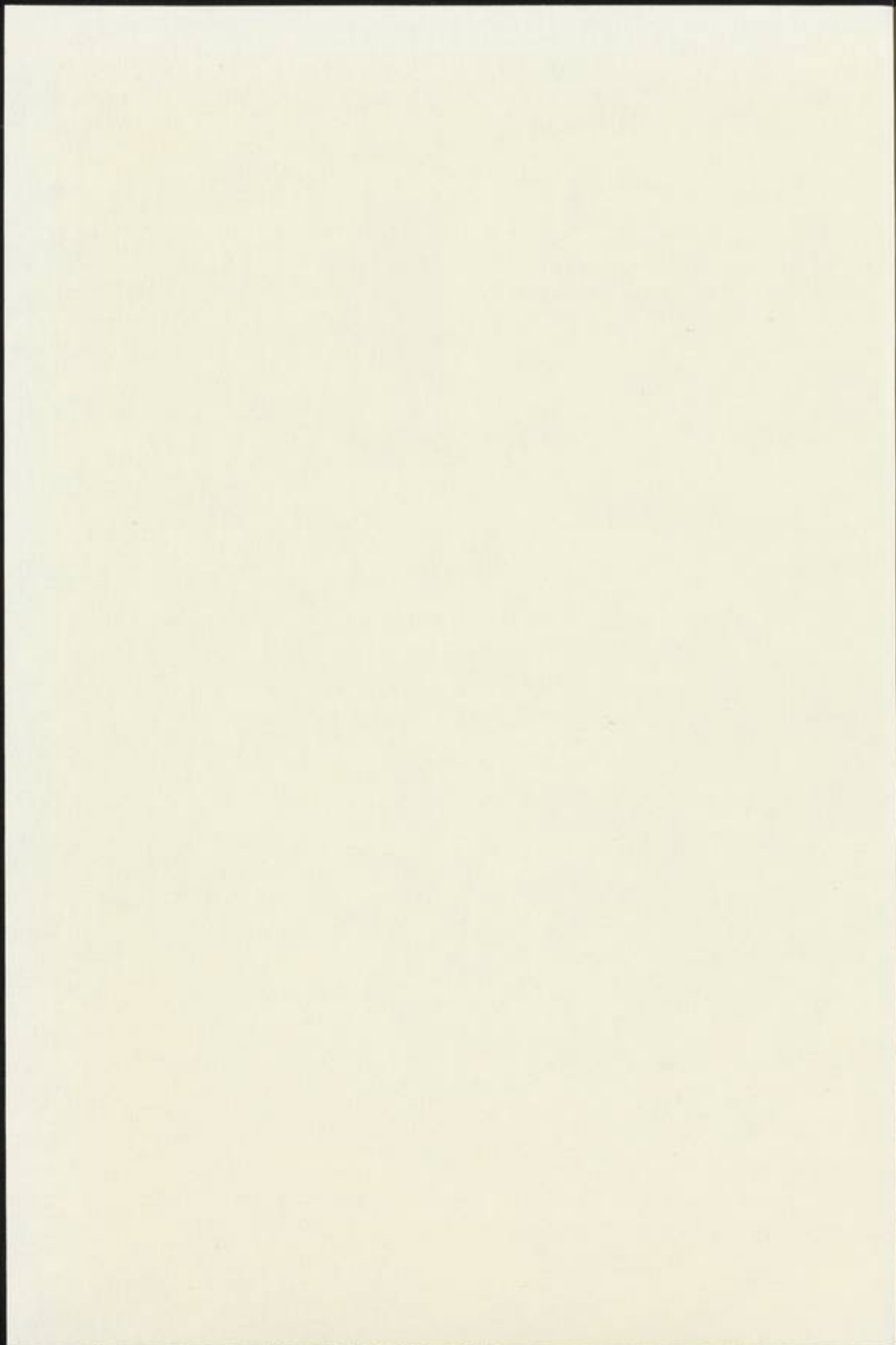
بالرغم من الجهد الذي بذل في التصحيح فقد وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية لاتخفى على القارئ الكريم، وهذه بعض التصويبات نذكرها ليستدركها القراء :

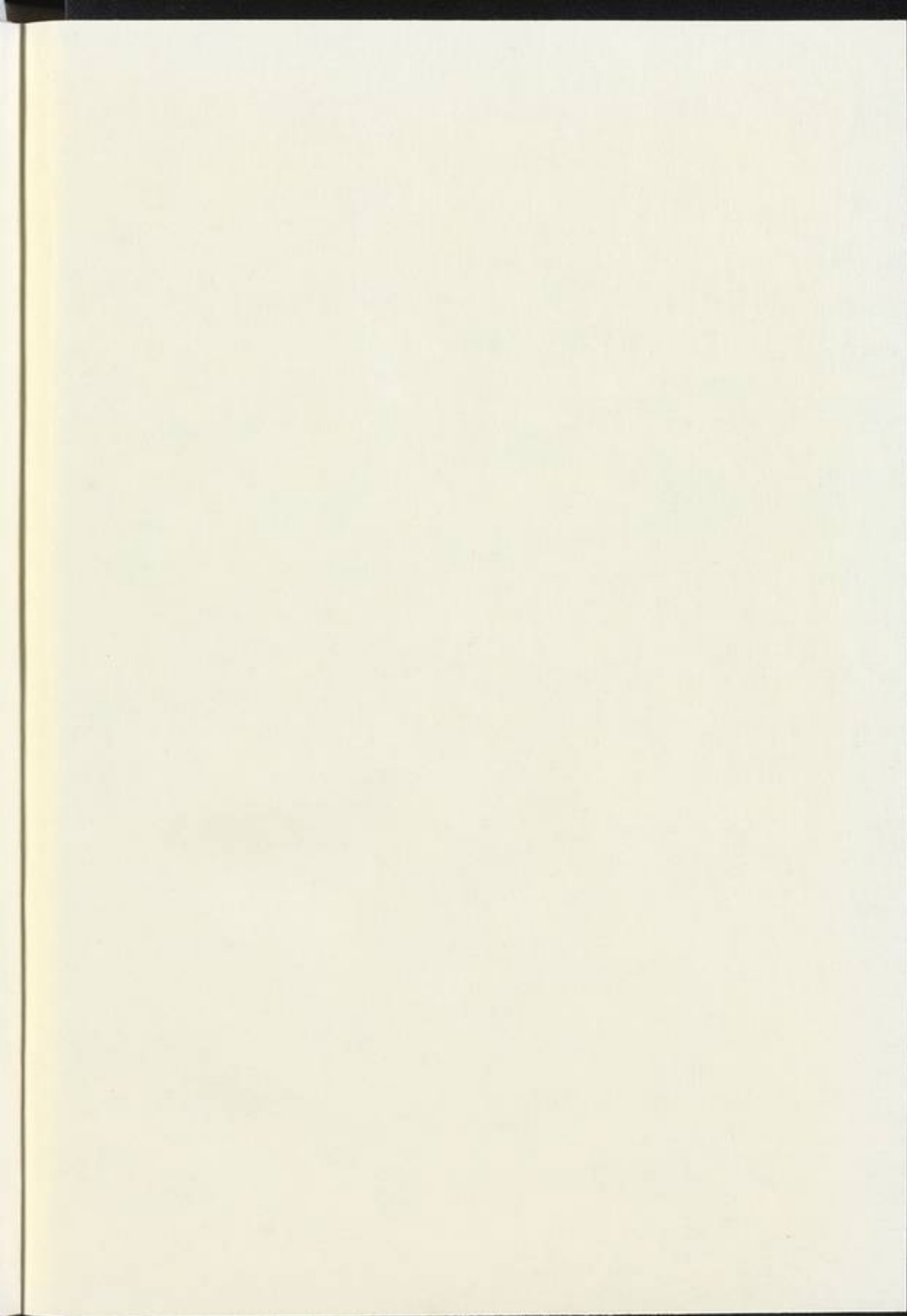
الصفحة والسطر - الصواب

الصفحة والسطر - الصواب

- ٣/١٢٦ - منفرداً بالغنى
١١/١٣٥ - الخصب في الدار
١٧/١٥٢ - ان [يصير] ما يطلبه
١٧/١٥٤ - والمال بوناً
٢/١٦٤ - فيستقيم أمره
١٠/١٧٢ - تكون طيشا
٦/١٧٨ - أتبغضني
٢٠/١٨١ - لنفسه فيه
١٠/١٨٦ - بنت يزيد
١٩/١٨٦ - ولؤم النميمة
٨/١٩٧ - وأنتجه فكره
٢٢/٢٠٧ - خطبة همام / رقم : ١٩١
٣١/٢١٢ - اذ لاتنفغنك
١٦/٢١٩ - رباً سواي
٥/٢٢٢ - حال تدوم
٢/٢٣٠ - فهو الزيادة
٢٤٤ / - كفر بهما
١١/٢٥٣ - ماخالط الالف
٣/٢٥٥ - المداراة

- ١٠/٨ - الكرام البررة
٨/٢٣ - عظات
٩/٢٤ - استيعابه
٢١/٢٥ - ص ٢٥٣ ، هذا وقد
٢/٢٧ - وقفنا عليها
١٤/٢٧ - والآخر
١٢/٢٨ - كلمة (ونصف) تحذف
١٩/٣٧ - نقاء المعرفة
١٠/٤٧ - بالنفس الى
١٠/٤٩ - أعدائكم
١٣/٤٩ - مجاهدة النفس والهوى
٦٣/الهامش (١) هو للصفحة ٦٣
١٨/٦٤ - أبلغ المنع
١٧/٦٥ - ويصلح زيغك
٢/٧٧ - والمانع من
٣/٧٧ - بلي به
٩١/الهامش (٢) - ص ٢٠٤
٦/٩٨ - تفصيري
١٩/١١٨ - منها الوطر







هذا الكتاب

جمع بين أعلى مراتب البلاغة ، وأسمى درجات
الحكمة ، وهو بحق نبراس ينير الدرب للطلاب ، ويوضح
سبل التصرف الحكيمة في تبه مشاكل الحياة فسي عصرنا
الحاضر .

و لعل أهم ما يتميز به ، من بين كتب الاخلاق ،
هو استيعابه لأهم البحوث الاخلاقية ، بابلغ لفظ ، وأوجز
كلام ، اضافة الى سرد الكلمات المأثورة ، وروائع
الابيات و المقطوعات . المنظومة والمنشورة .

و الامل ان ينتفع به المسلمون في بناء حياة أفضل ،
و يفسح به المجال لوعى اسلامي أكثر تفتحاً على القرآن
الكريم واستيعاباً للسنة النبوية ، من أجل العمل على توفير
الرفاء و السعادة لجميع بني الانسان .